تاريخ نجد الحديث

الفصل التاسع - الفصل السادس والعشرون

١ - ٧٣

الفصل التاسع

الاتراك يرحلون

—

كان قد عزم ابن سعود، بعد ذبحة ابن الرشيد في روضة مهنّا، ان يباشر الزحف الى حائل. لذلك لم يأذن رجاله بتعقب العدو المنهزم، بل عاد بهم الى بريده آملاً ان يضاعف صفوفهم بمن ينضم اليه من اهل المدينة. ولكنهم بالرغم عن تأكدهم قتل ابن الرشيد تقاعسوا وتذبذبوا، وكان صالح الحسن في رأس فريق من المقاومين.

لم يكن لابن سعود يومئذٍ القوة الكافية للزحف الى جبل شمّر وللمحاربة من استمروا عاصين من اهل القصيم. على انه كان يحذر دائماً ان يحس الناس بضعفه يوم ضعفه او ان يدركوا يوم القوة حقيقة قوته. لذلك ترك اهل القصيم وشأنهم واغار بمن كان معه على عدوٍ غير صالح الحسن هو ناهش الزويبي رئيس قبائل حرب الموالين لابن الرشيد، فادركوه وعربانه في مكان يدعى الرها بين القصيم وحائل، وذبحوهم عن بكرة ابيهم. ثم نزلوا السبعان، قرية من قرى حائل ثم اغاروا على قبائل في ابي مغير ~~شمّر~~ في اعالي نجد، فشتتوهم وغنموا اموالهم.

اما صالح الحسن فلم تفتر له همة في المؤامرات. وقد علم ابن سعود بينما هو عائد الى بريده بانه اتفق وصدقي باشا على ان يسحب عسكر الدولة من الشيحية ويحتل بريده. فسارع عبد العزيز الى المدينة، واجتمع هناك بزعمائها، فشكا اليه امر صالح، وطلبوا عزله واجلاءه، فقبض عليه واجلاه الى الرياض. ثم امّر مكانه ابن عمه محمد آل عبدالله ابا الخيل.

اما آل رشيد فقد تولى متعب الامارة بعد موت ابيه عبد العزيز، وكان راغباً في السلم، فبعد المفاوضات تم الاتفاق على ان تكون حائل وملحقاتها وشمّر لابن الرشيد، اما باقي بلاد نجد بما فيه القصيم ~~لابن~~ لآل سعود. ثم اطلق الامير متعب سراح من كانوا مأسورين من آل سعود في حائل، فجاؤوا بريده واقاموا فيها.

بعد عقد تلك المعاهدة واجلاء صالح الحسن عاد عبد العزيز الى الرياض، وما كاد يستريح من الاسفار حتى جاءه مخبر يقول ان الاتراك في اطراف القصيم يحاولون استمالة بعض البادية اليهم، وان لفيصل الدويش يداً في المسألة. ~~شد~~ عبد العزيز على الدويش، بعد ان تحقق خيانته، فاغار على بعض قبائله واخذها. ثم عاد الى بريده واطلق من كان فيها من آل سعود، اي أسرى حائل الذين مرّ ذكرهم، الى الرياض، ولم يُبقِ معه هناك غير حاشيته، فاطمأن اهل القصيم، خصوصاً المناوئون منهم.

ولكن امراً جديداً ازعج عبد العزيز، وهو ان ابن الرشيد كان يفاوض الاتراك في الشيحية ويزيّن لهم الانسحاب منها الى حائل، وقصده في ذلك ان يأخذ ما كان معهم من عتاد الحرب والذخيرة. كأنه يقول

اعطونا سلاحكم اذا كنتم لا تحاربون .

ولا كانت الدولة راضية عن صدقي باشا وخطته - لا حرب ولا سلم ولا مفاوضات - فأمرت كبيراً اخر من كبار جيشها وساستها هو سامي باشا الفاروقي الذي كان يومئذٍ في المدينة، بالسفر الى حائل للمفاوضة مع ابن الرشيد، فجاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في سمير، قرية من قرى حائل، واتفق واياه على ان يكون القصيم في حوزة الدولة . ماخسر ابن الرشيد شيئاً في هذا الاتفاق لأنه وهب ملكاً لم يكن يومئذٍ له .

جاء سامي باشا بعد ذلك الى القصيم ليفاوض الفريق الثاني وقد ظنه كالاول، فعزل صدقي باشا وتولى قيادة الجيش في الشيحيه، ثم ارسل الى ابن سعود يطلب مقابلته، فوافاه الى البكيرية، وكانت المذاكرة منكرة . اصطدمت في الجلسة الاولى الارادتان، والتهبت النزعتان التركية والعربية . ولم يكن الفاروقي لين العريكة، ولا لبس للحالة لبوسها .

قال يخاطب ابن سعود : ولكن اهل القصيم يريدون ان تكون السيادة في بلادهم للدولة . فاجابه ابن سعود قائلاً : ليس لاهل القصيم رأي في الامر، فهم من اتباعي .

سامي : التابعية تقتضي الحماية وانت لا تستطيع ان تحميهم، ولا ابن الرشيد .

عبدالعزيز : وهل تحميهم الدولة ؟ ان كنت لا تدري فتلك مصيبة

وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

ومع ذلك فها زعماء القصيم في مجلسك . اسألهم يجيبوك .

فتكلم اذ ذاك احدهم قائلاً ان صالح الحسن افترى عليهم، وانه لا يمثلهم بشيء، وانهم لا يرضون عن ابن سعود بديلاً .

سامي : انتم تجهلون صالحكم وتتوهمون حقوقاً ليست حقوقكم ... ماجئنا نستفتيكم ولا نستغويكم . جئنا نعلمكم الاخلاص والطاعة للدولة العلية . ولا معلم اليوم غير السيف .

عبدالعزيز : اني آسف على ما بدا منك، بل آسف لان الدولة توكل امورها الى مثلك . ماكان العرب ياسامي ليطيعون صاغرين، لا والله . ولولا انك ضيف عندنا لما تركناك تقوم من مكانك .

كذلك اجتمع القائدان التركي والعربي وافترقا . ولكن سامي باشا ارسل بعدئذ رسولاً اسمه دياب ابو بكر الى ابن سعود يقول : يسلم عليك الباشا ويقول ان الدولة تدفع لك عشرين الف ليرة ومخصصات سنوية اذا كنت تعترف بسيادتها في القصيم .

فلما سمع عبدالعزيز هذا الكلام عمد الى سيفه قائلاً : انتجاسر ياخبيث ان تحمل الينا مثل هذه الرسالة ؟ الم يردعك شمم العرب ؟ ومتى كان ابن سعود يقبل الرشوة، فيبيع بلاده ورعيته لمن يريدون استرقاقها ؟ لا ادنس سيفي بدمك ياخبيث ولكن لا ارد عنك سيفاً بيد سواي .

بادر الرسول الى ذلوله، بعد استماع هذا الكلام، وراح مدرهماً . لم يرجع الى الشيحية ليؤدي الجواب بل فر هارباً الى المدينة .

وفي ذلك النهار، بعد صلاة المغرب، ارسل ابن سعود الى الفاروقي ثلاثة من رجاله لينبئه فيكون متأهبا، بانه هاجم عليه في اليوم التالي بعد صلاة الفجر. وما كان جادًا في ما فعل. ولكنها تهويلة جاءت بفائدة. فقد ارسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضيا، فجاء الضباط يقولون ان الباشا وعسكره ضيوف عليكم واحسبوهم في معيتكم.

١٣٢٤ هـ و ١٩٠٦ م صفا الجو، او ان الرياح سكنت اكراما لرمضان، فصام ابن سعود في عنيزه، ولكنه علم يوم العيد ان ابن الرشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك الى حائل. فجهز لجنه حملة من اهل القصيم ونزل الى البكيرية، فارسل الى الفاروقي بلاغا — وكان هذه المرة جادًا — يخيّره بواحد من امرين اما ان ينقل بجيشه في برهة خمسة ايام الى وادي السر (فيبعد عن القصيم فيحول ذلك دون المفاوضات مع ابن الرشيد) واما ان يرحّله ابن سعود من نجد، فيرسل الجنود العراقية الى العراق والجنود الشامية الى المدينة واذا رفض احد الامرين فهو هاجم عليه لا محال.

عندما علم الجيش، خصوصا ضباطه بهذا البلاغ، قاموا يطلبون من سامي باشا الاذعان، بل طلبوا منه ان يرحّلهم الى بلادهم، وقد هدده البعض بالقتل اذا لم يفعل، والبعض قالوا انهم سينضمون الى جيش ابن سعود.

قبل الباشا بترحيل الجيش، ولكنه اشترط ان يضمن عبد العزيز سلامته وسلامة معداته في الطريق الى المدينة والى بغداد. قبل عبد العزيز بذلك، واشترط ان ينقل الجنود العراقيين الى بريده فيبقون فيها الى ان يصل سامي باشا بجنوده الى المدينة، لانه خشي ان يسير الباشا الى حائل فينضم الى عسكر ابن الرشيد ويعيد الاثنان الكرة عليه.

وقد كان عبد العزيز حريصًا على عادته. فقال للفاروقي: "اذا سرتم الى المدينة رأسا رحّلنا جيوش العراق، واذا حدتم عن الطريق ذبحناهم. وستكونون عالمين بسيركم".

وكانت حرب قد حملت عساكر المدينة عندما جاءوا الى نجد، فدعا عبد العزيز شيوخها للسماط. وبعد الطعام خاطبهم قائلا: انتم جئتم بالترك من المدينة وانتم مرجعوهم ان شاء الله. وستبقون عندنا الى ان يصلوا سالمين.

حمل عربان حرب العساكر وامتعتهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا، وبعد اسبوعين جاء ابن سعود نجاب يقول انهم اجتازوا الحناكية ووصلتهم المدينة، فامر اذ ذاك ان تجهز الركائب للعساكر الذين في بريده، فرحّلوا آمنين شاكرين الى العراق.

وبعد شهرين ارسل السلطان عبد الحميد يشكر الامير عبد العزيز بن سعود على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ويسأله ان يرسل احد رجاله لمقابلته. فارسل صالح العذل ومعه اثنان آخران الى الاستانة فنزلوا ضيوفا على الحضرة الشاهانية، ومُنحوا الالقاب والنياشين، وسمعوا من الوزراء كلاما سياسيا لم يجيبوا عليه بشيء، ولا أثمر بعدئذ شيئا للدولة.

قد اتيح لي الاجتماع بصالح باشا العذل يوم كنت في الرياض ~~مثل اكثر اهل نجد~~ يحمل في ايام السلم عصا من الشوحط، فالفيته شيخا جليلا ولا يكثر الكلام. اجتمعت به في بمخزوق يوم خرج عظمة السلطان

مثل اكثر اهل نجد

للنزهة وكنا في معيته. وكان عظمته قد حدثني عن ذات الوفد فرغبت في التعرف الى احد رجاله ،
ففاجأني عندما كنا جالسين في ذات الغار قائلاً : هذا صالح العدل ثم ناداه : يا باشا يا باشا تعال
تعرّف الى الاستاذ . ولكن صالحاً نسي اللقب او رماه في البحر وهو راجع من فروق . جلس مثلنا على الارض
جميعاً، فسألته اذا كان قد سُر في اقامته بالاستانة ، فاجاب موجزاً : « ما سررنا بشيء
مثل سرورنا يوم رحّلونا منها » .

وهو يبتسم

=

الفصل العاشر

ليلة الظافر

بعد ترحيل عساكر الدولة الى المدينة المنورة والى بغداد فرج على ابن سعود اثنان من رؤساء مطير هما فيصل الدويش ونايف بن هذال فتحالفا واميري بريدة وعائث عليه.

ولكن اهل بريده ظلوا اجمالاً موالين. وقد كان له في تلك المدينة زوجة يزورها من حين الى حين، فلما بلغه خبر خروج ابن الدويش وابن هذال وهما من اتباعه سارع الى القصيم متحفظاً متأهباً معاً. وعندما قرب من بريده ارسل الى شلهوب (١) احد خدامه فيها يخبره بقدومه ذاك النهار.

وكان قد عسكر في غدير قرب الشقه (٢) يدعى المغر فشاعت اشاعة ان ابن الرشيد هاجم عليه هناك، فخرج بنفسه مستكشفاً، فلم يجد ما يشغل البال او يستحق الاهتمام. وعندما عاد الى معسكره كان النهار قد شد للرحيل فتأهب عبد العزيز لزيارة معزبته (٣)

لبس افخر ما لديه من الثياب، فبدت خلال العباءة كانها من نسيج الشمس الغاربة. زبون (انباز) من الكشمير الثمين، فوقه رداء من قماش آخر هندي تمتزج الوانه الزاهية بعضها ببعض، وفوق الاثنين، بين عباءة الوبر والرداء، «كرك» (معطف) مزركش بالقصب.

فرج الظافر يتلألأ ويفوح طيباً، كانه ظفر بالشمس فسلبها بهاءها، وغنم ازاهر الارض فيلطن بها عباءته وكمه فسرى تحت جناح الليل تحف به ستة من الخدم، ويماشي منية قلبه جيش من الشوق. ولكن عندما دنا من بريده ولم يكن بينه وبين تلك المنية القصوى غير مسير نصف ساعة، التقى برسول من خادمه شلهوب جاء يقول ان محمداً ابا الخيل (امير بريده) قد اقفل القصر وهو متأهب للحرب.

وكان الليل حالف ابا الخيل، فتقصف في تلك الساعة الرعد، ولعلع البرق في السماء، فهطلت الامطار وهبت الرياح، وامسى الظافر حائراً بائراً، لا يستطيع الدخول الى بريدة، ولا الرجوع الى معسكره وقد بعد عنه مسافة ثلاث ساعات او تزيد.

يا لها من ليلة عاصفة ماطرة، ليلة ظلمتها دامسة. ويا لها من خيبة ليلها اشد من تلك العواصف والظلمات لمز الظافر فرسه وقد قفل راجعاً، فسمع بعد قليل كلباً ينبح، فساقها نحو الصوت، فاذا هناك بيت من الشعر، فترجل امامه يبتغي ملجأ من المطر الهطال.

وما كان البيت غير خيمة صغيرة طولها ستة اذرع وعرضها نصف ذلك، وفيها طائفة من البشر والمعزى.

تكلم عبد العزيز: يا اهل البيت نحن ضيوفكم. فاجابوه ولم يعرفوه: اهلاً ومرحباً. ولكن البيت ضيق وذا الليل بسود الوجه.

---

(١) هو هو الشلهوب الذي صار بعدئذ امير المال والتموين في سلطنة نجد. راجع «ملوك العرب» الجزء الثاني صفحتي ٨٨ و ٨٩. (٢) الشقه قرية من قرى بريده وهي على مسير ساعتين منها. (٣) «المعزبة»، وهي شائعة في نجد، والعازبة امرأة الرجل.

لم يقبلوا غير واحد من الربع، فظل الخدم خارج الخيمة .

رأى عبد العزيز عند دخوله عشرة انفار، كبار وصغار، فيهم عجوز مريضة وشائب مجنون، فجلس على رجل قرب الباب وقد ضم يديه بين جنبيه، وهو يرتعش من المطر الذي اخترق ثيابه . وكانت الجديان وهو في تلك الحال، تثب على كتفيه، والمعزى تبول امامه، والمطر يصب من سقف الخيمة، والمريضة في الزاوية تئن، والمجنون يصيح، والصغار يبكون، والكبار السالمون من علل الحياة يتصاخبون .

جلس على ذاك الكور، في تلك الخيمة، وهو يتأمل حالتها وحالته، ويود لو كان ابو الخيل تحت سنابك ذاك الليل، او في مجاري السيل، او في مخالب العاصفة، او تحت ذاك السقف الزارب بين العجوز المريضة والشائب المجنون .

هي ليلة الظافر! وعندما اسفر الفجر ركب فرسه وعاد الى الشقة ليبس ثيابه وينظفها . وقد امست وهي مثقلة بالماء والوحل والاقذار، اكره لديه من ابي الخيل . فلما وصل الى تلك القرية رأى جدران بيوتها تنهار من شدة السيل والامطار، فأم بيت الامير، وكان لا يزال يملك غرفة ذات سقف وفيها نار مشبوبة، فشكر الله على ذلك .

بعد ان يبس عبد العزيز ثيابه، وازال منها الاوحال، ركب يقصد بريده، فلما وصل الى القصر وجده مقفلاً قرع الباب فسئل: من انت؟ فاجاب، انا ابن سعود: فلم يسع من كانوا داخلاً الا ان يفتحوا!.

وعندما واجه ابا الخيل رآه يرتعد خوفاً فسأله قائلاً: ما بالك قبح الله وجهك؟ فاجابه: افترى الناس علي، يكذبون والله في ما يقولون . فقاطعه عبد العزيز قائلاً: اسكت ما بيّن امرك الا انت .

لم يقل اكثر من ذلك . وقد اقام يوماً في بريده مستطلعاً الاخبار فتحقق خيانة رؤساء مطير، وسارع الى محاربتهم، فاضطر اثناء ذلك ان يصالح اعداءه في بريده فعفا عن زعيمهم ابي الخيل محمد .

سألت عظمة السلطان وهو يملي علي اخبار هذه الحوادث: وكيف تعفو عنه بعد تلك الليلة المشؤومة؟ فاجاب فوراً: مكره اخوك لا بطل .

الفصل الحادي عشر

تعددت الاعداء

حالت في حائل الاحوال، فجرى الدم في بيت الرشيد، وتولى الامارة سلطان بن حمود، احد الاخوان الثلاثة الذين قتلوا ابناء عبد العزيز الثلاثة اي الامير متعباً واخويه (١)، وباشر سلطان حكمه بالمخاتلة، فقد ارسل نجاباً الى عبد العزيز بن سعود يطلب الصلح، وفي الوقت نفسه ارسل يخطب ود اهل نجد والقصيم ويستنصرهم عليه.

وبينما كان نجاب السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ومن بعض رؤساء البادية يحملون الكتب التي كتبها اليهم امير حائل الجديد.

غضب عبد العزيز وهمّ بطرد النجاب، فاوقفه والده الامام واشار عليه بقبول ما جاء من اجله. فقبل بذلك مشترطاً على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه متعب اي ان امارته تنحصر في حائل والجبل وسيادة ابن سعود تعم نجد والقصيم.

١٣٢٥ هـ و١٩٠٧م عاد رسول السلم الى سيده، وراح ابن سعود غازياً بعض القبائل المتقلبة في الجنوب.

ثم جيش جيشاً من بادية مطير ومن الحضر وزحف به الى اطراف القصيم وكان قد علم ان سلطاناً أخل بشروط الصلح، فسار الى بريدة واجتمع هناك ببعض الزعماء وفيهم ابو الخيل محمد، فاشاروا عليه ألا يصالح ابن الرشيد قالوا ان الحرب اولى، وان ابن الرشيد لا يركن اليه.

وكان عبد العزيز قد تحقق ذلك من كتب سلطان الى رؤساء اهل نجد والقصيم، ولم يخامره الريب في اخلاص هؤلاء الزعماء وفيهم من اصدقائه السابقين شيخان من مطير هما فيصل الدويش ونايف الهذال. فاستصحبهم وزحف الى حائل غازياً. ولكنه لم يتوفق في تلك الغزوة، كما انه لم يتوفق في وضع ثقته بالدويش والهذال. فبعد ان علما بنشله تعاهدا وابا الخيل على ان يناصرا ابن الرشيد عليه.

---

(١) في الفصل الثالث والثلاثين ذكر هذه الذبحة وتفصيلها

عندما تحقق عبدالعزيز ذلك – عندما ادرك ان قد تفلتت مطير من يده وخرجت بريدة عليه – راح يستنجد عتيبة عدوة شمّر ومطير، فافلح بعض سعيه. وعندما هجم سلطان على قافلة له كانت خارجة من العُصَيبة، فاخذها وامّن رجالها ثم قتلهم، شد عبدالعزيز عليه، فلم يدركه لانه كان قد عاد الى حائل.

خرج ابن سعود على بريدة وارسل منها الكشافة فالتقوا في الطريق برجل رابهم امره فقتلوه ووجدوا معه كتابًا من محمد ابي الخيل الى سلطان الرشيد يعاهده فيه على ابن سعود.

تعددت الاعداء والخيانات. ولكن خيانة فيصل الدويش اثارت في عبدالعزيز اشد الغضب والحنق، فراح يدبر وسيلة للانتقام. وكان من تدبيره انه أذن لعرب عتيبه بالرحيل ليقال انهم خذلوه. ثم صالح اهل بريدة وعفا عن زعمائها كما اشرت في الفصل السابق.

وكان الدويش في جهة سدير، فبلغته هذه الاخبار فنام مطمئنا. ولكن ابن سعود عندما اذن لبوادي عتيبة بالرحيل ضرب لهم موعدًا في مكان يدعى الجُمْله، فاجتمع بهم هناك، واغاروا بغتة على الدويش، فلاذ بالمجمعة التي كان فيها يومئذ حامية لابن الرشيد، فادركوه ورجاله في بساتينها وفتكوا بهم، فهزموهم شرّ هزيمة، وغنموا اموالهم كلها.

بعد هذه الوقعة التي جرح الدويش فيها جاء كبار مطير مستلمين مستغفرين فاعطاهم ابن سعود الامان. ثم عاد الى الرياض. ولم يكد يتم الشهر هناك حتى جاءته الاخبار مثبتة خيانة ابي الخيل الذي كان قد عقد وابن الرشيد عهد الصلح والولاء.

استنفر ابن سعود بوادي قحطان وعتيبه، ورفض من جاء ينضم الى جيشه من مطير التائبين واهل بريده لأنه لم يكن ليثق بهم. اما ابن الرشيد فكان قد غزا بعض عربان ابن سعود فلم ينل منهم مغنما. بل غشي جيشه الظمأ فمات عدد كبير من رواحله وخيله، فعاد الى الجبل ونزل الكهفة.

اما ابو الخيل فاستمر عاصيًا طاغيا، بالرغم من عفو ابن سعود وبالرغم من توسط ابن سليّم امير عنيزة. وكان من رجال مطير، «التائبين» ما توقعه عبدالعزيز فانضموا وطائفة مهنّا الى جيش ابن الرشيد،

وقد جاء به الى بريده فنزل على المياه في جوارها .

اما عربان ابن سعود، قحطان وعتيبة، فانحدروا بلبونه ونزلوا العرض، ثم اجتمعوا بمن نفروا اليه من الحضر بوادي السر وزحفوا شمالاً، يقصدون بريدة .

تحاقت القبائل، فكانت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد، وكانت عتيبة وقحطان مع ابن سعود .

وهناك آخر من الامراء انصار ابن الرشيد لا يستهان به، الا وهو الشيخ مبارك الذي كان مخلصاً لكاتب ديوانه في الاقل فلم يعزله بعد تلك الزلة . وقد جاء ثانيةً بمثلها . ففي الكتب التي وصلت الى عبد العزيز من "والده" في الكويت كتاب الى سلطان الرشيد، أرسل خطأً الى خصمه، وفيه يحرضه على ابن سعود ويلح عليه بالاتفاق واهل القصيم .

كتم عبد العزيز الامر وتقدم بجيشه من السر الى المذنب، فجاءه هناك رجل يدعى عبد العزيز بن حسن من اهل القصيم، ولكنه كان من خفية ابن سعود، فاخبره ان الشيخ مباركاً ارسل يتوسط بالصلح بين اهل القصيم وابن الرشيد . ولم يكن عبد العزيز ليحتاج الى هذه البينات في انقلاب "والده" عليه وقد تعددت امثال فعلته هذه الحرباوية . ولكن عذر صاحب الكويت في ذلك انه كان ينشد دائماً التوازن في نجد، ويسعى في تحقيقه والمحافظة عليه، لانه اذا اختل التوازن اختلت في رأيه الشؤون كلها، وفيها شؤون الكويت .

تقدم ابن سعود الى عنيزة فعلم ان معسكر سلطان هو خارج بريدة على مسير ساعة من قصرها، فرى يريد الهجوم عليه فعلم سلطان بذلك، ونقل الى قرب القصر .

لحقا به ابن سعود فتناوش الفريقان مراراً دون ان يتمكن بعضهم من بعض . على انه في احدى الغارات كبت فرس عبد العزيز فوقع وقعة مشؤومة، فكسر عظم في كتفه اليسرى وأغمي عليه .

وكان فيصل الدويش قد جاء ابن الرشيد فزعاً، فانزل اهله الطرفية[1] وتقدم بخيامه ورجله الى بريده، فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت اليه سرية فنازلته وهزمته، فقتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الابل، ثم تعقبت من تقهقروا، وهجمت بعد ذلك على الطرفية فذبحت اهل الدويش واستولت على البلد .

اما عبد العزيز فعاد بعد وقعته يتبع السرية التي هزمت الدويش، فوصل العصر الى الطرفية وعسكر فيها،

---

(1) الطرفية هي على مسير اربع ساعات ونصف ساعة من بريده الى الشمال .

ولم يشعر حتى الليل بالم في كتفه شديد حرمه النوم واقعده عن العمل .

دعا قواده وهو في تلك الحال فخاطبهم قائلاً: "ابن الرشيد واهل بريدة هاجمون عليكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين . بثوا الحرس والكشافة في الطرق، وحصنوا القصر!!"

وكان قد انتصف الليل عندما جاء رجل من بريده يقول ان ابن الرشيد ورجاله قد خرجوا وهم يريدون المهاجمة .

لم يرَ القائد الذي بلغه الخبر ان يزعج عبد العزيز به وهو في تلك الحال، خصوصاً وان الجيش كان مستعداً للدفاع .

ولكن امرين افسدا ذاك الاستعداد . فقد تأخر ابن الرشيد فنامت الجنود، وقد سلك الى الطرفية طريقاً غير الطريق المعروفة فلم يشعروا الا وهو ورجاله في وسط المعسكر .

هجم ابن الرشيد من جهة عليه، وهجم اهل بريده من الجهة الاخرى وهم يبغون احتلال القصر . ولكن الحرس افاقوا الحامية فصادمتهم وصدتهم عن الدخول .

اما ابن الرشيد ورجاله فباغتوا السعوديين وهم نيام . ولم يطلقوا البنادق كي لا يفيقوهم فيذبحوهم وهم في تلك الحال . ولكن بعضهم استيقظوا فتصادموا والمهاجمين وتضاربوا بكعاب البنادق، ثم بالسيوف فسالت الدماء وعلت الاصوات . — على المشركين ! على الخونة !

أطلقت البنادق فهب العسكر كله للقتال، وكان الفجر قد لاح وحمرت مياه الطرفية الجارية من دم القتلى —

دارت الدائرة على الرشيديين فخرجوا هاربين، فتعقبهم اذ ذاك السعوديون وهم يذبحون بهم ويهتفون : صبحناكم لا صبحتكم العافية .

هذي هي وقعة الطرفية (٥ شعبان ١٣٢٥ = ١٤ ايلول ١٩٠٧) التي قتل فيها ثلاثون من رجال ابن سعود وثلاثمئة من رجال ابن الرشيد . وقد كان الفضل في هذا النصر للحضر في جيش عبد العزيز . اما البوادي فشردوا، ثم عادوا اليه بعد بضعة ايام .

الفصل الثاني عشر

كسرة ابي الخيل

قلت في ما تقدم ان ابا الخيل من آل مهنّا الذين كانوا متأمّرين في بريدة، وانهم كانوا معادين لآل سعود منذ عهد الامام عبدالله بن فيصل عم عبدالعزيز. اما اهالي بريدة، او الاكثرية فيهم، فكانوا يشكون حكم آل مهنا ويودون التخلص منه بل كانوا متقلبين متذبذبين لم يستطيعوا ان يقاوموا اميرهم ابا الخيل، ولا ان يعاونوا عدوه، فكانوا يوماً معه، ويوماً عليه، باطناً او ظاهراً، شأن المستضعفين المستنفرين. وكانوا في انقلابهم وتلونهم اسرع من اميرهم واسبق، فقد لطالما خُدع ابن سعود وابن الرشيد وابن مهنّا نفسه بما كانوا يظهرون او يبطنون.

بعد وقعة الطرفية عاد الى بريدة من سلموا من اهلها وفر ابن الرشيد وباديته الى حائل، فزحف ابن سعود في اليوم التالي ليتتبع البريديين، فاغارت كوكبة من الخيل على المدينة وغنمت المواشي التي كانت خارج السور. ثم نزل في الزرقاء شمالاً واباح لعسكره نهب القرى التي ساعدت اهل بريدة ونهب بساتينها، فجاء اهلها في اليوم التالي يطلبون العفو فعفا عنهم.

اما اهل بريدة فظلوا عشرين يوماً داخل البلد كانهم في حصار فلم يخرجوا لا موالين ولا معادين. ولكن فريقاً منهم ارسل يخبر ابن سعود سرّاً ان ابا الخيل مستولي على المدينة بمن معه من رجال ابن الرشيد، وانه اذا هو انسحب من جوارها يتيح لهم ان ينهضوا على اميرهم وجيشه الشمّري.

وكان هؤلاء الشمّريون قد عابوا سلطان الرشيد في انهزامه وفراره الى حائل، وطلبوا منه ان يعود فعاد، ودخل بريدة ليلاً. فلما علم ابن سعود بذلك مشى ورحلته عنيزة فنزل على سير ساعة من بريدة، ففاجأت خيالة ابن الرشيد رعاةً له فأخذوهم. وقد حدث يومذاك قتال اشتركت فيه البدو، وقد قطعت الحضر ساقتهم اي حمتها.

ان الحضر في الجيوش العربية كالجنود النظامية. اما البدو فبددهم وامرهم عجيب. قد اسلفت القول ان بوادي ابن سعود شردوا في وقعة الطرفية، ثم عادوا اليه. ومن عاداتهم ان يجيئوا ويروحوا، ان

يحاربوا ويشردوا كما توحي اليهم النفس او ترشدهم الحوادث .

وفي القتال امام بريده هجم جيش البادية فاحتاط ابن سعود للامر بان جعل الحضر في مؤخرة ليمنعه من الفرار اذا احس بالهزيمة . ولكن في ذاك اليوم كان منتصراً فتراجع قوم ابن الرشيد ودخلوا البلد .

استمر ابن سعود في سيره جنوباً فنزل عنيزة ، ثم نقل الى البكيرية ، ثم الى الرس ، يجمع اليه المقاتلة من الحضر . اما سلطان الرشيد فعاد الى الجبل ، وقد ترك اخاه فيصلاً في بريده ليكون عوناً لابي الخيل على اهلها بل ليظل بعيداً عن حائل . ولكن فيصلاً اختلف وطاغيته مهنا فاجره ، وعاد الى الجبل فاجتمع باخيه ~~سلطان~~ الامير الحاكم ومنافسه الامير فارسله بمهمة الى الجوف ، وقصده الابعاد .

وكان ابن سعود قد نقل من الرس الى جهة عتيبة فنزل هناك في جبل يدعى سواج وهو يترقب الفرص للهجوم . فلما علم بما جرى بين فيصل واخيه سلطان سار الى الجبل جبل شمر . ولكن البدو وهو في منتصف الطريق ، هجروه ، فاستمر مع ذلك سائراً ، ونزل بقومه على ماء سقف ، فوجدوا هناك قبائل من حرب فاغاروا عليهم وغنموا كثيراً من اموالهم .

لم يتوفق عبد العزيز في زحفه الى الجبل ، فعاد الى الرياض . وبعد عشرين يوم قفل راجعاً الى القصيم ، فلاقاه جاسوس من بريده ليخبره ان اهلها مستعدون ، اذا وصل اليهم ان يهجموا على ابي الخيل .

لمز ابن سعود حصانه ، وراح بجيشه مسرعاً فوصلوا الى المكان المعين للاجتماع خارج البلد فلم يجدوا احداً هناك .

لله انتم يا اهل بريده ! عض عبد العزيز على نواجذه وعاد الى عنيزه ، فجاءه بعد سبعة ايام رسول منهم يقول انهم متأهبون للهجوم ، فزحف زحفة ثانية كانت كالاولى عقيدة الفشل .

ولكنه نزل الاخضر ، على مسير ساعة ونصف ساعة من البلد ، (المدينة) ومشى اليها بالجنود مرتين على « الانصار » يخرجون اليه فلم يخرج احد منهم .

ثم بلغه ان سلطان ابن الرشيد زاحف من الجبل لينجد اهل بريده ، اي الرشيد بين فيهم فشد ابن سعود وبادر اليه ليصده عن ذلك ، فعلم عندما وصل الى كهفة ان الخبر مكذوب . وكان برغش بن طواله ، من رؤساء

شمر، نازلاً ماء فيد بالقرب من جبل سلمى هناك فيرى يريد الهجوم عليه . فلما رآه ابن طواله مقبلاً ساعة الفجر اركب الحريم على الخيل سافرات فجئن يلاقينه مستعطفين . ثم جاءه برغش طالباً العفو فعاهده على الولاء وقسم بالله ان سيكون على الدوام من رعاياه المخلصين .

قد كان ابن طواله رسول السلم ايضاً بين ابن سعود وابن الرشيد فجددت المعاهدة سنة ١٣٢٦ هـ و١٩٠٨م السابقة التي خرقها مرة سلطان ولم ينفذ سلفه متعب بشروطها دائماً . ولكن ابن سعود لم ينخدع وما اراد في ذلك الحين غير حياد ابن الرشيد ولو الى حين ، فينشط انصاره من اهل بريده فيمكنوه من ابي الخيل .

عاد عبد العزيز ، بعد ان صالح ابن الرشيد ، الى البكيريه فعسكر فيها وسار بنفسه الى عنيزة مستخبراً ، فاخبر عندما وصلها ان اهل بريده مستعدون الاستعداد التام هذه المرة للهجوم .

بادر عبد العزيز الى حصانه ، وعدا به عائداً الى البكيريه ، فقطع بساعتين ونصف ساعة مسافة خمس ساعات من السير ، وامر عند وصوله بالزحف السريع الى بريده ، فزحف الجيش في ذلك النهار ووصل الى المدينة عند غروب الشمس .

— واين الرجال ؟ اين من هم مستعدون الاستعداد التام للحرب ؟ الحق يقال ان السيادة كل السيادة كانت لمحمد ابي الخيل . ولم ينفر الى ابن سعود ليلئذٍ الا عشرة من الانصار ، فكان الاتفاق بعد المفاوضة السرية ان يفتحوا له بوابة السور وقت صلاة العشي . ولم يكلفهم اكثر من ذلك .

امر ابن سعود سريتين بالتقدم ثم بالدخول الى البلد اذا ما فُتحت البوابة فيسيرون تواً الى البيوت القريبة من القصر المقيم فيه ابو الخيل ويحتلونها .

فُتحت بوابة السور وكان الناس في الصلوة ، فدخلت السريتان واحتل البيوت المذكورة ثلاثمئة من الفرسان .

كان ابن سعود ساعتئذٍ واقفاً عند الباب فارسل فرقة عددها خمسمئة رجل لتحتل ابراج السور القريبة منه .

ثم خطب في الباقي من جيشه قائلاً : اننا هاجمون على هذه البلد ، فاحذروا ان تأذوا من لا يعترضونكم ، او تسيئوا اليهم بشيء . حاربوا من حاربكم ، وسالموا من سالمكم . اما البيوت فلا تدخلوها . واما الحريم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه .

دخل ابن سعود على رأس جيشه يتقدمه من الفرسان . وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت في المدينة صيحات الحرب .

اشتبكت الجنود برجال ابي الخيل واستمر القتال طيلة ذاك الليل فقتل من المهنيين عشرة وقتل من السعوديين خمسة لا غير . وجاء رؤساء بريدة عندما اسفر الفجر يطلبون العفو فعفا الظافر عنهم بشرط ان يسلم المقاتلون السلاح فسلموها قبل طلوع الشمس .

ولكن ابا الخيل ظل محاصرًا في القصر يومًا وليلة . ثم طلب الامان فأمّنه عبد العزيز على حياته وتركه يذهب حيث يشاء فرحل الى العراق .

وفي كسرة محمد آل عبدالله ابي الخيل في ٧ ربيع الثاني من هذا العام (٢٧ ايار) دخلت بريدة للمرة الثانية في حوزة ابن سعود .

قتل من السعوديين اربعة او خمسة ومن الاخرين عشرة او اكثر بقليل

الفصل الثالث عشر

الاقارب والعقارب

ما سلط الله على العرب غير انفسهم . فقد طالما نكثوا العهود فراراً من تبعة او خسارة ، وقد طالما استحلوا في سبيل السيادة دم ذوي القربى .

لا نعود الى الماضي مستشهدين التاريخ ولنا في هذا الزمان الامثال والبينات . فقد ذبح الشيخ خزعل اخاه ، والشيخ مبارك اخويه ، وبندر بن الرشيد عمه ، ومحمد بن الرشيد ابناء اخيه الاربعة ، وابناء عبيد الرشيد اولاد اختهم الثلاثة — كل ذلك طمعاً بالسيادة .

وقد قتل في هذه السنة من هذا التاريخ ١٣٢٦ هـ و ١٩٠٨ م سعود بن الرشيد اخاه سلطانا وتولى الامارة بعده . ثم ارسل الى عبد العزيز بن سعود يعرض عليه الصلح فصالحه على ما صالح اخاه وابن اخته سلفاه .

من نوادر الله في خلائقه ان يتقدم في العرب في زمان تعددت فيه هذه الجرائم الفظيعة من يسلك الى السيادة مسلك الشجاعة والشرف ، فلا يسلط عليهم غير سيفه الحق ، ولا يجازي طغيانهم وخياناتهم اذا ما تابوا بغير الحلم والاحسان . ولكن تاريخ آل سعود المعروف هو ابيض الحاشية ، فلا يدنسه دم ذوي الارحام .

استمرت الاضطرابات والفتن في حائل ، فنكث ابن الرشيد العهد وعاد البيتان الى الحرب — الى الغارات والغزوات . ولم يحكم سعود بن عبيد غير سنة وشهرين فقتل كما قتل سنة ١٣٢٧ هـ و ١٩٠٩ م اخاه ، وبعث من تولى الامارة من آل سبهان ، اخوال بيت الرشيد ، يفاوضون عبد العزيز ، فلم تسفر المفاوضات عن سلم او شبه سلم ، فاستأنف البيتان القتال .

خرج صاحب حائل فنزل الشعيبة واغار على قبيلة من مطير السعودية فقتل رئيسها واصاب منها مغنما . وخرج صاحب نجد يطلب خصمه على ذاك الماء فلم يجده ، فاغار على قبائل حرب وشمر وغنم اموالهم ، ثم عاد الى الشعيبة فاقام هناك يوماً « يخمّس الاخماس » اي يقسم الغنائم .

علم صاحب حائل بوجود ابن سعود في الشعيبة فزحف اليه ، وعلم ابن سعود بذلك فمشى حتى وصل الغروب الى مكان في النفود يدعى الاشعلي فنزل هناك ، وشرع يتأهب للحرب ، فاخرج البادية من المعسكر ، ابعدهم عنه .

واخرج الحفر الى رأس النفود فتحصنوا فيه، فاست الخيام خالية. ثم امر بان لا تُعقل الابل التي غنموها من شمّر وحرب في الغزوة الاخيرة. والقصد في ذلك ان يستغوي بها بوادي العدو. والطمع غريزة في البدو، فهم اذا رأوا الاباعر شاردة يتبعونها ليغنموها. والاباعر اذا سمعت طلق البنادق، ولم تكن مُعقلة، تفر هاربة.

انتصف الليل فهجم امير حائل على مخيم امير نجد الفارغ فذهب رصاصه سدى، وفرّت الابل فلحقتها البادية وشردت كذلك تحت جناح الظلام بادية ابن سعود، فلم يبقَ غير الحفر في الجيشين.

ارسل عبد العزيز سرية لمناوشة من هجموا على المخيم ثم الانسحاب ففعلت، فظنوه مهزوماً. ولكنه كان ورجاله كامنين في رأس النفود، فاغاروا عند انبثاق الفجر في ٥ ربيع اول (٢٩ اذار) من هذا العام عليهم. وكانت هذه المفاجأة خاتمة وقعة الاشعلي، وكان في الخاتمة نصراً لابن سعود مبيناً. خسر الرشيديون عدداً كبيراً من رجالهم، وكثيراً من رواحلهم ما عدا ما كانوا قد غنموه في الليلة السابقة، وتقهقروا عائدين الى الشُعيبة.

اما ابن سعود فسار بجوافره الى قبة، وكانت بواديه قد شردت، كما قلت ~~فوصلت الى الجبل شمر~~. تبع وقعة الاشعلي هدنة كان الضيق من قلة الامطار سببها، فلم يستطع احد من الفريقين مواصلة القتال.

ولكن ابن سعود خرج من قبة غازياً بعض عربانه العاصين في اعالي نجد، على طريق المدينة، وعاد الى القصيم فأمَّر فيه ابن عمه عبدالله بن جلوي وانحدر الى الرياض، فلما قرب من العاصمة التقى برسول من ابيه جاءه يقول: جنبوا جنبوا. الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزازنة.

والهزازنة اي آل هزّان من عنزي وهم اقارب لآل سعود — اقارب ابعدون. وكان قد قتل بعض منهم في تلك الفتنة، فارسل الامام عبد الرحمن سرية قبضت على القتلة وسلمتهم الى اخوان المقتولين فقتلوهم. ولم تخلُ الفتنة من مآرب سياسية، فعاد الهزازنة بعد رجوع السرية يشعلون نارها، فاعتدوا على آل خثلان، فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا انهما اشتركا في قتل اخيهم الكبير محماس. والادعاء كاذب، اثار غضب الامام عبد الرحمن، فأمر ابنه عبد العزيز ان يحمل عليهم في الحال. — جنبوا الى الحريق — جنبوا!

طلب عبد العزيز فرصة يومين ليزور اهله في العاصمة فاذن له بذلك. وفي اليوم الثالث نزل الى الحريق، ودعا الهزازنة لحكم الشرع فابوا، وهم حقيقة لا يريدون الخضوع لحكم ابن سعود، فدخلوا حصنهم وتحصنوا فيه. فحاصرهم شهرين وما انفك يدعوهم لحكم الشرع وهم متمردون، وفي ذات الحصن منيعون.

عندئذ اقدم ابن سعود على عمل يعد حتى في غير البلاد العربية كبيراً، فأمر رجاله بحفر نفق يوصلهم الى الحصن، فباشروا ذلك وكان طول

النفق عندما تم اربعين باعاً . ثم عزم ان يشعل فيه البارود فينسف الحصن نسفاً ، ولكن نساء المحصورين واولادهم كانوا ساكنين في بيوت فوق ذلك النفق ، فارسل عبد العزيز ينذرهم ويأمنهم على حياتهم اذا هم اخلوها . ولكن المحاصرين ابوا واستمروا متمردين . فارسل اليهم رسولا يقول : اذا كنتم لا تخرجوا حريمكم واطفالكم فانتم المسؤولون عن حياتهم امام الله .
ظن المحاصرون في بادئ الامر ان ابن سعود مهولاً عليهم وان النفق وهماً من الاوهام فلما تأكدوا حقيقته سلّموا ليسلم عيالهم .

عاد عبد العزيز الى الرياض ومعه زعماء آل هزان الا واحداً منهم استأذن بالسفر الى هوطة بني تميم للاشتغال له هناك فاذن بذلك . ولكن اخاه راشداً احد الذين سلموا كتب يشير عليه بالفرار وانه لاحق به ، فوقع الكتاب بيد عبد العزيز وكانت النتيجة ان صاحبه اصبح سجيناً بعد ان كان ضيفاً مكرماً في الرياض ![(1)]

| ١٣٢٨ هـ و١٩١٠م |

فتنت سنة ١٣٢٧ بعصيان الهزازنة وهم كما قلت اقارب آل سعود الابعدون ، وفتحت سنة ١٣٢٨ بخروج « العرائف » وهم اقارب آل سعود الادنون بل هم الذين كانوا اسرى في حائل فجاء بهم ماجد بن الرشيد الى عنيزه ليقاتلوا اهلهم فخلصهم عبد العزيز من الاسر ومن القتل فقاموا بعدئذ يجازون عمله بالعصيان . قد يكون بين فتنة الهزازنة وخروج العرائف » صلة سرية ، او ان الواحدة اوحت الاخرى . وجاء فوق ذلك الجدب يزيد بشدائد هذه السنة التي كانت تدعى « الساحوه » ، فخسر ابن سعود مبلغاً جسيماً من الاموال - الابل والمواشي - ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب او الغزو .

عقد مجلساً للمذاكرة بخصوص « العرائف » فقال احد الحضور يخاطب عبد العزيز : ادعوهم اليك للجواب ، فاذا ابوا اضربهم ، وعقّب على هذا الرأي آخرون . ولكن عبد العزيز لم يستحسنه فقال : اذا دعوتهم الي فقد يحدث بينكم وبينهم قتال ، فاكون ذابحاً لذوي القربى وهذا مكروه عندي . دعوهم . كفانا الله شرهم .

وكان « العرائف » ، وهم تسعة ، قد رحلوا ورجاجيلهم وخدمهم الى الحسا فنزلوا على العجمان اخوالهم . وكان العجمان قد اعتدوا على بعض عشائر الكويت فنهبوهم فهددهم الشيخ مبارك ، فالتجأوا الى ابن سعود وكان الشيخ مبارك قد ارسل اليه ايضاً يسأله ان يسعى في ارجاع تلك المنهوبات .

اما ابن سعود فكان قد كتب الى ابن الهذال رئيس العمارات وابن الشعلان رئيس الرولة والعشيرتان من عنزة ، يستنجدهما على ابن الرشيد فاجاباه الى ذلك وضرب الموعد للاجتماع . ولكن المشاكل تعددت في الحسا وهي مرتبطة بعضها

(1) جاء راشد بعد ئذ الى الحجاز ~~[illegible]~~ وكان عند ابنه الامير الملكي علي علياً ~~[illegible]~~ الى جدة ثم فر الى مكة فاقام فيها اثناء حرب وبقي فيها حتى بعد نكبة الحسين فكان يسمع لرجل عبد العزيز ومصاره قد صحب قبل التسليم فاجتمع ~~[illegible]~~ بابيه ~~[illegible]~~ الذي هو اليوم قائد القوات البدوية ~~[illegible]~~ هناك .

قطن عبد العزيز ان

ببعض، فحاول التوسط بين مبارك والعجمان بحل مشكل «العرائف»، فبادر الى تلك الناحية ونزل على

[illegible] ماءٍ يدعى العوينة، وكان في عزمه بعد حسم ذلك الخلاف وحل

ذلك المشكل ان يستأنف السير ليجمع بالهزال والشعلان فيشدون جميعاً على ابن الرشيد .

اما الشيخ مبارك فعندما علم بخروج آل سعود «العرائف»، وانهم جاءوا الحسا، ارسل نجاباً الى عبد العزيز يستأذنه

بان يدعوهم الى الكويت فيسعى في الصلح بينه وبينهم، فقبل بذلك – نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين

العرائف . وجزاء حسنة حسنة مثلها . اما «العرائف» فقبل اثنان منهما دعوة مبارك، وجاء اثنان الى

عبد العزيز مستغفرين مستأمنين فاعطاهما الامان .

ولكن صاحب الكويت لم يقدم على ذلك العمل لغاية ما جاء ابن سعود الحسا من اجله . بل كان هنالك

امر آخر يستوجب ذلك المعروف . واظن القارئ الذي سار معنا من بداية هذا التاريخ يدرك شيئاً من

غوامض الشيخ مبارك السياسية . وهو قلما كان يقدم على عمل لا سر في نفسه في الاقل .

اما السر في توسطه بين «العرائف» و«ولده» عبد العزيز فهو ان رئيس عشائر المنتفق في العراق

سعدون المنصور كان قد جهز حملة عليه – حملة كبيرة لا يستطيع مقاومتها ناهيك بغلبتها – فاسلف

عبد العزيز المعروف، ثم ارسل يستنجده على السعدون .

المستجير بعمرٍو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

الفصل الرابع عشر

الشيخ مبارك يستغيث

لا بد وقد وصلنا الى هذا الحد من تاريخ ابن سعود عبد العزيز ان نعيد شيئاً حديث العهد من تاريخ الانقلاب العثماني. فقد دك حزب الاتحاد والترقي عرش عبد الحميد، واعاد الدستور الى الامة، وأسس فيها حكومة نيابية. ولكنه بعد ان تبوأ عرش السيادة استبد واستأثر فغدا كل واحد من زعمائه عبد الحميد جديد.

وقد اغضب الحزب العرب خصوصاً فقام منهم من اسسوا حزب الائتلافيين ليطالب باللامركزية صوناً لحقوق العناصر الغير التركية.

ثم قام في البصرة جماعة يرأسهم السيد طالب النقيب والشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح يؤسسون فرعاً لهذا الحزب. بل كان من مقاصد تلك النهضة طرد الاتحاديين واستقلال العراق فيحكمها احد اولئك الزعماء.

اثار عملهم غضب الحكومة ولا غرو. وبما ان الشيخ مبارك كان احد الثلاثة، وبما انه كان ذا سوابق سياسية في نظر الدولة، فقد أمرت سعدون باشا الاتحادي بتجهيز حملة من المنتفق عليه ففعل.

وبما ان الزملاء الذين كانوا قد وعدوا بالمساعدة تخاذلوا امسى الشيخ منفرداً في الورطة، فارسل يستنجد ذاك الذي شب وترعرع في ظله فكان يسميه «اولدي» واصبح بطل العرب وزعيمهم الاكبر.

ولكن هذا الزعيم كان يومئذ في ورطة اشد من ورطة «والده» مبارك. ومع ذلك فقد اجاب طلبه، فمشى الى الكويت ومعه جيش صغير من العربان، وفيهم بعض العجمان.

عندما وصل عبد العزيز كان الشيخ مبارك قد جهز ما عنده من قوة لمحاربة السعدون فاشار عليه بالتربص وقال: «ليس بيننا وبين الرجل خلاف حقيقي يوجب الحرب، واني ارى مسالمته اولى. المسألة لطيفة، وانا اتوسط بينكم وبين السعدون».

شق على الشيخ مبارك ان يسمع مثل هذا الكلام فازدرى نصيحة «ولده» الذي طالما امده بالمساعدات والنصائح وكان عونه في الشدائد،

مبارك: «انت اولدي وهل يقبل الولد بأن يهان ابوه!!».

عبد العزيز، وقد عراه شيء من الخجل: لا والله. ولك ما تريد. اني ملبي الطلب ان شاء الله ولكني اسأل

والدي ان يمهلني لاستنجد اهل نجد. ليس معي الآن غير مئتين من رجالي. اما العشائر فلست مركناً اليها في القتال.

مبارك: "اني اجند من الكويت الجنود الكافية، ولا ابغي منك غير القيادة."

عبدالعزيز: "اذا انت باشرت التجنيد فابن سعدون قريب منا وعالم باخبارنا واعمالنا كلها. فهو اذ ذاك يتأهب لنا. ولا ريب عندي ان "شاوي" (رعاة) المنتفق كلهم يلتفون حوله. امهلني قليلاً سلمك الله. ومن رأيي ان تسيّر قوة صغيرة مع احد انجالك، فتبعد عن اطراف الكويت، وتتربص للهجوم على ابن سعدون يوم تتفرق عشائره. وسننال مرامنا منه بحول الله."

المنتفق

ما راق هذا الكلام الشيخ مبارك فأصر في تجنيد الجنود وفي خروج ابن سعود معهم [١٣٢٨هـ و١٩١٠م] ففعل مكرهاً. وكان جابر بن مبارك رئيس جيش الكويت وعدده الفان من الحضر، واربعة الاف من البادية، ومئة وخمسون فارساً. أضف الى ذلك عربان ابن سعود والمئتين من رجاله فيبلغ عدد الجيش كله نحو سبعة الاف. اما جنود الكويت الحضر فقد كانوا من الشبان الناعمة وجوههم، النادرة شجاعتهم.

١٣٢٨هـ
١٩١٠م

لما بعد هذا الجيش مسافة يوم من الكويت جاء رجل من كبار عرب الظفير يدعى الضويحي ليسأل ابن سعود ان يتوسط بينهم وبين ابن الصباح. وتعهد ان السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك بل يقبلون بما يشير به. عرض عبدالعزيز الامر على جابر الصباح فاجابه قائلاً: "اني لا اعهدك جباناً." فغضب عبدالعزيز وقال: "سترون غداً. غداً تظهر الجبانة فتعرفون اين هي."

الظفير

استمروا ذاك اليوم سائرين، فواصلوا السير بالسرى. وكان سعدون بات قد علم بزحفهم فاسرى كذلك بعشائره يريد الهجوم. وكان عدد جيشه يوازي جيش الكويت ولكنه كله من عشائر المنتفق والظفير والبدور وغيرها، واكثره من الخيالة.

نام عربان سعدون في الطريق، ولكنهم عندما احسوا بقرب الكويتيين افاقوا وتراجعوا الى مقر القيادة كي لا ينصادموا واياهم ليلاً.

ولما اصبح الصباح تكلم عبدالعزيز: "اسمع يا جابر. من رأيي ان تأمر البدو بالاغارة على سعدون وجماعته، فنبعدهم عنا، ونشغل العدو. اني والله في ريب من امرهم. اما اذا سيرناهم امامنا فنأمن خيانتهم."

لم يستحسن جابر هذا الرأي . وأصرَّ في ان يكون الهجوم عامًا ، فقال عبدالعزيز يخاطب اخاه الاصغر سعدًا : "اني لا ارى غير الهزيمة لهذا الجيش . قف معي وقوفنا على حدة لنتمكن عند الحاجة من الدفاع عن انفسنا . اليوم يوم دفاع يا سعد لان هؤلاء الناس لا رأي لهم، ولا هم يقبلون النصيحة ."

عندما رأى جابر ان ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش لامهم قائلًا : "انتم اخواننا والاخوان في الحرب لا يحجمون". فخجل عبدالعزيز وامر اخاه بالاشتراك في الهجوم .

وكانت المفاتحة للخيل، فاغارت خيالة ابن الصباح وهم مئة وخمسون، على خمسة من فرسان السعدون، فكرّ هؤلاء عليهم كرات سريعة شديدة هائلة، فانهزموا هزيمة شنيعة، وانهزم معهم جابر وجيشه بدون قتال، ولم يشعر ابن سعود الا وهو وعشرة فقط من الخيالة رجاجيله . اما البقية ففروا مع الفارين، وقد تركوا وراءهم كثيرًا من الحلال والمال - من الامتعة والابل والخيل - فكانت لجيش السعدون هدية من جيش الكويت . وقد دعيت هذه الوقعة، التي جرت في صباح اليوم الاول من جمادى الثانية من هذا العام (١٠ حزيران ١٩١٠) بوقعة هدية .

لحق عبدالعزيز بجابر وقومه المنهزمين فادركهم في عصر ذاك النهار وقال يهوّن الامر عليهم : "هذه عادات الرجال والحرب سجال". فجاء في قوله شيء من التهكم الغير المكتوم . وبينما هم سائرون ضلوا الطريق، وكان قد ادركهم فوق الهزيمة الجوع، ولم يكن لديهم شيء من الزاد . على انهم رحمهم فالتقوا بابا عرشاردة من حملة ابن سعود، وهي تحمل شعير الحنطة، فاطعموا احمالها للخيل، ونحروها ليطعموا انفسهم . وفي اليوم التالي علم فيصل الدويش بقربهم منه فجاء باهله يلاقيهم، فنصب الخيام واضافهم تلك الليلة ضيافة كبيرة . ثم نحر لهم ثانية في الصباح، فتبعوا بعد تلك الهزيمة، ووصلوا السير الى الكويت، وهم يندبون ما خسروا قائلين : "هدية والله اخذنا للسعدون هدية ."

اما الشيخ مبارك فعندما بلغته اخبار تلك "الهدية" خرج الى قصره "الشرة" بوادي كلمه، فجاءه ابنه جابر وولده عبدالعزيز يهوّنان الامر عليه . ولكنه عقد النية على استنفار اهل الكويت ثانية - "سأجمع والله خمسة اضعاف هذا الجيش، وساحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد !"

خطر لعبدالعزيز خاطر يمحو فيه كلام ذاك الغضب . فكان قد رحل "العرائف" من الكويت - "العرائف" الذين استدعاهم مبارك ليصلح بينهم وبين ابن سعود - فارتأى ان يجهّز احد اولاد الشيخ بجيش صغير فيسير عبدالعزيز

معهم ويشاع انهم ساروا يطلبون «العرائف»، فيبلغ سعدون الخبر، فيسرح عربانه «فنعيد الكرة اذ ذاك عليه ونحن مدركونه بحول الله».

جُمَيْمَة

رفض الشيخ مبارك ثانية ان يعمل برأي عبد العزيز. وكان ابن الرشيد قد هجم يومئذٍ على ابن الهزال وابن السعلان، وهما حليفان لابن سعود كما تقدم، فأخذهما في جُمَيْمَة[1] على حدود العراق ونجد. فقال عبد العزيز يستأنف الحديث: «اذا كنت تصر في تجنيد جيش كبير. فانا اترك عندك رعاياي من عرب مطير واعود الى بلادي لان ابن الرشيد بعد انتصاره على الهزال والسعلان، لا بد ان يزحف الى القصيم. واخشى ايضاً ان يقوم «العرائف» بحركة في الرياض فيتفاقم الامر علي. ولا اظنك تريد لي ذلك».

بناحيته

كان قد آمل الشيخ مبارك ان يغلب السعدون ولو باسم ابن سعود، فندم لانه لم يقبل بناحية، فلا يعرض به في مواقف الخطر يوم ضعفه. وكان الاجدر به ان يتسلح بشهرة عبد العزيز ومناصرته السياسية فيذخره لساعة القوة في الحرب. ولكنه، وقد ادرك هذه الحقيقة الان، رفع الحجاب عن نفسه المتألمة عند استماعه كلمات عبد العزيز الاخيرة - «اذا رميتني اليوم يا ولدي فليس لدي احد ينهض بي، فيتمكن مني العدو. انا والدك يا عبد العزيز، ولي عليك حق المساعدة، والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع . . . ابقَ عندي ولا تخرج مع الجيش - ابقَ عندي فاتسلى بوجودك معي».

اجل، قد تجلت له الحقيقة التي حجبها عنه في اول الامر الوهم والغرور، وهذه الحقيقة هي ان مجرد وجود ابن سعود عنده هو مفيد. فطلب عنه ذلك وكان في طلبه لطيفاً ووديعاً.

- ابقَ عندي ثلاثة اشهر فقط.

قال عظمة السلطان لمؤلف هذا التاريخ: استحيت منه، بعد هذا الكلام، وبقيت.

وكان مبارك اثناء تلك الثلاثة اشهر مطمئناً فلم يهاجمه السعدون. ولكن فوائد قوم عند قوم مصائب. فقد كان ابن سعود في قلق دائم، لان ابن الرشيد كما تقدم غلب حليفيه الهزال والسعلان، والعجمان تآمروا و«العرائف» عليه، و«العرائف» اسندوا عائدين الى الرياض، ومنهم من كتبوا الى الشريف حسين في مكة يستنجدونه على عبد العزيز. اضف الى ذلك ان القيظ كان يومئذٍ شديداً، فتفرقت البوادي وراحت تنشد المياه.

ثم حدث حادث بينه وبين بعض عربان مطير اعتدوا على عرب من قحطان وسبيع ولاذوا بابن الرشيد، ثم جاؤوا الى اطراف الكويت، فاراد عبدالعزيز تاديبهم فتصدى له الشيخ مبارك فكتب اليه يومه قائلاً: "كان الاجدر بك ان تساعدني عليهم وهم من قبائلي العاصية"!

عندما جاء

اشتعل الغضب في صدر مبارك — وما كان اسرع اشتعاله — فخرج من الكويت الى معسكر ابنه جابر، فاجتمع هناك بعبدالعزيز، وكانت اول كلمة منه مرادفة للاهانة والطرد. قال الشيخ: "انك يا ابن سعود تبغي اهلاك". فاجابه بكلمة واحدة: "نعم" وخرج من ذاك المجلس كما دخل مبارك اليه، مكتئباً متغيظاً.

انها لايام عصيبة في تاريخ عبدالعزيز، تعددت فيها الاعداء والاخطار، وهربت بواديه، وكان جزاء معروفه الاهانة وغمط الجميل، وفوق ذلك كله قد كان في عسر مالي ندر مثله في العشر السنوات الماضية من حياته.

الحق

المال! قد كان في حاجة شديدة الى المال — وانه ليدهش القارئ مقدار حاجته وهو حاكم نجد وكبير العرب. ثم فبعد ان حاول ان يستدين من اهل الكويت، فاعتذروا خوفاً من مبارك، ثم ارسل الى نسيبه ووكيله في البصرة عبداللطيف باشا المنديل يطلب منه الفين ليرة — الفين فقط — ويقول له ان يقبض القيمة مما تبقى عند الدولة من معاش الامام والده.

≡

وهذه الطامة الكبرى — العسر المالي الذي ندر مثله في العشر السنوات الماضية من حياته.

وهذه الطامة الكبرى — العسر المالي

التركي

اجل قد كان

الفصل الخامس عشر

الشريف حسين يسمو للأردن

من نهم الزمان، وقد ولى المتمرد عليه من الناس ان يجيئه في اليوم العصيب بما لا ينفعه من نوافل الحياة، بل بما يزيد في غمره وحزنه .

كان السلطان عبد الحميد قد منح الامير عبد العزيز ابن سعود لقباً ونيشاناً من اعلى درجات المجد عنده، فصارت الجرائد في بغداد وفروق تنعته بالنعوت الفخمة بعد ان كانت، في ايام نزوه وعزه، تتحامل عليه .

— غزا الامير الخطير عبد العزيز باشا سعود القبائل «المحتلة برامة اهل السبيل فكسب شكر اهل الجميل» . بعد ان غزا الامير الخطير والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود .. قبائل مطير وحرب توجه قاصداً الرياض» ليحجم نفسه حيناً من الزمن لامر ذي بال»

والحقيقة اولى ان تقال . فقد عاد عبد العزيز من الكويت في اواخر هذا العام راكباً مطية الافلاس، يحف به جيش من الغم، وصاحب بيرقه يدعى اليأس، فتصالح وابن الرشيد [١٣٢٩ هـ و١٩١١ م] — مكره اخوك لا بطل — لكي يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة في مقاومة «العرائف» اقاربه . وقد ارسل اخاه سعداً الذي لم يكن يتجاوز السبعة عشرة من سنه الى عتيبة يستنجد رجالها لهذه الغاية

ولكن عتيبة الخائنة ولت بوجهها شطر مكة، فانحازت الى الشريف حسيناً، يضيف بعض «العرائف» ويكرمهم اكراماً لابن سعود ! — ليس بيننا وبين ابن سعود، ايها النجيب، غير ما يوجبه حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كمالات نجابتكم !!

~~وكان الحسين قد جند مئتين من الحضر وارسلهم بقيادة ابنه عبد الله الى القصيم، ثم جمع البوادي~~ [١٣٣٠ هـ و١٩١٢ م] ~~وخرج بعد انقضاء الحج الى نجد في طليعة هذا العام~~ ونزل الكويبيه بـ ديرة «عتيبه» .

لم يكن والحق يقال، بين الحسين وابن سعود عداء في تلك الايام يجر الى الحرب او يقضي حتى بالغزو . ولكن الشريف كان موالياً للاتحاديين، ساعياً في اكتساب ثقتهم، طامعاً بالسيادة له ولانجاله . وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببيت الرشيد بعد ان تعددت فيه الجرائم العائلية السياسية، فادارت بنظرها الى الحسين وهي ترجو ان يستميل في الاقل ابن سعود اليها . ولا ريب ان الشريف وعدها باكثر من ذلك .

لم يرسل الحسين عبد الله في هذه الواقعة الى القصيم بل خرج الحسين بنفسه

خرج الحسين من الحجاز بجيش من البدو والحضر في رجب من هذا العام [١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م] ونزل الكويلعية «ديرة» عتيبة . وراح سعد «يستنجد» تلك الديرة للغاية التي ذكرت، فلما وصل الى

ولما وصل سعد اخو عبد العزيز الى اطراف الكويتية خرج اليه فصيلة من خيالة عتيبة، فظنهم جاؤوا يلاقونه ويرحبون به. ولكنه عندما دنا منه، ادرك قصدهم الحقيقي. ولم يكن معه غير اربعين رجلاً فركب عشرة منهم الخيل وقفلوا راجعين، فلحق اهل عتيبة بهم وهم يؤمنونهم قائلين: "نحن خدامكم، قفوا ولا تخافوا". صدّقهم سعد، ولم يصدقهم رجاله. فوقف بالرغم عن تحذيرهم، فقبض بنو عتيبة عليه واخذوه اسيراً الى الشريف حسين.

وكان عبد العزيز قد تأهب لمحاربة "العرائف" بالحريق عندما اتصل به هذا الخبر، فترك اربعمائة من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الخرج وكر راجعاً، فارسل يستنجد اهل نجد، ومشى لاغاثة اخيه.

اما الشريف فبعد ان اسر سعداً رحل من الكويتية شمالاً فنزل الشعري، ثم زحف من الشعري شرقاً فنزل ماء قريباً من الوشم. ولكنه عندما علم ان ابن سعود قد وصل بجيشه الى ضرمه تراجع غرباً فنزل على ماء يدعى العرجاء وارسل يستنجد ابن الرشيد. فكتب وكيل الامارة زامل السبهان الى عبد الله بن جلوي امير القصيم يومئذ يقول: "ان بيننا وبين الشريف معاهدة تضطرنا الى مساعدته". اما عهد الصلح بينهم وبين ابن سعود فكان قصاصة من الورق.

والدليل على ان الشريف لم يكن يقصد الحرب من هذه المناورات، غير ازعاج ابن سعود واكراهه على ما يريد، اذ هو يفر ويكر من ماء الى ماء، انه كان يفر ويكر من ماء الى ماء كلما سمع بقرب ابن سعود منه. وقد كتب ليؤكد ذلك: "اذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا بأخيك سعد الى مكة فيبقى عندنا الى ان تطلب الصلح".

اما الصلح فشروطه بيد الشريف حسين. ومن غرائب الاتفاق ان خالد بن لؤي امير الخرمة كان يومئذ الواسطة بين الاثنين. وخالد هذا واهله، وان كانوا من اشراف الحجاز، هم منذ القدم على ولاء وآل سعود فقد تمذهبوا بالمذهب الوهابي في ايام سعود الكبير وظلوا متمسكين به، محافظين عليه.

جاء خالد الى عبد العزيز يعرض شروط الشريف. ولم تكن غير شروط الدولة التي كانت تطلب ان يعترف بسيادتها ولو اسمياً في نجد او في الاقل في القصيم. وطلبت فوق ذلك ان يدفع ابن سعود شيئاً من المال، عربون التبعة، كل سنة.

انه لأمر مضحك عجيب. ابن سعود يستدين من نسيبه ووكيله في البصرة ما يسد به حاجاته ويحيله على الدولة! والدولة تسعى بواسطة الشريف ان تدخل ابن سعود في تبعيتها فتتقاضاه بدل ان تدفع له المشاهرات.

جاء خالد يحمل شروط العلج، وخالد وان كان بدويًا هو على شيء من الذكاء والدهاء. اسمعه يخاطب عبدالعزيز فيقنعه .

- اسمع ياعبدالعزيز انا اعلمك . لاغاية للشريف سيئة . لا والله . ولكنه يبي (يبغي) يبيّض وجهه مع الترك . فاكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك . وانا اتكفل برجوع سعد واتكفل ان الشريف لا يتدخل في امور نجد - هذا اذا كنت لا تتجاوز الحدود . اما اذا هو اعتدى عليك فانا خالد بن لؤي اعاهدك عهد الله عليه . فاكون معك والله كما كان آبادي مع آبائك وكما كان اجدادك مع اجدادي !"

قبل عبدالعزيز بتوسط خالد وكتب له " قصاصة ورق " تنفع الشريف عند الترك ولا تضر كاتبها . فقد تعهد فيها ان تدفع بلاد نجد للدولة ستة الاف مجيدي كل سنة —

وما كانت غير [illegible] قصاصة من ورق .

الفصل السادس عشر

العرائف والهزازنة

يذكر القارئ ان اولاد سعود بن فيصل الذين احتربوا وعمهم الامام عبدالله كانوا مقيمين في الخرج فصار لهم في تلك الناحية اشياع وانصار . ويظهر ان النزعة الى العصيان ظلت تتقد في صدور آل سعود الذين كانوا هناك يومئذ فاسرهم ابن الرشيد . والآن . عندما عادوا من الكويت والاحساء نزلوا الى الخرج يريدون الاستيلاء عليه. ولكن اهل تلك الناحية واميرهم اذ ذاك فهد بن معمّر صدوهم عن ذلك وطردوهم في اليوم الثاني بعد وصولهم فدخلوا الى حيث انقدت منذ سنتين فتنة الهزازنة - الى جهات الحوطة والحريق

اما الهزازنة الذين كانوا اسرى في الرياض فكان عبد العزيز قد اطلق سراحهم واذنهم بالرجوع الى بلادهم اكراماً لامير قطر قاسم بن ثاني الذي توسل من اجلهم . فعندما جاء «العرائف» بعد ان طردوا من الخرج رحب الهزازنة بهم وتعاهدوا واياهم فتوحدت القوتان والمقاصد .

وكان قد انضم اليهم اناس اخرون في الحوطة فمشوا معهم الى الحريق وهجموا على القصر هناك وفيه سرية لابن سعود فحاصروه سبعة ايام ~~فسلمت السرية~~. واستولوا عليه -

اما ابن سعود فعندما عاد من القصيم بعد ان صالح الشريف حسين وخلص اخاه سعداً من الاسر جاء تواً الى ناحية الحريق الذي كان قد استولى عليه العرائف والهزازنة ومعهم جمع كبير من البادية .

ان الحريق كائنة في وادٍ بين جبلين وليس لها غير طريق واحد فاسرى فيه عبدالعزيز ليدخل البلدة ليلاً على حين غرة . وعندما وصل في اليوم التالي الى قصر قريب منها نزل هناك وامر جيشه الذي لم يكن يومئذ غير الف ومئتين من الحضر ان يعسكر ويستعد لحصار طويل .

ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من خيالته فكانت الشرارة التي اضرمت نار الحرب .

هجم حضر عبدالعزيز هجمة واحدة على الحريق ولم يقفوا حتى استولوا عليها وعلى بلدة اخرى اسمها مغيبر. فشرد آل سعود «العرائف» على خيلهم والتجأوا الى اهل الحوطة فردوهم خائبين فرحلوا اذ ذاك الى الافلاج .

وكان في السيح(1) هناك اخوهم فيصل وفي ليلا(1) احمد السديري من قبل ابن سعود فاهتم بالاثنان ~~جملة~~ قبلاً قبل وصول «العرائف» .

---

(1) ليلا قاعدة الافلاج والسيح بلدة من بلدانها فيها مياه جارية .

اما عبدالعزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوباً فنزل نعام، قرية في الطريق، واراد الجيش ان يهاجم على الحوطة فيكتسحها فابى ذلك قائلاً: "لا اسعى في خراب بلدين من بلادي في يوم واحد. ساقدم لاهل الحوطة الصلح واعطيهم الامان. لعل الله يهديهم سواء السبيل."

اما الامان فظفروا به شكراً لعالمهم ~~...~~ درو/رسائهم الذين خرجوا الى عبدالعزيز وقد عقدوا المحارم في رقابهم. ولكن اهل الحوطة برابرة قتلة لا يفصلون على الرقاب، ولا يتفاهمون في العقاب، غير السيف. ومع ذلك فقد صفح عبدالعزيز مشترطاً ان يدخل بجيشه البلد، فدخل ظافراً، ثم زحف الى الافلاج.

وبينما هو على ماءٍ في الطريق جاءه رسول من اميره السديري يقول ان حين وصول العرائف الى السيح علم اهل البلدة بما جرى في الحريق فخرجوا هاربين وقد تركوا فيها امتعتهم واموالهم، فغنمها السديري عند احتلاله تلك الناحية. ولكن سعود بن عبدالله احد "العرائف" وعبدالعزيز الهزاني الذي فر هارباً بعد فتنة الهزازنة الاولى، ومعهم ثلاثون رجلاً، هجموا على السيح بعد ان هجرها اهلها، دون ان يعلموا بما جرى في الحريق، فقبض السديري عليهم كلهم والقاهم في السجن. وصل عبدالعزيز، فاطلق سراح سعود بن عبدالله، وخيره في امرين، البقاء عنده او الالتحاق باخوانه، فاختار البقاء (هو سعود العرافة الموجود الآن في الرياض وسنعود الى ذكره) ولكن الذين شردوا من العرائف، الا واحداً كان قد سار الى الحسا ليستنهض البادية هناك، رحلوا الى مكة ولاذوا بالشريف حسين.

اما الهزاني وجماعته المأسورين فقد امر عبدالعزيز بقتلهم الا راشد، وابنه عبدالله (١) ~~...~~. هي المرة الاولى التي حلت القوة محل الحلم في حكمه. ولا غرو، فقد سبق منه الاحسان، وتكررت منهم الاساءة.

ووضع النَدى في موضع السيف بالعلى
مضرٌ كوضع السيف في موضع النَدى

===

(١) راجع الشرح د صفحة . . . . .

الفصل السابع عشر

لا نصر ولا انكسار

لم تنج البلاد العربية مما اعترى حكومة الاتحاديين من عوامل الضعف والفساد، فذهبت هيبة السلطتين المدنية والعسكرية، وضعفت الثقة بأولي الامر من الترك كانوا او من العرب. ولكن العصبية في بعض القبائل حالت دون التفكك في الامارات والاحكام، فاذا ~~...~~ راددت حكومة المدينة عربان الحجاز، وساومت حكومة بغداد عشائر العراق، وشاركت حكومة الحسا رؤساء البدو المجرمين، فقد ظلت شمّر الركن الاوطد لابن الرشيد ومطير العضد الاكبر لابن الدويش، والمنتفق القوة الثابتة لابن السعدون، وظلت الظفير كتلة واحدة بيد ابن سويط.

ولكن شيوخ هذه القبائل كانوا يوما احلافا بعضهم لبعض ويوما اعداء. فقد تحالف مثلا وتحارب السعدون وابن سويط مرتين في برهة قصيرة، وكان ابن الرشيد صديق الاثنين اليوم وعدو هذا او ذاك منهما غدا. ~~ثم تزوج العجمي~~ ~~السعدون بابنة ابن الرشيد فكانت المصاهرة محالفة على ابن سويط وابن الهجاج~~. لم يتزوج العجمي ابنة ابن رشيد

اما ابن سعود فحاله في سنتي ١٣٢٩ و ١٣٣٠ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حال المصارع الذي يستوي واقفا قبل ان تلمس يده الارض. وبكلمة اخرى قد كان على ضعفه، القوة الوحيدة التي لم تستطع الاخصام ان تفيد هدفها او ان تسحقها بالحضيض. بل قد كان على ضعفه يضرب في فترات التنفس الضربات المدوخة، وفيها البرهان ان هناك قوة، وان نهكت، لا تفلّ. فقد مرّ وهو عائد من الافلاج ~~عندما عاد عبد العزيز من الخرج ... في طريقه~~ بقبائل من الدواسر عاصية فادّبهم ثم سار الى الحسا، بعد ان استراح بضعة ايام في الرياض، فضرب العاصين من العجمان هناك واحسن ~~...~~ التأديب (١)

وبينما هو في جهات الحسا سمع مرة ثانية الشيخ مبارك يستغيث. فقد جاءه وفد من الكويت بكتاب من والده مشفوع بذلولين، وجاء في الكتاب: "اني مرسل اليك ذلوليّ وقد كنت اركبهما الى الغزو. وانا الآن عاجز عن الركوب والمغازي... انا والدك يا عبد العزيز، والذلولان وقد شهدا الغزوات والمعارك العديدة، هما لك يا ولدي وهما يطلبان منك ان تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون".

فاجاب عبد العزيز ان مشاكله كثيرة، وعشائره منقلبة، فيخشى الخيانات بعد ان اجتمع له الامر في بلاده.

(١) التأديب هو العقاب والغرامة ويكون غالباً بدون حرب.

وهو يضطر والحال هذه ان يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكله الداخلية ومنها في ذلك الحين مسئلة تركي ابن سعود العرافة الذي انحدر الى الحسا من الخرج، كما قلت في الفصل السابق، يستنهض العجمان. وقد انضم اليه آل سفران فخذ منهم.

لم يهم الشيخ مبارك ذلك، فرفض عذر عبد العزيز. ولكنه كان يحسن التأوه والاستغاثة، فكتب ثانية الى «اولدي»! — "انا اصيح واناديك وانت يا ولدي تصم اذنك. ابمثل ذلك يعامل الوالد؟ اتهجرني يوم شدتي فيساعد هجرك العدو علي؟ اسمعني يا ولدي يا عبد العزيز اسمعني اصيح واناديك الخ..."

سمع عبد العزيز فاستنفر عشائره ليلبي النداء، ومشى بعد ذلك بجيش مؤلف من الف وخمسمئة من الحضر وخمسة الاف من البدو. وكان معه اثنان من ~~اولاد مبارك~~ ابناء الصباح هما سلمان الحمود وعلي الخليفه. راح ينتقم «لوالده» من ابن السعدون وابن سويط.

وكان قد اعلم الشيخ مبارك بمسيره وانه سينزل الحفر. ولكن العدو اثناء ذلك انقسم قسمين، فاحترب اهل الظفير واهل المنتفق بعد ان كانوا متحالفين. ولذلك اسباب عربية وتركية. اما العربية فهي مألوفة وتكاد تكون طبيعية. واما التركية فمنشأها النزاع بين الاتحاديين والائتلافيين. وكان هذا النزاع يمتد الى العشائر بواسطة رؤسائها، فيتذرعون به ليثأر بعضهم من بعض، وندر فيهم من ليس له ثأر على الآخر.

حارب

علم الشيخ مبارك بما جرى بين عدويه وكان حمود بن سويط اميل الى الائتلافيين منه الى خصومهم فجر ذلك الى انقلاب سريع في قلب «الوالد» فكتب الى الشيخ حمود يقول: ابن سعود زاحف عليك فخذ حذرك منه.

وقد كان قصده ان يستميل ابن سويط اليه فيستعين به على الاتحادي سعدون، ولكنه كان من الصابرين الكاظمين.
قد علم عبد العزيز بذلك منذ اثناء ارسلهم الشيخ مبارك الى رئيس عشائر الظفير فتأسف جداً.

اما رجاله فهيجهم الخبر واثار غضبهم فنادوا بالهجوم على صاحب الكويت: ~~هذا~~ هو عدو لنا يا عبد العزيز. بل هو عدو الله. كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يخبره بذلك ليكون على حذر. رخّص لنا فتجري الدم كالانهر في اسواق الكويت!"

سكّن عبد العزيز روعهم قائلاً: "قد قمنا نحن بما علينا. اما هو فقباحة عمله عليه".

ولكن ابن سويط لم يشأ ان يعادي ابن سعود فارسل اليه وفداً، ومعه هدية من الخيل، يطلب العفو،

(١)

فعفا عنه . ثم توجه الى ناحية الزبير فورد كابدة ووجد هناك اغناماً كثيرة لابن السعدون فغنمها كلها . واستمر سائراً الى سفوان (١) فلاقاه في الطريق رسول من والي البصرة ومعه وفد من اهل الزبير فاكرموه غاية الاكرام واهدوه الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الاهالي . وبكلمة اخرى جاءوا خائفين مستعطفين ، فامر جيوشه بالا يتعدوا على احد ولا يأذوا احداً في اطراف الزبير والبصرة .

وعند وصوله الى سفوان جاءه عبد العزيز الحسن من قبل الشيخ مبارك بمهمة جديدة . قد كان لمبارك عدداً من "الشوادي" اي رعاة الغنم في تلك الانحاء لا يأخذ منهم ذبيحة (٢) وهم يوماً من رعايا العراق ، ويوماً من رعاياه ، فكتب الى عبد العزيز يقول : " اريد منك ان تهجم على هؤلاء الشوادي وتأخذهم او تأخذ خيولهم وسلاحهم " . فادرك عبد العزيز القصد من ذلك . قد اراد مبارك ان يسترضيه ، واراد من جهة اخرى ان يحرك عليه حكومة العراق . فلم يمكنه عبد العزيز من تحقيق قصده المزدوج .

فقفل من سفوان راجعاً الى الكويت ، فرفض قومه ان يرجعوا معه :- " لا نذخلها والله غير محاربين " . ابى عبد العزيز ذلك عليهم ، فمشوا معه طائعين حتى وصلوا الى الجهرة ، فنزلوا فيها وجاء الشيخ مبارك يسلم على ولده ، فاعتذر عما بدا منه دون اسهاب في التصريح ، وقبل عبد العزيز العذر دون معاتبة .

ثم سار يقصد الى الحسا وكان قد كثر فيها وفي جوارها الاشقياء فبلغه وهو في الطريق ان العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيصل الدويش واخذوا عدداً كبيراً من الابل ملك رجل من الموصل اسمه " ذو النون " كان في ضيافة ابن سعود ، فسارع الى مقاتلة المعتدين .

ولكنه أُخبر انهم على ماءٍ قريب منه ، فراح يطلبهم هناك ، فادركهم واخذهم جميعا . ثم علم انهم غير المذنبين ، وانهم ابرياء ، فاعاد اليهم كل ما أُخذ منهم وأُخلي سبيلهم .

اما المذنبون ورئيسهم تركي العرافة ، فكانوا قد التجأوا الى حكومة الترك في الحسا ، فاخبروها ان " ذا النون " من رعاياها من الموصل فارسلت الحكومة تحتج على ابن سعود ، وتحذره من التعرض لقبيلة العجمان . فاجاب ان في تأديبه لهذه العشيرة خير للناس وللحكومة .

ولكنه لم يشأ يومئذ ان يغضب الترك في الحسا فتركهم وشأنهم .

(١) كابدة وسفوان ماءان في الطريق الى البصرة على حدود الكويت ونجد .

(٢) ويقال الذبيحة والمنيحة ، فالمنيحة من ماحه عند الامير اي شفع له . والذبيحة اي عدد من الانعام يقدمها البدو للامير في سبيل الشفاعة .

الفصل الثامن عشر

الاتراك والوحدة العربية

≡

خبطت حكومة الاتحاديين في دياجي الاثرة خبط عشواء، وتلطخت ايدي زعمائها بدم الابرياء، فنفرت منها كل العناصر الغير التركية، بل هاجت عليها فئة عاقلة من الاتراك انفسهم، ولكنها لم تظفر بشيء يذكر. ولا ظفرت الحكومة بامنية من امانيها القومية او الوطنية. فقد حاولت تتريك العرب فباق بها الفشل، وحاولت استرضائهم بعد ذلك فكانت كالنافخ في الرماد.

فدافعت تلك السياسة الى الحرب الاولى بعد الدستور، بل الى الخسارة الاولى من الممالك العثمانية.

١٣٣٠ه / ١٩١٢م انتصرت ايطاليه، وذهبت طرابلس الغرب. ولكن الذي يهمنا في هذا الصدد هو ان اميرًا من امراء العرب اي السيد الادريسي كان حليف الاجانب على الاتراك وظل الامراء الكبار الاخرون، ما عدا الشريف حسين، على الحياد في تلك الحرب. حتى ان الامام يحيى عدو الادريسي ظل ساكنًا، فلم يغتنم الفرصة للفتك بالادارسة واتباعهم. وجل ما كان من «اخلاصه» للدولة انه اذن لعساكرها ان تجتاز بلاده لتسقط على الادريسي من الجبال فتجتز ساقة جيوشه.

ثم طلبت حكومة الاتحاديين المساعدة من ابن سعود، وتعهدت ان تقدم له كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال، فما لبى الطلب لاسباب ذكرها في كتاب كتبه الى الحكومة فقال: انه عربي فلا يحارب من اجل الدولة العرب، وانه والادريسي على ولاء، وان البلاد في كل حال بعيدة عنه فلا يتمكن من محاربة اهلها.

عادت الحكومة فطلبت منه ان ينهض الاحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية، او بالحري لحماية الترك فيها، فرفض ذلك ايضًا.

(١٩٠٦-١٩١٣)

ثم كتب اليه والي البصرة سليمان شفيق كمالي باشا، الذي ~~تعين بعدئذ~~ كان حاكما عسكريا في عسير [illegible] [illegible]، يسأله رأيه في امراء العرب، وفي شقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية. فكتب ابن سعود اليه جوابا صريحًا فيه البرهان على انه كان منذ ذاك الحين يفكر في الوحدة العربية. والى القارئ خلاصة هذا الجواب. قال ابن سعود يخاطب والي البصرة:

«انكم لم تحسنوا الى العرب، ولا عاملتموهم في الاقل بالعدل. وانا اعلم ان استشارتكم اياي انما هي وسيلة تستطلع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي. وهاكم رأيي، ولكم ان تأولوه كما تشاءون.

#

اعطِ هذا الكتاب كله تبديل
3 الصف

انتم المسؤولون عما في العرب من شقاق، فقد اكتفيتم بان تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته . وقد فاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم امره الا بالعدل والاحسان، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم .

اردتم ان تحكموا العرب فتستعلون أربكم منهم فلم تتوفقوا الى شيء من هذا او ذاك . لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم .

وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجوهرية . واما ما يختص منها بالعرب فاليكم رأيي فيه :

اني ارى ان تدعو رؤساء العرب كلهم، كبيرهم وصغيرهم، الى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية ليكون لهم حرية المذاكرة و... الغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف، ... ثم تقرير احد امرين، اما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد، واما ان تقسموها الى ولايات، فتحددون حدودها وتقيموا على رأس كل ولاية رجلاً كفؤاً من كل الوجوه، وتربطوها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات . وينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا انتم المشارفين عليها . فاذا تم ذلك فعلى كل امير عربي، او رئيس ولاية، ان يتعهد بان يعضد زملاءه ويكون واياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده، او اخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم .

هذي هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب، ويكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم » .

فاستحسن والي البصرة هذا الرأي فارسل به الى الاستانة . ولكن اولي الامر هناك لم يستحسنوه، بل سفهوه قائلين : يريد ابن سعود ان يجمع كلمة العرب بواسطتنا ولخيرنفسه .

وكانت سياستهم مبنية على ظنهم، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سرًا وعلنًا، بمساعدة عمالهم هناك وبواسطة بعض امراء العرب . وقد كان يومئذ جمال باشا في بغداد، والشريف حسين في مكة، وابن الرشيد في حائل في مقدمة من يسمعون كلمة الاستانة ويطيعون .

فطفق الشريف يحرض على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة . ثم جهز جيشاً لراشد الهزاني[1] الذي كان قد لجأ « والعرائف » اليه، وسيره على الحريق . وكذلك أمد « العرائف » لمحاربة نسيبهم صاحب نجد .

(1) راجع الشرح صفحة .

فارسل عبد العزيز صالح باشا العذل رسولاً الى الشريف مصحوباً بهدية من الخيل وكتاب جاء فيه: اننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة.

وكان جيش ابن سعود قد اغار على فخذ من فخوذ عتيبه المتشيعين للعرائف، فغنم مالهم وحلالهم فغضب لذلك الشريف ورد صالح العذل خائباً ورد فوق ذلك الهدية.

حزع

[illegible] بالزلفي فاذنوه [illegible] الى [illegible] بلحا «العرائف» على ابن سعود، [illegible] لم تسفر في هذه السنة عن شيء.

ولا حول ولا — وكم بين من الحرب غير مناوشات

هذه السنة وقد

ولكنها، اي سنة ١٩٢٠، لم تنقضي بسلام، فقد ختمت بخيانة أخرى في القبائل، وكانت اشدها وقعاً في نفس عبد العزيز. كيف لا والقبيلة هي مطير ورئيسها هو فيصل الدويش.

الذى استغواه

فقد استغوى عجيمي السعدون فيصلاً واستنهضه وعربانه على محاربة الظفير. وكانت اليد وراء الستار يد الترك، والصوت صوت المشتركين يومئذ من العرب.

المشتركين

=

وكان جيشه ابن سعود قد اغار على فخذ من عتيبة المتشيعة للعرائف، فغضب لذلك الشريف ورد صالح العذل خائباً ورد فوق ذلك الهدية. وقد ختمت هذه السنة بخيانة مطير، ورئيسها فيصل الدويش، الذى استغواه عجيمي السعدون واستنهضه وعربانه على محاربة الظفير. اما اليد الخفية في هذه الخيانة فيد الترك، واما الصوت فصوت المشتركين من العرب.

=

الفصل التاسع عشر

فتح الحساء

ان خلاصة ما تقدم في ما يختص بالترك هي انهم كانوا في عهد الدستور يناوئون العرب، وبالاخص من حاول ان يجمع كلمتهم ويوحد سياستهم، اي ابن سعود. فقد حرضوا عليه الشريف حسين، وابن الرشيد، وابن السعدون واستغووا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير، ناهيك بالعجمان في الحساء وبحرب في اطراف الحجاز الذين لا يُعرف يومُ اخلاصهم من ليله.

[١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م] قد بلغت العداوات في بداية هذا العام اشدها، فكانت النتيجة ان سارع عبد العزيز الى تحقيق ما كان يبغيه.

خرج في شهر ربيع الاول من الرياض ورحلته الحساء، فنزل على ماء الخَفْس حتى آخر الشهر، واغار اثناء ذلك على عربان من بني مرة مذنبين فاخذ مواشيهم، على ان الغرض من هذه الاغارة لم يكن محصورًا بظاهره.

تقدم بعد ذلك الى الحساء، فارسل الاتراك يستطلعون خبره وقصده، فقال: "انما قصدي الامتيار (شراء الامتعة والزاد)". والحقيقة هي انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود وعاد الى الرياض تاركًا عسكره في الخَفْس.

وفي ذلك الحين وصل الى عاصمة نجد، قادمًا من الشام بطريق الجوف، رجل انكليزي اسمه ليتشمن (١)، فسأله ابن سعود: "وما القصد من سياحتك؟" فاجاب قائلًا: "اني جغرافي واريد ان تساعدني لاجتياز الربع الخالي من واحة جبرين الى عُمان".

عبد العزيز: "ان قدومك الينا على هذا الوجه خطأ، فلا علم لنا به ولا معك توصية من الحكومة البريطانية".

ليتشمن: "اني رجل انكليزي طالب علم، وانتم مشهورون باكرامكم الانكليز خصوصًا العلماء منهم".

لم يتأكد عبد العزيز حقيقة ما ادعاه الرجل، بل ظن انه يتجسس للترك. وبما انه كان قد اعتزم الهجوم على الحساء، وكان قد خامر الترك بعض الريب في امره، رأى ان يستخدم هذا الجغرافي لازالة ذلك الريب، فيطمئن من انحصم البال، ويسير هو مطمئنًا الى غرضه.

لذلك قال: "لا استطيع ان اجيب طلبك غير الترك في الحساء، فارى ان تذهب الى المتصرف هناك. وانا اكتب

---

(١) هو Col. Leachman الذي قتل في العراق سنة ١٩٢٠

عين بعد ذلك مستشارًا في حكومة العراق — [illegible]

Gerard E.

وقد قتل هناك بين الفلوجة وبغداد في ١٢ اغسطوس سنة ١٩٢٠، قتله عمدًا وانتقامًا حميد بن ضاري المحمود من قبيلة زوبع.

اليه بخصوصك "

ومما قاله في كتابه : ~~المديح بعبارات الولاء~~ . " ان هذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم ، فلكم في ما ينبغي الرأي الموفق ان شاء الله .

رحل فيلبي ، وبعد قليل شد ابن سعود راجعاً الى معسكره في الخفس . فكان اول ما باشره ان سعى في ابعاد العجمان لانهم ذو مطامع سياسية في الحسا ، وقد لا يوفقون على احتلالها . وبما انهم وعرب مطير " قوم " اعداء سيرهم الى الشمال لمحاربتهم لانهم انضموا الى عجيمي السعدون .

ثم زحف الى الحسا ، فالتقى في الطريق بنجاب من حكومتها يحمل كتاباً اليه من المتصرف وفيه الرجاء ان يعلمه من اية الجهات جاء الانكليزي الى الرياض . فقال ابن سعود للنجاب : " غداً ان شاء الله انا بنفسي اعلم المتصرف " .

قد ذكرت اهم الاسباب التي حملت ابن سعود على فتح الحسا . وهناك سبب آخر لا يقل اهمية عما تقدمه منها ، فقد عجّل ، في الاقل ، بنتيجتها . كان جمال باشا - جمال المشانق السورية بعينه - يومئذ والياً في بغداد ، وكان يجامل ابن سعود ويتظاهر بصداقته ، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف حسين ، وسأله ان يرسل مندوبا الى بغداد للمذاكرة في هذا الامر .

ارسل ابن سعود رجلاً من رجاله العصريين هو احمد بن ثنيان (١) . ولكن جو السياسة العربية تغير اثناء ذلك ، فطلع فيه نور ابن الرشيد ، وكان النور شبيهاً بوهج الاصفر الرنان . فجذب الجمال الى ابن الرشيد ، وعندما وصل ابن ثنيان الى بغداد وجده غير جميل ، وسمع كلاماً لا جمال فيه ولا حكمة .

" ابن سعود لا يعرف مقامه ، وقد غره ان صفح عنه المشير فيضي باشا . فاذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة ، فان في امكاني ان اخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين - بطابورين لا غير " .

عاد احمد يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز ، فكتب عندما استمعه كتاباً الى جمال ارسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل وفيه هذه الكلمة :

" قلتم انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب . ونحن نقول ان سنقصّر لكم الطريق ، وذلك قريب ان شاء الله " .

---

(١) توفي في الرياض في سنة ١٩٢٢ م

اعلمونا بتاريخ وفاته

ثم كتب الى عبداللطيف المنديل :- "اذا سألك الترك هل انت مندوب ابن سعود فقل لهم : اني عثماني". وقد اشار بذلك خشية ان يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحسا.

ولكن عبداللطيف باشا، (صاحب العلاقات الادبية) لم يعمل باشارة موكله فلم ينكر انه نجدي او وكيل ابن سعود. وقد قال للاتراك : "قد جهلتم قدر هذا الرجل وها هو الآن يعرفكم بنفسه".

وصل ابن سعود الى الطرف، ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه ابناء القصيبي ويوسف بن سويلم. فسألهم ان يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت (١) ففعلوا، واعلموه بما هناك من الصعوبات، لعلو السور، ووجود الحرس، فاربل اليهم يقول : "انا هاجمون في هذه الليلة، وكل صعب مستسهل بحول الله".

كان عبدالعزيز قد نزل على عين من عيون الاحساء تبعد ميلاً واحداً من الهفوف. وفي الساعة الثالثة ليلاً (١٠ افرنجية) في ٥ جمادي الاولى من هذا العام (١٢ نيسان ١٩١٢) خرج من المعسكر بستمئة من رجاله وخطب فيهم قائلاً :

"انا هاجمون على الترك في الكوت، وانا آخذوهم باذن الله. امشوا كأنكم بكم الى غرضكم، ولا تضجوا. اذا كلمكم احد فلا تجيبوه. حتى وان ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق، فلا تضربون. اما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم والأمن والاكم. ولكن البيوت لا تدخلوها، والنساء لا تدنوا منهن!"

قال ذلك ومشى امامهم. ساروا على الاقدام، وهم يحملون جذوع النخل والحبال، فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق فقال للفرقة الاولى : "انتم تسيرون الى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه". وللفرقة الثانية : "وانتم تسيرون الى السرايا على المشرف فيها فتأسرونه". وللفرقة الثالثة : "وانتم تتفرقون في ابراج السور. هذه هي اوامري فاعملوا بها، ولا تتعدوها".

باشر اناس حزم الجذوع بالحبال، فصنعوا منها سلما تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والاقدام. ثم رموا بالحبال الى العساكر فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكوت متسللين، والحرس يسألون : من انتم فلا يجيبهم احد.

وكانت كل فرقة عند اكتمالها داخل السور تسير الى الجهة المعينة لها. ولكن هذا العمل لم يتم دون

(١) الكوت جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية.

ان يحدث ضجة في الحصون وفي المدينة. افاقت العساكر والاهالي من النوم، فاستولى عليهم الخوف والذعر، وهم لا يدرون مَن الهاجمون. علت الاصوات، واُطلقت البنادق، فامر اذ ذاك عبد العزيز احد رجاله ان يصعد الى السور ويعدو عليه منادياً: "الملك لله ثم لابن سعود، فمن اراد العافية يلزم مكانه".

نادى المنادي بذلك فاستبشر الناس، وكانوا يهتفون كبارهم وصغارهم: اهلاً وسهلاً! سمعاً وطاعة! بل جاؤوا العساكر بالمياه كانهم اخوانهم وقد عادوا من سفر.

اما عبد العزيز فكان لا يزال خارج السور، فاراد ان يتسلقه، فابى عليه ذلك من تبقى معه من الجنود، فهدموا جانباً منه، فدخل ودخلوا معه. وكان الحرس قد لجأوا الى القلعة، واهل الكوت، بعد ان سمعوا صوت المنادي، قد خرجوا من بيوتهم، فجاؤوا يرحبون بابن سعود ويعاهدونه على الطاعة والولاء. ثم جاء عندما اصبح الصباح، من تبقى من الاهالي — جاؤوا يبايعون مثل من تقدمهم — فاكرم محسنهم وعفا عن مسيئهم.

كل ذلك والاتراك تلك الليلة في حصونهم قابعون. وقد كان لهم اربعة في الهفوف وخارجها اثنان داخل الكوت، وحصن الى الجنوب، وآخر الى الشمال في المبرّز. فعندما انبلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون، طلقات افصحت عن الذعر الذي كان مستولياً عليهم. فلا اضروا باحد، ولا روّعوا احدا.

وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الترك وهو ضابط طاعن في السن، فارسله عبد العزيز رسولاً الى المتصرف والى قائد الحامية.

— "قل لهم يسلموا اذا كان يبغون العافية ونحن نؤمنهم ونرحلهم الى بلادهم. واذا ابوا فليستعدوا للقتال سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة".

قبل المتصرف والقائد الامان، ثم سلمت الحامية التي كان عددها الف ومئتي جندي فاذن عبد العزيز حتى بسلاحهم قائلاً: "لا ننزع من الجندي العثماني سلاحه". اما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون.

ثم جهّزهم بالركائب، ورحّلهم وعائلاتهم. الف ومئتا جندي بعيالهم وامتعتهم ساروا من الهفوف الى العقير وليس معهم من يخفرهم ويؤمّن طريقهم غير رجل واحد من رجال ابن سعود هو احمد ابن ثنيان مندوبه السابق الى جمال باشا. وعندما وصلوا الى العقير جهّزهم احمد بسفن تقلهم الى البحرين.

بعد احتلال الهفوف ارسل عبدالعزيز سرية الى القطيف بقيادة عبدالرحمن بن سويلم، فلما وصل الى تلك الناحية بادر اهلها الى التسليم. ولم يكن للترك في القطيف غير شرذمة من الجنود، ففروا في السفن هاربين الى البحرين.

اما العساكر الذين كانوا في الحسا، فعند وصولهم الى البحرين وجدوا من يزين لهم الرجوع الى العقير، ويشجعهم عليه، علهم يسترجعون القصر⁽¹⁾ هناك. فظفر فريق منهم بمركب لآل بسام كان يحمل تمراً فركبوا فيه وعادوا الى العقير، فهجموا ليلاً على القصر. وفيه سرية لابن سعود، فلم يتمكنوا منه. ثم هجموا على مركزين آخرين، كان في الواحد ثلاثة رجال يحمون الماء فردوهم خائبين. وكان في الثاني ثلاثون رجلاً فهزمهم الاتراك واحتلوا مركزهم.

بلغ الخبر عبدالعزيز وهو في الهفوف، فشد الرحال وسارع الى العقير فوصلها في الساعة الثانية من الليل. وكنه كان قد سيّر كوكبة من الخيل، فوجدت عند وصولها ان السرية التي كانت في القصر هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فهزمتهم وأسرت منهم ثلاثين.

اخلى عبدالعزيز سبيل هؤلاء في اليوم التالي واركبهم البحر.

ثم كتب الى الشيخ عيسى آل خليفه امير البحرين والى الوكيل السياسي لبريطانيه العظمى هناك يلومهم على ما بدا منهم فقال: "أيليق بكم تحريض العدو علينا ونحن اصدقاؤكم. فاذا كنتم لا تتلافون مثل هذه الاعمال وتمنعونها فالتبعة في ما قد يعقبها هي عليكم".

جاءه الجواب دون ابطاء وفيه ان العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة او الوكالة.

اما الحقيقة فهي ان آل خليفه والوكيل الانكليزي خشوا ان يتقدم ابن سعود الى داخل الخليج في فتوحاته فاقدموا على عملٍ كان التسرع فيه أظهرَ من العداء.

---

(١) القصر مقر الامير هو غالباً الحصن، او الحصن هو غالباً في القصر.

الفصل العشرون

المفاوضون يتسابقون

والشيخ مبارك يتعثر

ان على الخليج الى الشرق والجنوب من البحرين رأساً من الارض محاذياً لشاطئ العقير هو قطر، كان صاحبه الشيخ قاسم بن ثاني، شيخ الامراء سناً وجاهاً يومئذ، قد احترب والترك مراراً وحاول عبثاً ان يخرجهم من البلاد. ~~فلم يكن من الغالبين~~. فعندما فاز ابن سعود بذلك غزاه ودلاغزو هذا شيئ منها الخوف على امارته، وقد اصبح الفاتح جاره الادنى، فكتب اليه (في شوال (الاول) من هذا العام) كتاباً شديد اللهجة يحذره ويهدده. وما كان منه غير ذا التهديد. فقد هاجره بعد اسبوع عدو الحياة الدنيا الجبار الاخير فسلم الشيخ جاسم صاغراً، وكان من الظافرين بالرحمة الابدية. اما خلفه فقد كان حكيماً فوالى ابن سعود. ١٣٣١ شوال ١٩١٣ ايلول

وكان عبدالعزيز قبل توجه الى القطيف ينظم شؤونه. فأمّر هناك عبدالرحمن بن سويلم وامّر في الحسا عبدالله بن جلوي رجلين من رجاله (الكبار) وهما حتى اليوم يحكمان في تينك الناحيتين.

ثم عاد في خريف هذا العام الى الرياض وقدم من البصرة عبداللطيف باشا المنديل منتدباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الحساء فقبل عبدالعزيز التوسط، واجل النظر في المسئلة الى الربيع.

وكان الانكليز قد بدأوا يفاوضونه ايضاً، ويطلبون منه ان يأذن بالاجتماع، فرجع الى الحساء في ذي الحجة، واجتمع في العقير بالوكيل السياسي للبحرين ومعه رجل آخر اسمه شيكسبير، سنعود الى ذكره.

اما اجتماع العقير هذا فلم يسفر عن شيئ للتاريخ، الا انه مهد السبيل الى مقاومة النفوذ الالماني في تركية بعد ان تلاشى فيها النفوذ الانكليزي، ذلك النفوذ الذي كان في المقام الاول منذ حرب القرم. خشيت انكلترة على طريق الهند، فعندما علا نجم ابن سعود وظهرت شوكته، طفقت تخطب وده وتسعى في عقد اتفاق واياه ليكون لها عضداً على الخليج، فيقف سداً منيعاً دون ذاك النفوذ الالماني الذي كان قد خيم في العراق.

عاد عبدالعزيز الى الرياض فبلغه خبر دسيسة في القطيف فارسل سرية اليها، ثم سار بنفسه الى تلك الناحية، فنزل في الجبيل. وقد جاءه وهو هناك كتاب من الشيخ مبارك الصباح يخبره ان احد كبار الترك ١٣٣٢ هـ ١٩١٣و١٤م

قدم الكويت، ومعه هدية من انور باشا لابن سعود واجازة للتوسط في الصلح.

ثم جاء عبد اللطيف المنديل ليخبر عبد العزيز ان قد تألف للمفاوضات وفد يرأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السلطان - تعدد المخاطبون فاضطرب "الوالد" مبارك، فكتب الى "ولده" يطلب ان يكون الاجتماع في ظله بالكويت ليكلأه بنظره، ويمده بارشاده - «من حقي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء الا في بلدك الكويت».

ولكن «الولد» كان قد شبع من كلاءة «الوالد» وارشاده، ومع ذلك فقد اجاب بعض طلبه فسار الى جهة الكويت ونزل الصبيحية، على مسير يوم من العاصمة. فكتب "الوالد" يلح بالقدوم اليه، فاجابه عبد العزيز: "اني الآن قريب من الكويت فليتقدموا الي".

وبينا هو في الصبيحيّة كتب اليه الوكيل السياسي لبريطانية العظمى في الكويت يستأذن بالمقابلة، فضرب له موعداً في ملح، واجتمع به هناك. جاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من مبارك يقول: "كن صلباً معه يا ولدي (اي مع الوكيل) فلا تمكنه من شيء ولا تعطيه الجواب الشافي".

لم ير «الولد» بأساً في مجاملة «والده» هذه المرة لانه لم يكن قد قرر خطته السياسية تجاه الترك والانكليز، فقال للوكيل: "لا يمكن ان نقرر شيئاً اليوم. ولكن والدي مبارك الصباح ينوب عني".

عاد الوكيل غضباً الى الكويت، وركب ابن سعود ضاحكاً فعاد الى معسكره في الصبيحية.

وفي اليوم التالي وصل وفد السيد طالب، ووصل نجاب يحمل كتاباً من «الوالد» - من مبارك الحانق الحاقد اللائم الشاتم. وقد كان ناقماً على الوفد لانه لم يُنتخب لرئاسته، وكتب الى عبد العزيز يحذره من «هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين - كن صلباً معهم يا ولدي، ولا تمكنهم من شيء، ولا تصدق ما يقولون. انهم كذابون خداعون».

كان الشيخ جابر بن مبارك يومئذ عند ابن سعود فاطلعه على كتاب ابيه وقال: "تراه يحذرني من الانكليز ويحذرني من الاتراك. وهل في امكاني ان احارب الاثنين؟" فاجاب جابر: "انظر الى ما فيه مصلحتك واترك الناس".

عقدت جلسة المؤتمر الاولى وكان الشيخ جابر وآخرون من رجال مبارك حاضرين، فرمى عبد العزيز قنبلة من قنابله السياسية، وزعزعت المؤتمر وكادت تبدد شمله. قال يخاطب رجال الوفد: "الاتراك كذابون خداعون، وانا

لا اركن اليهم في المفاوضات . فاذا كنتم تبغون مصالحتي فدونكم والدي مبارك . هو الواسطة بيني وبينكم ، ولست قابلاً بغير ذلك !!

عُقدت هذه الجلسة في الصباح ، فتبعها جلسة اخرى في ذات اليوم بعد العشاء . ولكن الفترة بين الجلستين كافية لتثير بركاناً من الغضب خصوصاً في رئيس الوفد السيد طالب ، ومزاجه مزيج من البارود والكبريت . اظنه نام القيلولة ذات اليوم ثم صلى المغرب استعاذةً وصبرًا . ثم ضحك ضحكة طالما أضحكه بعدئذ ذكرُها .

كانت جلسة المساء خصوصية فلم يحضرها غير رجال الوفد . وكانت باكورة الاعمال ان اطلعهم عبد العزيز على كتاب الشيخ مبارك ، فكانت الضحكة وكان العجب . ثم باشروا المفاوضات الولائية . طلب الوفد ان يكون للدولة معتمدون في القطيف وفي الحـ~~سا فقبل ابن سعود مشترطاً شرطين . اولاً : ان يكون المعتمدون من بلاده بجد~~ ~~وثانياً : ان تساعده الدولة بالمال والاسلحة والذخائر لقاء اعترافه بسيادتها في تلك المقاطعة .~~

فأبى ابن سعود ولم يقبل الا ان تكون العلاقات ولائية فقط ، وان تساعده الدولة لقاء هذا الولاء ~~بالعـ~~ بالاسلحة والذخيرة والمال . ~~بعد~~ بعد اللتيا والتي

قبل الوفد بذلك وقرروا ان يظل هذا الاتفاق سرًا الى ان يقره الباب العالي .

عاد رجال الوفد الى الكويت فاحسن الشيخ مبارك استقبالهم . وعندما سألهم عما جرى اخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الاولى فقال : "نصحتكم فما انتصحتم . قلت لكم ان الرجل سفيه عيار (١) ولا يملك قياده احدٌ غيري " !!

وبعد يومين ادب عبد الوهاب آل قرطاس في البصرة مأدبة للوفد حضرها الوالي شفيق كمالي باشا ، والشيخ خزعل ، والشيخ مبارك . وكان الحديث في الوفد وابن سعود .

قال الشيخ مبارك يخاطب الوالي : " ألم اقل لكم انكم لا تفلحون الا اذا انتدبتموني انا للتوسط بينكم وبين ابن سعود ؟ وما طلبت ذلك منكم والله الا لامرين . اولاً لكي اقوم بخدمة للحكومة العثمانية . وثانياً لكي استر على ابن سعود لان السفيه لا يعقل ما يقول " !

فاجاب الوالي : " رأيك هو الصواب ، ولكن الامر انفرط " .

ثم قال يوجهه الى رئيس الوفد : " وما قولك انت ياطالب " ؟

---

(١) السفيه الجاهل . والعيار من يركب هواه ولا يزجر نفسه واللفظتان شائعتان في البلاد العربية بمعناهما الفصيح .

السيد طالب : "اقول ما قاله الشيخ مبارك . فلو كان معنا لما فشلنا ."

وحان بعد اسبوع حين الضحكة الاخرى التي ضحكت الشيخ ، اذ جاء من الباب العالي الى والي البصرة برقية فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية (٢) ، مقرونا بالشكر لابن سعود وبالنيشان العثماني الاول .

حمل السيد طالب تلك البرقية وسارع الى الشيخ مبارك الذي كان يومئذ في الفيلية ، فقال بعد السلام :

"ابشر يا شيخ ابشر . قد اتفق ولدك مع الحكومة !"

مبارك مدهوشاً : "ومتى كان هذا ؟"

طالب متبالهاً : "ام قضي بليلة"

مبارك متغيظاً : "كلها من مساعيك يا خبيث !"

طالب في لهجة لبقة : "تعلم الولد الخيانة من ابيه ."

مبارك وقد اشتعلت النقمة في عينيه : "سلط الله عليك يا خبيث ! ابلك عني ."

فضحك السيد طالب وهو يعيد قراءة البرقية .

وبعد ذلك ارسل مبارك رسوله عبد العزيز آل حسن الى ابن سعود يهنئه ويلومه لانه لم يخبره بالاتفاق ، فكتب عبد العزيز اليه يقول :

"اني ابنك وقد اهنت نفسي في القدوم من الجبيل الى الكويت . وما ذلك الا حبا بك وعملا بارادتك . ولكن كيف استطيع ان ارضي والدي وهو يأمرني بأن لا اتفق والانكليز ، وان لا اتفق والترك ؟ فاذا تبين لي حضرة والدي الطريق الثالث اسلكه راضياً شاكرا . ولكني اسأل والدي الآن كيف استحسن ذاك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس ؟"

فكتب مبارك معتذراً على عادته ثم قال : "لا تصدق يا ولدي اكاذيب اللعين طالب ، واكد يا ولدي اني اريد ان اتظاهر امام الاتراك بالبعد عنك والجفاء لادرك تلك الغاية التي تنشدها ."

فاجابه عبد العزيز : "والحمد لله ان الامور كانت على ما يرام ، فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام ."

(٢) قد حالت الحرب العظمى دون تنفيذ هذا الاتفاق .

الفصل الحادي والعشرون

هادمة العهود ومفرقة الوفود

ومع ان الذي هدمته في البلاد العربية لم يكن غير اليسير في بادية الاطلال

هي الحرب العظمى ! [illegible] .

فلا بد، ونحن نكتب تاريخاً عربياً، من ان نقف عند [illegible] وقوف الاثري فنكشف النقاب من اجل التاريخ عن شيء من ادفانه .

جاءت الوفود وراحت في الحسا والكويت، فتفاوض المتفاوضون، وتنافس الخاطبون ود ابن سعود. على انه لم يتمخض من النتائج ما يستحق الاسم والتسجيل، غير ذاك الاتفاق الذي تم في العجير وافره الباب العالي. والغريب العجيب من امر ذاك الباب العالي ان يمينه — اذا اذن البيانيون باستعارة غريبة — لم تعلم بما كانت تعمل يساره . او ان رجاله في العراق كانوا في واد، ورجاله في الحجاز في آخر، بل كان الفريقان في عزلتين، عزلة تبعد الزملاء بعضهم عن بعض، وعزلة تبعدهم كلهم عن النور الاعلى نور ذاك الباب المشهور. فتعددت الوفود في باب ابن سعود وعقدت عهوداً ناسخة لعهود . ولكن الحرب العظمى لحسن حظ الدولة العلية هدمت الناسخ والمنسوخ، ومحت بطلقة نار كلام الليل وكلام النهار .

وهاكم الحوادث شهودا . قبل ان يجتمع وفد السيد طالب النقيب بابن سعود في العجير اجتمع سعود بن الرشيد بوالي البصرة شفيق كمالي باشا قرب الزبير وتم الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن الرشيد عشرة الاف بندقية، وكثيراً من الذخائر، وشيئاً من المال .

لم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق الا بعد رجوعه الى الرياض، فكتب الى ابن الرشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينهما، ويلومه على الاتفاق والاتراك عليه . فاجاب ابن الرشيد : اني من رجال الدولة ومصالحي واياك لا تكون الا اذا رضيت الدولة بها . فعد عبد العزيز ذلك خيانة منه وكتب اليه يقول : اذا كنت مصراً على نكث العهد . فالمقاومة اولى .

وما خطر في باله عندما كتب هذه الكلمة ان اوروبه كانت يومئذ ترددها وقد قامت الدول هناك تقاوم بعضها بعضاً بالسلاح .

شبت الحرب العظمى، فسارع عبد العزيز، عندما اتصل به خبرها، الى مراسلة امراء العرب ـ الشريف حسين، وابن الرشيد، وابن الصباح ـ في الموضوع، فارسل النجابة يحملون كتاباً منه هذا فحواه :

قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب، فارى ان نجتمع للمذاكرة علنا نتفق فننقذ العرب من اهوالها ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا .

بعد ان بعث الرسل بهذا الكتاب ـ جاء السيد طالب من قبل الاتراك ثانية ـ جاء يسترضي ابن سعود فاجتمع به في القصيم .

ولكن الانكليز كانوا اثناء ذلك قد احتلوا البصرة، فجاء الملازم شكسبير الذي كان قد اجتمع بابن سعود سابقاً في العقير، يحمل في حقيبته تفويضات لا قيد يقيدها غير المصلحة البريطانية واقتراحاتها بمعاملة نجد .

ثم قدم من المدينة وفد عثماني آخر يحمل الى ابن سعود عشرة الاف ليرة ويتزلف اليه بواسطة صديقه العلامة السيد محمود شكري الالوسي احد اعضاء الوفد .

ثم خرج من الحجاز الامير عبدالله ابن الشريف حسين موفداً من والده للنظر في المسئلة التي كتب عبد العزيز بخصوصها، فاجتمع بمندوب ابن سعود على الحدود وافترقا كما اجتمعا دون ان يقررا شيئاً . والحقيقة ان الشريف كان يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذاً كما قيل لتلك المعاهدة التي وقعها الامير خالد بن لؤي في قوله : "اكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك" .

اما ابن الرشيد فقد جاوب بصراحة يقول : "اني من رجال الدولة، فاحارب اذا حاربت، واصالح اذا صالحت" .

وكتب الشيخ مبارك يعلم "ولده" بان حاكم الهند اللورد هردنغ Lord Harding قادم الى البصرة "ومن رأيي يا ولدي ان تقدم انت الينا للمفاوضة" .

ذهبت الدعوة للتفاهم ادراج الرياح، فعاد ابن سعود الى الوفود يعمل بما قضت المصلحة والاحوال، فرد وفد الآلوسي رداً حسناً . وقد قال للسيد محمود : "انها كما ترى . فلا يمكنني مقاومة الانكليز بعد احتلالهم البصرة" .

وكان السيد طالب النقيب بعد ذلك الاحتلال، يخشى الرجوع الى بلده فتوسط عبد العزيز من اجله، فاذن الانكليز، وقد عاد كما عاد الالوسي خائب الامل . اما الضابط الانكليزي شكسبير فبقي في البلاد العربية، وبقي فيها، كما ستنفصح في الفصل التالي، الى الابد !

الفصل الثاني والعشرون

يوم جراب

-

أيَّدَ
حسر اللثام عن مقاصد الاخصام، فأمد
وأمدَّ الانكليز ابن سعود،
الترك ابن الرشيد ،
وقد تحالف الترك والالمان، مع
بل عهد الاول ،
وعهد الثاني مع الاحلاف. هي
الدول الوسطى ،
وقد كانت ذات قيمة في تلك
الحقيقة السياسية ،
الايام. فهي ان ابن سعود
اما الحقيقة التاريخية
فلم يحارب الحسين كما اراد
أقام على الحياد ،
في محاربة الترك بالعراق
الترك، ولم يشترك
ولا منع رسل الدولة من المرور
كما اراد الانكليز ،
الى اخوانهم الاتراك
وهم حاملون المال
في نجد
فلم تكن ليهمه
هي الحقيقة كلها ،
امير الجبل الذي نكث عهد الصلح
في اليمن
~~ابن الرشيد~~
يومئذ غير
واستعان بالدولة العثمانية
[illegible]
على امير نجد .

وقد تأهب الاثنان في وقت قصير للحرب، فلم
يتجاوز جيش كل منهما الثلاثة الآف مقاتل.
كان مع ابن سعود نحو الف من الحضر، أكثرهم
من اهل العارض الأشداء البلاء، وثلاثمئة
خيال من العجمان، ما عدا البادية. وقد مع واحد
ستمئة من
لا غير. وكان مع ابن الرشيد
الحضر والف فارس من فرسان شمّر.
وقد رافق جيش ابن سعود الضابط الانكليزي
شكسبير (١) الذي أشرت اليه في
الفصل السابق. لم يكن عبد العزيز ليستحسن ذلك، وقد
قال له: «ليس من رأيي ان تمشي معنا،
وإني افضل ان تنتظرنا في الزلفي، فنعود ان
شاء الله اليك». فأجاب شكسبير: «لا يجوز ان يقال
ان رجلا انكليزيا هرب من ساحة القتال بين ابن سعود
وابن الرشيد ورجع جابنا خائفا».

---

(1) Capt. W. H. C. Shakespeare

الح عبد العزيز في النصيحة، فألح شكسبير
بالاستئذان، وركب مع الجيش الى ساحة القتال،
الى جراب.
فقد كان هذا الضابط انكليزياً قحاً،
شديد التمسك بعادات اجداده وتقاليد امته في
اي مكان كان، فلم يتنازل في البلاد العربية عن
شيء منها. هو الرحالة الانكليزي الوحيد،
على ما اظن، الذي ابى ان يبدل برنيطته
مثلاً بالكوفية والعقال، ولا جامل العرب
في داخل البلاد بغير العباءة التي
كانت تستر ثيابه الافرنجية.
وكان البرنيطة ا ـ الب في جيش ابن
سعود وهو لابسها وحامل بين امتعته آلة
التصوير.

شكسبير في جيش الافغان ! وقد سمعهم يعتزون وينتخون .

اهل التوحيد ! اهل التوحيد !

اهل العوجا ! اهل العوجا ! (١)

وكانت شمّر قد اخرجت عمّارياتها (٢) الابكار الحسان ، ليشجعن الرجال ، وهم يرددون نخوة شمّر المشهورة :

سناعيس ! سناعيس ! (٣)

سار الجيشان في فيافي القصيم بطلب الواحد الآخر ، وكان سيرهما في صباح اليوم السابع من ربيع الاول من

هذا العام (٢٤ يناير) في شمس كانون المدفئة المنعشة ، فاصطدمت الاصوات في جراب قرب الظهر قبل ان تصطدم | ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م

الفرسان .

اهل العوجا ! اهل العوجا !

سناعيس ! سناعيس !

وكان اهل العوجا ، اي اهل التوحيد ، يرددون ايضاً كلمتهم المشهورة :

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

فيجيبهم العمّاريات الشمّريات كلّ بالعزوة او النخوة الخاصة بقبيلتها .

تصادمت الابطال وتقارعت ، في ظهر ذات النهار ، وتطاردت وتراجعت ، فكانت الغلبة في بادئ

الامر لابن سعود .

~~انتصبت المدافع في الجهتين ، فشرعت تنخل في صفوفها نخوات الرجال ، فتكلم قتال السناعيس بين اهل التوحيد فيرفعون لها ويتنخون .~~ انتصبت ... والمدافع ... الانكلت رصاصات فقط

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

وكان رصاص ~~وتنجز~~ يقع بين اهل التوحيد ايام الشمّريات ، الواقفات فوق اسنمة الجمال فيصحن بالرجال : الى القتال !

---

(١) العوجا اسم من اسماء العارض . والاعتزاء يكون في ترداد اسماء الاباء والاجداد او اسم القبيلة او البلد او ما يرمز الى مفخرة . (٢) من عادات العرب التي ابطلها ابن سعود ، ان كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتها الابكار تسمى العمّارية فتركب في الهودج او تقف فيه ، سافرة مرخية الشعر . وتتقدم قومها الى ساحة الوغى منتخية منخية .

~~الهامش~~

(٣) سناعيس جمع سنعوس هي النخوة العمومية ، تعم البدو والحضر ، وهناك نخوات اخرى خاصة باهل حائل منها : اهل لبده . واهل تلمان . واهل السودان ، والسود كثيرون في حائل . والمملحات يدعون بصبيان الخزنة لأنهم كانوا من خاصة آل الرشيد .

ويهتفن هازجات :

بلّي بتمني حربنا   غديت ياغاوي الدليل

كم واحدٍ من حزبنا   دمّه على الشلفي[1] يسيل

~~وكان الملازم شكسبير يراقب المعركة فلاحظ في احد رجال المدفعية شيئاً من الارتباك فبادر اليه~~

~~ليساعده بل ازاحه وتولى ذلك المدفع بنفسه . فخذوها من يد انكليزي يا ولد شمّر !~~ بجياته .

احتدم القتال   ودوت البنادق ، فأصيب شكسبير برجاجة اودت ~~غديت ياغاوي الدليل .~~

~~وخذها من يد شمّري يا ابا البريطة ! خذها يا ابن الكافرة . صاح رجال ابن الرشيد صيحة الهجوم~~ فقتل شكسبير ~~فوثب احدهم على الانكليزي وذبحه بالسيف فكانت نكسة المدفع .~~ ولم يذبح بالسيف

~~كم واحدٍ من حزبنا   دمه على الشلفي يسيل~~

وكان فرسان العجمان قد تراجعوا خيانةً وهم يصيحون صيحة الانهزام ، فأغارت اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح اهل التوحيد الايسر فدحرته وغنمت امواله .

اما بدو ابن سعود ، واكثرهم من مطير ، فقد اغاروا اثناء ذلك على جيش ابن الرشيد ومخيمه ، وكانوا كذلك من الفائزين الغانمين .

~~ولكنهم لم يظفروا ، الا بدو شمّر ولا بدو مطير بكل شيء . فقد عاد ابن سعود الى ساحة الحرب بعد الاصطفاف فوجد هناك مدافعه وهي لا تزال كما تركت ساعة الهزيمة .~~

هو يوم جراب الذي كان على اهل التوحيد واهل شمّر على السواء ، ولم يكن فيه ظافراً غير البدو من الفريقين . فقد اغاروا ، فغنموا ، فشردوا .

~~هو يوم جراب الذي سال فيه على "شلفي" الشمّري دم ذلك الانكليزي النبيل الملازم شكسبير .~~

=

[1] السيف .

الفصل الثالث والعشرون

العُجمان

من الاغلاط السائرة بين عامة العرب ان العجمان من العجم. وفي بلاد فارس ايضاً على شاطئ الخليج الجنوبي، من يقولون هذا القول. اما الحقيقة فهي انهم من قبائل اليمن من عرب قحطان، وهم ينتسبون الى همدان (١)

كان العُجمان في الماضي يسكنون نجران. ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا في ايام الامام تركي الى الاحساء، فاحسن اليهم وانزلهم ديرة بني خالد هناك. وعندما تولى فيصل الامارة عاملهم مثل معاملة ابيه لهم، فابطرتهم النعمة واستفحل امرهم، فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج هم موصوفون بالمكر والغدر. ولكنهم ~~[illegible]~~ شديدو الشكيمة وذو عصبية يندر مثلها في العشائر. عصوا الدولة العثمانية فتركتهم وشأنهم، وكثيراً ما كان عمالها في الحسا يشاركون رؤساءهم الغنائم. ومع ذلك فقد كان العجماني يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل بها الحسا ليتعلل.

عصوا كذلك الشيخ مبارك الصباح، فحاربهم، واسترضاهم، ولم يتمكن من كبح جماحهم، ولا من كسب ولائهم. ولكنهم والوا ابن سعود، ثم حالفوا ابناء عمه العرائف عليه. خانوه وحاربوه، وغلبوه في بادئ الامر. ومع انهم اصغر القبائل عدداً، فلا يبلغ المقاتلة فيهم اكثر من خمسة آلاف، فقد تفوقوا عليها كلها ونازعوا حتى بني خالد السيادة. قال الشاعر:

وقد قسموا الاحساء جهلاً برغمهم لعجمانهم شطر وللخالدي شطر

الماني العرب! هم يدعون بهذا الاسم لشدة عصبيتهم وبأسهم وتفانيهم بعضهم في سبيل بعض. اذا سُئل الواحد منهم: اتقبل الخير من الله بروحك، يجيب قائلاً: «لا اقبل خيراً لا يكون للعجمان كافة».

وقد جارهم ابن سعود، عدو البادية، وصديق العرب، بالخير العميم، فرفضوه مراراً في بادئ امرهم بل انشقوا الحام عليه كما قلت، ثم زرعوا ذات الخير قاتم في الصدر قطب ديرتهم الان. ولكنهم قبل ذلك زرعوا المكر والخيانة والعصيان. والتاريخ شاهد عليهم خصوصاً في وقعة جراب وفي الحسا.

(١) جدهم مذكر بن يام بن اصبا بن رفع بن مالك بن جشم بن خيوان بن همدان.

/ بعد تلك الوقعة التي لم يفز فيها غير البدو من الجيشين عاد ابن سعود الى القصيم . وابن الرشيد الى جبل شمر . وكان من الاثنين ان ادب الواحد منهما عربان الاخر ، فغزا ابن سعود قبائل من شمر وحرب ، وغزا ابن الرشيد قبائل من مطير ، وكان التوفيق حليف الغزوتين .

ا على ان عبدالعزيز لم يقنع بما ناله من البادية ، ~~[illegible]~~ فراح يطلب خصمه الذي كان قد رحل مع رجال شمر الى العراق ثم عاد منه ~~[illegible]~~
~~[illegible]~~ لكن العجمان اثناء ذلك اعتدوا على عشائر لابن الصباح فنهبوا مواشيهم ، فكتب الشيخ مبارك الى عبدالعزيز يطلب منه تأديب المذنبين ورد المنهوبات ، فادركه النجاب في شقرا . والى ذلك ايضاً جاء رسول من ابن الرشيد يطلب الصلح فجددت المصالحة المعاهدة السابقة . ثم ارسل عبدالعزيز ابن عمه ناصراً الى الشيخ مبارك بكتاب هذا نحوه :

لست يا مبارك بصديقه صدوق . قد اتاني من العجمان اكثر مما اتاك ، فصبرت وتجملت . ونحن الان في وقت القيظ . ولا تمكنه مهشدته ان نسير بجيشي الى ديرة العجمان . والامر الثاني هو اني في ريب من صلح ابن الرشيد ، فاخشى نكث العهد اذا انا غادرت نجداً ودخلت في حرب والعجمان . والامر الثالث نفقات هذه الحروب ، وقد تكاثرت علي فضاقت في سبيلها الاسباب . والامر الرابع يا حضرة الوالد هو اني اخشى ان يلجأ العجمان بعد الحرب اليك فتنقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير . ومن رأيي في كل حال ان نؤجل المسئلة الى فصل الصيف .

/ فكتب مبارك الى « ولده » ان الامر لا يؤجل ، واصر على استرجاع المنهوبات ، فاجابه عبدالعزيز ان العجمان لا يرجعون ما ينهبون الا مكرهين – الا بحرب ، خصوصاً وانه ، اي مبارك ، مسلفهم الاساءة . ثم قال :

"فاذا عزمت على محاربتهم تعطيني عهدالله وميثاقه ان تعينني بالمال والرجال . والا تسلك في سياستك معهم مسلكاً غير مسلكي ، والا تستقبلهم اذا لجأوا اليك ، والا تتوسط بالصلح بيني وبينهم."

١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

عاهده الشيخ مبارك على ذلك - عهد الله! فمشى عبد العزيز الى الحساء [~~١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م~~] بفرقة صغيرة من الحضر والبدو في صيف هذا العام. وكان العجمان، عندما علموا بقدومه قد رحلوا تجاه قطر. فحشد جيشاً من اهل الحساء وزحف جنوباً متقفياً اثرهم.

وقد كان الحر شديداً فلا يستطاع المشي ناهيك بالقتال نهاراً. ولم يكن لديهم رواحل فاسروا ماشين فوصلوا الى مكان يسمى كنزان كان العدو معسكراً فيه. وكانت اشجار النخل في الليل - تبدو كانها بيوت من الشعر، فشرعوا يطلقون عليها الرصاص. سكت العجمان وراء ذلك النخيل، حتى اسرف اهل الحساء ذخيرتهم على الاشجار. ثم خرجوا من مكامنهم، فاطلقوا بهم وهاجموهم من وراء، فتلاحموا واستمروا طيلة ذلك الليل في عراك كانت العماوة فيه شجاعة، وكانت الفوضى اخت الهول وسيدة الظلام.

جرح عبد العزيز في تلك الليلة، وقتل اخوه سعد، ودارت الدائرة على رجاله، فعادوا منهزمين الى الحساء، فتقفاهم العجمان ونزلوا قرب المدينة، فحصروها ثلاثة اشهر.

كتب عبد العزيز الى ابيه ليستنفر اهل نجد، والى الشيخ مبارك يستنجده. فسارع اهل نجد للنجدة بقيادة محمد بن عبد الرحمن ومعه احد العرافة سعود بن عبد العزيز الذي فر سابقاً من الخرج فانضم الى ابن الرشيد وحارب معه في وقعة جراب. فلما رأى ابن عمه عبد العزيز في تلك المحنة استفزته الحمية فعاد اليه تائباً مناصراً.

ولكن اعداء ابن سعود الآخرين تحفزوا للوثوب عندما سمعوا بحرب العجمان، فنكث ابن الرشيد عهد الصلح، ومشى الى بريده يريد احتلالها. اما الشريف حسين، الذي كان قد أمعن في مفاوضاته الانكليز ليدخل الحرب العظمى مع الاحلاف، فعلم بسيره هذه المرة ابن الرشيد فارسل عليه ابنه عبد الله. زحف الامير الى نجد، فعلم وهو في الطريق برجوع ابن الرشيد من بريده مدحوراً فتوقف لذلك في سيره وعاد مطمئن البال الى الحجاز.

اما الشيخ مبارك فقد ابطأ في ارسال النجدة التي طلبها عبد العزيز، فكتب اليه ثانية يذكره بالعهد فجهز اذ ذاك ابنه سالماً واثنين آخرين من اولاده بقوة صغيرة - مئة وخمسين رجلاً من الحضر ومئتين من البدو - فجاءوا الى الحساء، وانضموا الى جيش ابن سعود.

قلت ان العجمان حاصروا الحساء ثلاثة اشهر، اي مدة الصيف. والحقيقة انهم نزلوا في اماكن تكثر فيها وتتعرج مجاري المياه، فلا يستطيع المهاجمون الوصول اليهم. ولكنهم في آخر ذي القعدة رحلوا منها، فشد اذ ذاك عبد العزيز عليهم.

امر اخاه محمداً وسالم الصباح وجنودهما ان يبقوا في مراكزهم، وزحف ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع. أسروا ماشين، لان اكثر الابل كانت قد أرسلت الى نجد لقلة المرعى في الحساء.

وادركوا العجمان في الصباح، فاطلقوا المدافع عليهم وهموا بالهجوم. فسارع اولئك العربان الى ركائبهم وفروا هاربين تجاه الكويت، فلم يتمكن رجال ابن سعود، ولا ركائب لديهم، من اللحاق بهم.

عاد عبد العزيز الى مقره فأمر اخاه وسالماً حليفه بمطاردة العجمان. فجمع الاثنان رجالهما ومشوا طائفين متآلفين. ولكنهم ما لبثوا ان تفرقوا.

ادركوا العجمان - نعم ادركوهم، فكان الانقلاب وكانت الخيانة. اتفق ابن الصباح واولئك الثائر العاصية، وهجر حليفه ابن سعود.

لله درك يا مبارك. قلت ان اعماله آية في التعرج والغموض، نصفها سر، ونصفها خدع. فقد ارسل يستنجد ابن سعود على العجمان وقصده ان يزرع العداء بينهما فيتمكن هو من الاستيلاء على الاحساء. هذا هو السر. وقد جاء ابن سعود منجداً فغلبه العجمان فاستنجد بابيه "مباركاً"، فارسل اليه سالماً وبقية اولاده - العائلة كلها - وهو يقول في نفسه: جاءت الساعة التي ستتحقق فيها الآمال + تصادم ابن سعود والعجمان وشارك حلفاؤه

المباركون في القتال، ثم فجأة انقلب سالم وصالح العجمان وعلت حمايته عليهم. هذه هي الخدعة

وكان مبارك قد كتب الى ابنه عندما علم انه اشترك في القتال مع ابن سعود يؤنبه ويقول:

"ارسلتك مراقباً لا مقاتلاً ... اذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم يا ولدي، واذا هم غلبوه

فلا تردهم عنه، ولا تساعدهم عليه". وقع هذا الكتاب بيد العجمان فكتموه. بانت الخدعة

ولكن السر ظل سراً.

عندما انقلب ابن الصباح على ابن سعود ارسل محمد بن عبدالرحمن يخبر اخاه عبدالعزيز ويستأذنه -

بالهجوم على العدو من العجمان والمباركيين، فاجابه قائلاً: "لا تفعل. كيف نكون حلفاء

في اول النهار واعداء في آخره والناس لا يعرفون حقيقة الحال".

ثم كتب الى مبارك يشكو اليه خيانة سالم ويقول: "لم اقدم على تأديبه الا اكراما لك".

فكتب الشيخ المريد يذكره بان بينه وبين العجمان صداقة قديمة. ثم قال: "طلبت منك ان تسترجع

من بقي من العجمان ولم احل لك حاربهم واطردهم من ديارهم".

قرأ عبدالعزيز كتاب مبارك وهو يكاد يتميز غيظاً، فهتف مردداً تلك الكلمة التي يأخذها

من فاتحة القرآن اذا هو اعلن الحرب. - اياك نعبد واياك نستعين! - صبرنا على

مبارك صبراً جميلاً، واحتملنا منه شيئاً كثيراً، وفاديناه من اجله بالمال والرجال، وما نحن

والله بصابرين الى الابد - اياك نعبد واياك نستعين!

شد عبدالعزيز الرحال وزحف مسرعاً يريد مهاجمة العجمان وابن الصباح، وكان ذلك في

[محرم ١٣٣٤ [نوفمبر ١٩١٥]

ولكنه حين وصوله الى معسكر اخيه محمد واستماعه الكلمة الاولى التي فاه بها النجاب الذي كان

قد وصل من الكويت، وقف مدهوشاً محزوناً. - انا لله وانا اليه راجعون. مات الشيخ

مبارك!

-

" الفصل الرابع والعشرون "

الانكليز والعرب

~~معاهدة دارين~~

—

عندما انضمت الدولة العثمانية الى الدول الوسطى في الحرب العظمى شرع الانكليز يفاوضون امراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب مع الاحلاف، او ليضمنوا في الاقل حيادهم. وقد كانت المفاوضات مستمرة في سنة ١٩١٥ بين عدن وجيزان، وبين القاهرة ومكة، وبين ~~البصرة~~ الجبيل والرياض، والغرض الاكبر فيها هو محاربة الترك في شبه الجزيرة وصدهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانيه العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند.

وقد كان السيد محمد الادريسي اول من لبى الدعوة فحالف الانكليز في ابريل من هذا العام وحمل على الترك في عسير. ثم ابن السعود فعقد معاهدة بعد ستة اشهر اي في دسمبر. ثم الشريف حسين الذي اتفق وحكومة بريطانيه العظمى في القاهرة على البنود الخمسة المشهورة (١)، وذلك بعد شهر من تاريخ المعاهدة وابن سعود، اي في ربيع اول ١٣٣٤ [يناير ١٩١٦].

ليس من غرضنا النظر في هذه المعاهدات التي امست كلها في خبر كان، ولكننا نسأل القارئ، لقصد في ما نحن بصدده، ان يذكر هذه التواريخ، ويذكر خصوصاً ان الاتفاق مع الشريف حسين تم بعد الاتفاق مع الاميرين الآخرين.

عندما علم ابن سعود بوفاة الشيخ مبارك، وتولي ابنه جابر الحكم في الكويت، عدل عن مهاجمة العجمان وكتب الى الشيخ جابر يعزيه بابيه، وينصح له الانتهاج على منواله في السياسة. وبينا هو هناك، اي في الطريق الى الكويت، جاء رسول من الممثل البريطاني في خليج فارس – السر برسي كوكس، او كما سماه العرب قُوقَس، – يرجوه ان يوافيه الى القطيف للمفاوضة في امور هامة. فتوجه عبد العزيز الى تلك الناحية واجتمع بالسر برسي في دارين جزيرة عند شاطئ القطيف.

وكان همّ بريطانية يومئذٍ ان تخرج الترك من العراق وسورية بل من البلاد العربية وتؤمن البواخر ها،

---

(١) ذُكرتْ في "ملوك العرب" الجزء الاول صفحتيَ ٦٠ و ٦١ "

وجنودها الخليج والبحر الاحمر . فاتخذت لتحقيق هذا الغرض طرائق شتى ، فمنها محالفة امراء العرب وامدادهم بالمال والسلاح على العدو .

سأل السر برسي كوكس ابن سعود عما يستطيع ان يؤديه من المساعدة للاحلاف ، فاجابه : اني اساعدهم بامرين . اعاهدهم اولاً ان لا يجيئهم ضرر مني مادامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب ، واعاهدهم ثانياً ان لا انضم الى حلف عربي ضدهم . واني اؤكد لكم ان العرب لا يجتمعون عليكم اذا لم اكن انا معهم . وانا احب ان يجتمع امرنا على مساعدة الاحلاف ، نعم ، وساكتب الى الشريف حسين بهذا الخصوص اذا احببتم. ~~ـــــ الوكيل ـــــ~~ ولكن ذلك الامر لكم ـــ يتم

كما سترى ، فظل لذلك موقف ابن سعود موقفاً سلبياً .

ومن المسائل التي كانت حكومة بريطانيا العظمى تريد ان تستطلع رأي امراء العرب فيها مسئلة الخلافة . فتكلم السر برسي عن انتقال الخلافة الى العرب ، واتخذ المجاملة سبيلاً الى غرضه فعرض المنصب على ابن سعود ، قائلاً :

ان حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه .

لم يخف على عبد العزيز قصد المعتمد ، ولا كان في جوابه مجاملاً مثله . بل قال : لا ذوق لي بالخلافة . ولا هي لائقة بي . اولاً لان مذهبنا لا يقر الخلافة بعد خلفاء الاربعة الراشدين وثانياً لان اكثر المسلمين لا يقبلون خليفة من الوهابية . واني لا ارى اصلح لها من الشريف حسين . الطمأن بذلك الوكيل المحترم ، وارتاحت الوزارة الخارجية الى الخبر الذي مكنها من اطلاقه بيد المعتمد في مصر . فكانت الخلافة الطعم الالذ في الصنارة التي رماها على شاطئ جده ، فالتقفها الشريف حسين وكان عظيماً في الارض - مليكاً في مكة ، خليفة في عمّان ، اسيراً في قبرص ! وكان ابن سعود في الارض حكيماً .

ليس في الوهابية ما يمنع الخلافة بالمعنى الصحيح

اما وقد وثبنا وثبة في هذا الفصل لا تجوز في اصطلاح المؤرخين ، فلا بأس بوثبة اخرى مازلنا في امر الحسين . كلنا نذكر انه شرع يتكلم باسم العرب ، بعد ان ابرم ذلك الاتفاق مع المعتمد البريطاني في القاهرة ، ويدعي انه زعيمهم الاكبر .

ثم جاء يوم التتويج او بالحرى المبايعة فهللت جريدة القبلة وازدهت عمدتها باللقب الجديد -

صاحب الجلالة العظمى ملك العرب .

ليأذن لنا القارئ ان نقف مرة اخرى مستطرديه . ليس الذنب في تفريق كلمة العرب ذنب الانكليز وحدهم كما يظنه الناس . وهاكم الحقيقة كلها .

يجيئهم احد الامراء مدعياً انه سيد العرب اجمعين ، وانهم كلهم الطوع له من بنانه ، فيسيرون الانكليز غوره ، ويحققون صدق كلامه او كذبه ولكنهم يوالونه لانه على شيء من القوة .

ثم يجيئهم الآخر ودعواه اكبر من دعوى من تقدمه او مثلها ، وكذلك الاخرون ، فيضطر الانكليز ان يجددوا قوة الواحد اكراماً للاخر ، فتكون النتيجة التقسيم والتفريق .

عندما طفقت جريدة القبلة تهلل لملك العرب ، وتهتف للمنقذ الاكبر ، اشتبه عامة القومية ، وزعماء النهضة العربية ، فرددوا الهتاف قائلين : هوذا الزعيم الاكبر ، هوذا المنقذ حقاً ، هوذا ابو النهضة والقائم بها !

على انه ما طاروا يفرحون حتى جاءتهم الاخبار ان دول الاحلاف اعترفت بالحسين ملكاً على الحجاز - الحجاز فقط . فقالوا اذ ذاك : "هي ذي اوروبا عدوة النهضة . بل هي ذي انكلترة تفرقنا لتسودنا !!"

والحقيقة هي ان ابن سعود في مفاوضاته والسربرسي كوكس بخصوص المعاهدة اشترط في مساعدة الاحلاف ~~وحلفاء هم~~ ان لا يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي انه ملك العرب . فقبل الشرط حباً وكرامة ، وكان الاعتراف بالحسين ملك الحجاز - الحجاز فقط .

اما وقد برّأنا من هذا القبيل ذمة بريطانيه العظمى ، فيجب علينا ، من اجل التاريخ ايضاً ، ان نسجل عليها فعلتها الكبرى في ابرام ذاك الاتفاق مع الحسين ، وقد دخلت فيه البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة .

لا نظن القارئ نسي التواريخ التي سألناه ان يذكرها في مطلع هذا الفصل ، او انه يذكر في الاقل ان الاتفاق الانكليزي الحجازي أُبرم بعد عقد المعاهدتين العربيتين في جيزان ودارين . وقد اعترفت الحكومة البريطانية فيهما بسيادة الاميرين السيد محمد الادريسي والامام عبد العزيز آل سعود ، كل في بلاده ، وبسيادة من يتولى الحكم بعدهما من بيتيهما ، ثم ضمنت حدود

البلاديه ، وتعهدت بالدفاع عنهما ، اذا أُعتدي عليهما . ثم بعد هذه الضمانات كلها -
ادخلت البلاديه ، بلادي نجد وعسير ، في دولة عربية برأسها الملك حسين !
لا حاجة الى القول ان تلك المفاوضات كانت سرية ، اذ لولا ذلك لما تمكنت من الخداع ، او لما
كانت هي خادعة نفسها . فاما ان وكلاءها السياسيين ومعتمديها كانوا جاهلين بعضهم
احوال بعض ، فكانت هي المخدوعة ، واما انها لم تهتم يومئذٍ لغير مصلحتها - الوقتية المحلية -
فخدعت من اجلها الجميع .

وقد كان ابن سعود اثناء الحرب من المخدوعين . ولكنه وهو الحكيم الذي لا يطمح الى غير ما يستطيع تحقيقه
في زمن معلوم ، قبل البنود التي اقترحها السر بيرسي كوكس واشترط من اجل ذلك شروطا
فعقدت معاهدة دارين ~~كالمعاهدة السابقة~~ اي الاخيرة فيها ، تنص على وجوب عقد معاهدة اخرى
في مسائل تختص بالطرفين . ومن هذه المسائل واهمها المسئلة المالية اي ما يسمى في القانون
« مقابل العقد » وقد كان مقداره ستين الف ليرة انكليزية تدفعها حكومة بريطانيا العظمى
لابن سعود كل سنة .

اما المواد الاخرى فهي كما يأتي :
التي من موادها ان ~~في الاولى~~ تعترف بريطانيا العظمى لابن سعود بملكه في نجد والحسا والقطيف وجبيل وما يليها من
المواني على الخليج الفارسي ، وان
~~وفي الثانية تتعهد بحماية هذا الملك من التعديات الخارجية .~~
~~وفي الثالثة~~ يتعهد ابن سعود بان لا يحالف دولة اجنبية غير دولة بريطانيا العظمى .
~~وفي الرابعة~~ يتعهد بان لا يمنح امتيازا لدولة اجنبية او لرعايا دولة اجنبية بدون موافقة
الحكومة البريطانية . وان يؤمّن
~~وفي الخامسة~~ ~~يتعهد بتأمين~~ الطريق الموصلة في بلاده الى الاماكن المقدسة ، اي الى مكة والمدينة .
~~[illegible]~~
~~يحافظ على حجاجهم ويحميهم~~ ،
~~وفي المادة السادسة~~ يتعهد بان يتجنب التعدي على البلدان او التدخل في شؤون البلدان
الداخلة في حمى بريطانيا مثل الكويت والبحرين ومسقط وعمان .

نجد دون طيه نص الصورة التي نشرتها جرائد
~~[illegible]~~ العراق للمعاهدة
~~[illegible]~~

هذا الذي ... في المعاهدة ... في المعاهدة ما ...

الا يحسن ان ... نص المعاهدة ... الالفاظ ... موده توهم بما هو خلاف الحقيقة ؟

وكان ابن سعود اثناء الحرب من المخدوعين
ولكنه وهو الحكيم الذي لا يطمح الى غير ما يستطيع
تحقيقه في زمن معلوم، عقد تلك
المعاهدة والتي من موادها ان تعترف
بريطانيا العظمى لابن سعود بملكه في نجد
والاحساء والقطيف وجبيل وما يليها من
الموانئ على الخليج الفارسي، وان يتعهد
ابن سعود الا يحالف دولة اجنبية
غير دولة بريطانيا العظمى، وان
يؤمن الطريق الموصلة في بلاده الى
الاماكن المقدسة اي مكة والمدينة.

وبعد ان عقدت هذه المعاهدة التي
استمرت مرعية سبع سنوات، اي من بداية
سنة ١٩١٦ الى بداية سنة ١٩٢٢، اراد
السير برسي كوكس ان يتوسط بين ابن
سعود وابن الصباح في مشكلة العجمان،
فقبل عبد العزيز ان يوقف حركاته

الحربية على شيخها ان يطرد جماعة
الكويت العجمان من حدوده .
وقد عمل الشيخ جابر الصباح
بنصيحة السر بيرسي فطرد اولئك
العربان العصاة من بر الكويت
فرحلوا الى شمّر ووجدوا هناك
بن الرشيد .
أما "العرائف" الذين اغراهم
الاعداء بنسيبهم الكبير . فقد
ادركوا ان اخوالهم العجمان (1) لم يناصروهم
الا لمآرب خصوصية ومطامع سياسية لهم
في الاحساء ، وادركوا كذلك ان
ابن الرشيد والشريف حسين في حال عداتهما
انما هما كالعجمان ، وكانت مطامعهما
السياسية اكبر وعداؤهما اشد .

ثم ظلت علاقاتهم ودية ، ما بين الى عبد العزيز ، وهم اليوم سعود — طلال — بنو سعود — مقيمون في الرياض .

---

(1) اول من تزوج من العجمان جدهم سعود بن فيصل

الخامس

الفصل ~~السادس~~ والعشرون

هدايا وتعنيف من بلاد الشريف

بعد عقد المعاهدة في دارين عاد ابن سعود الى الرياض وارسل رسوله صالح باشا العذل الى الشريف حسين يخبره بما جرى بينه وبين الانكليز ويعرض عليه الموازرة في مساعدة الاحلاف.

وكان الشريف، كما اسلفت القول، لايزال في طور المفاوضات والعميد البريطاني في القاهرة، فعندما علم بعقد المعاهدة وابن سعود خشي ان يتقدمه في الزعامة والنفوذ لدى الاحلاف، فسارع الى قبول البنود الخمسة وتم الاتفاق سرًا بينه وبين العميد.

١ ولكنه لم يعلن الثورة على الترك الا بعد اربعة اشهر [شعبان ١٣٣٤ - يونيو ١٩١٦] من تاريخ ذاك الاتفاق، لاسباب ذكر بعضها، ولم يذكر اهمها، وهو ان نجله الامير فيصل كان لايزال في الشام فخاف عليه من جمال باشا. لذلك كتب الى الجمال يعده بتجنيد فرقة حجازية للزحف مع جنود الدولة الى ترعة السويس، وألح عليه في ارسال فيصل لهذه الغاية.

٨ وقد كتم ايضاً عن ابن سعود خبر ذاك الاتفاق، فاعطى رسوله صالح باشا العذل جواباً نصفه شكر، والنصف الآخر ابهام في ثوب ~~[illegible]~~ المجاملة.

ولكن تلك المفاوضات السرية، او في الاقل مجيء الرسل من بور سودان ورواحهم، أيقظ في دوائر الحكومة الحجازية عيون الريب والشبهة، ولم يخف على الوالي غالب باشا القصد الاكبر الذي كان يبطنه الشريف حسين، فعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الامر. ولكنه فوّت قصده بالطريقة التي اتخذها اليه. فقد ارسل رسوله وهدية الى عبد العزيز بواسطة الشريف، الذي ابقى الهدية عنده واذن للرسول بالسفر الى نجد.

وكان ذاك الرسول يحمل كتاباً الى ابن سعود فيه من غالب باشا ما هو معناه:

انك تعلم باعمال الشريف وانا الان ازيدك علماً. انه يفاوض الانكليز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتح لاعدائها الحرمين. فاذا قدمت الى الحجاز اسلمك الحرم واساعدك بكل ما لدي من قوة.

«فاجاب ابن سعود انه والحسين يدٌ واحدة. وارسل الى الوالي هدية مقابل هديته. ولكنها وصلت الى مكة بعد ان أُعلنت الثورة فاستلمها الشريف حسين وابقاها عنده «الا اكل الشريف الهديتين»! كما قال عبد العزيز؟ ونهض وانجاله على الترك طمعاً بالهدية الكبرى التي وعده بها الانكليز.

أُعلنت الثورة وطفقت تتوارد الى جدة من بور سودان الامدادات الحربية والمالية. جاء الذهب بالصناديق ليستخدمه الشريف في تجنيد العرب وفي استمالة امرائهم ورؤسائهم الى النهضة. فارسل الى ابن

[~~١٣٣٥~~ ١٩١٦-١٧م] سعود مرة في آخر عام ١٣٣٤ وابتعث في العام التالي بثلاث مرر مقدار الواحدة نحو خمسة آلاف ليرة. ولكنه لم يكتب اليه كلمة بخصوصها.

«كان يجيء الرسول بهذا المال يقول من جلالة الملك. ليس الا».

ولكن عبد العزيز، عندما تكررت تلك الهدايا المالية، عقد مجلساً عالياً حضره والده الامام عبد الرحمن ~~وكبار~~ ورئيس قضاة ~~نجد~~ نجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف فأطلعهم على الامر وقال:

«اذا كان القصد من ارسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فالقصد محقق، لاني امرت اهل نجد خصوصاً اهل القصيم وعتيبة وحرب، بمساعدة الشريف، وامرتهم كذلك بالمحافظة على عهدٍ عاهدناه، فلا يتعدى واحد منهم على من اراد ان ينضم الى جيشه الحجازي»؟

فقال الامام عبد الرحمن: «لو كان الشريف يبغي المساعدة فقط لكتب الينا بذلك. ولست ارى في قصده غير الخوف من ان تغتنم فرصة قيامه على الترك فتحمل عليه، فاراد في ارسال الذهب تسكيتنا»!

وقد كان ~~قاضي~~ رئيس القضاة من هذا الرأي، فقال عبد العزيز: «يمكن ذلك ولكني ساكتب اليه فاتحقق الامر. فاذا كان يبغي المساعدة وهو صادق في عمله وقوله، ساعدناه باكثر مما نقدم. واذا كان له قصد آخر انتبهنا اليه».

وهاك خلاصة الكتاب كتابه:

يا حضرة والدي، اننا واياك في هذه الحرب وثمرتها لنا ولك. فقد مشت عرباننا وعشائرنا، عملاً باوامرنا، الى مساعدتكم. ولكني ابغي اكثر من ذلك. واني مستعد ان ارسل اليك احد اخوتي او اولادي ليحارب مع اولادكم، وفي ذلك ما يقهر الاعداء.

وفيه الفوز الاكبر ان شاء الله ... وقد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي. فلابد اذن من التفاهم والتأمينات. وذلك بان نحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتتضاعف من اهل نجد المساعدات.

عندما وصل هذا الكتاب الى صاحب الجلالة زمجر في جريدة القبلة، وكشّر عن انيابه في الديوان الهاشمي، فسُمع صوته في نجد. قال عظمة السلطان: "لا اذكر من جوابه غير هذه الكلمات: اما انك سكران يا ابن سعود، واما انك مجنون. افلا تعلم لأي امرٍ قمنا ولأي غرض نسعى؟ وقد اراد الشريف في ما كتب انه يريد ان يكون الحاكم علينا وعلى سوانا من امراء العرب".

عندما وصل هذا الجواب الى صاحب نجد كتب الى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب الاجتماع به في القريب العاجل، فاجتمعا في العقير. وبعد ان اطلع السر برسي كوكس على كتاب الحسين قال يخاطب عبد العزيز:

"ارجوك الا تكترث به. نحن ضامنون استقلالك ونتعهد بان لا يتعدى عليك الشريف او غيره. وانت تعلم ان اية حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لاعدائنا واعدائك".

وقد الح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جوابًا قاطعًا ان لا يكون بينه وبين الشريف محاربة فوعده بذلك على شرطين، اولهما ان لا يتدخل الشريف في شؤون نجد، والثاني ان لا يتكلم باسم العرب ويدعي نفسه ملك العرب.

قطع الوكيل وابن السعود عهدًا على ما تقدم، ودعاه لزيارة البصرة. [فقد كانت الجنود البريطانية بقيادة الجنرال طونسند، محصورة يومئذ في كوت العمارة، وكانت الوكالة الانكليزية في البصرة تستنجد المشائخ على العدو، فاغتنم الوكيل فرصة وجود ابن سعود على الخليج وطمع باستمالته الى معاونة (هناك كلمة من) تستنير المشائخ وتوطد النفوذ الانكليزي فيما احتلوه من العراق.]

ان رأى الاستاذ صرف النظر عن التعليل

فلبى الدعوة، وخرج في طريقه على الكويت ليعزي آل الصباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك.

الفصل ~~الرابع~~ السادس والعشرون

وفود الانكليز والعرب

في سنتي الحرب الاخيرتين بُلي الانكليز في البلاد العربية بأمرين خطيرين، الاول سياسي في الحجاز، والثاني حربي في العراق. فسعوا في معالجتهما وازالتهما ما استطاعوا سياسياً ومالياً.

وقد كانت مقاصدهم الحربية ثلاثة: اولاً، ان يعقدوا حبل الولاء بين الامراء احلافهم. ثانياً، ان يحكموا نطاق الحصار ويشددوه على العدو من الجهات العربية كلها. ثالثاً، ان يستخدموا ما عند كل امير من قوى القتال، ويضيفوا ما امكنهم اليها، في سبيل النصر.

قد امدوا الملك حسين بالاسلحة والذخائر والمال تحقيقاً للقصد الاخير، ولكنهم في اتكالهم عليه كل الاتكال ايقظوا فيه روح الاثرة وشجعوها، فنجم منها العداء للامراء العرب كلهم خصوصاً لابن سعود. وبكلمة اخرى ان الانكليز في تعزيزهم القصد الثالث افسدوا على انفسهم القصد الاول، فاصبحوا عاجزين عن تحقيق القصد الثاني.

ولم يكن الملك حسين ليساعدهم في التغلب على الصعوبات، ولا ليأذن بتنفيذ تلك الخطة التي اتخذوها الى غرضهم الاكبر. فعندما جاء المستر ستورس ورفيقه المستر هوغرث (١) الى جدة ليسافرا من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة الى الرياض عن طريق الحجاز، لم يأذن الملك بذلك لأن الامن كما ادعى كان مفقوداً.

والحقيقة هي انه كان يخشى ان ترجح كفة النفوذ في الرياض، بل كان يخشى ان يكون اتفاق الانكليز وابن سعود مضراً بمصالحه او مجحفاً باتفاقه واياهم. لذلك لم يرض بأي اتفاق بينهم وبين غيره من امراء العرب الا اذا تم ذلك الاتفاق بواسطته.

- "اتركوا لي ابن سعود - انا اعالجه - اقول انا اعالجه لخيركم وخير العرب"

وقد كان ابن سعود مثل الحسين من هذا القبيل، اي انه حافظ على عهوده وبريطانية العظمى

---

(١) Ronald Storrs وقد عين بعدئذ حاكم القدس العسكري.
D. G. Hogarth مؤلف كتاب "التغلغل في البلاد العربية".

ولكنه كان يظن ان بينها وبين خصمه اتفاقاً سرياً ، ملحقاً للمعاهدة ، يضر به وبمصالحه. وكان الظن ، اذا ذكرنا ما تقدم في الفصل الخامس والعشرين ، في محله . فهل يصلح بعد التوقيع ما افسده عاقدو المعاهدات ؟

عندما اقفلت في وجه وفد القاهرة ابواب الحجاز جاء الى الرياض في طليعة هذا العام الهجري [١٣٣٦ هـ - ١٩١٧-١٨م] (نوفمبر ١٩١٧) وفدان من الكويت ومن البحرين ، مؤلف من الوكيل السياسي الكولونل هاملتن والمستر فلبي والكولونل أوين (١) ، ليفاوض ابن سعود في الامرين السياسي والحربي اللذين تقدم ذكرهما ، اي ليوفقوا بينه وبين الحسين ، وليستنهضوه على ابن الرشيد وعلى احلافه من عشائر العراق .

وكان عبد العزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جده ، فطلب المستر فلبي ان يتوسط في الامر وتعهد اذا أُذن بالسفر الى الحجاز ان يعود عاجلاً ومعه المعتمد البريطاني ، فأذن عبد العزيز بالسفر ، وارفقه برهط من رجاله .

قد كان للمستر فلبي قصد آخر في رحلته هذه ، وهو يلمح اليه في كتابه ، فلا بأس اذن ، خصوصاً ان تلك الحوادث اصبحت في ذمة التاريخ ، بالافصاح عنه في كتابنا . من المعلوم ان الطريق الى نجد براً من الحجاز هي اقصر جداً من الطريق البحرية الهندية . وقد كانت رغم ادعاء الملك حسين أأمن في تلك الايام . ومما لا يعلمه الناس ان المال الذي كان يُبذل في شبه الجزيرة كان يجيء من طريق مصر ، وان الحكومة الانكليزية في الخليج الفارسي كانت في حاجة الى قسم كبير ليصرف في اطراف العراق ونجد .

عاد الكولونل هاملتن والكولونل أوين الى الكويت ، وسافر المستر فلبي في الشهر الاول من عام ١٩١٨ الى الحجاز ، وهو متأكد ان سيعود في الطريق نفسها ومعه في الاقل المال الذي كان متوقفاً في جده . وقد ارسل معه ابن سعود كتاباً الى الملك حسين مدبجاً براع اللطف والولاء . ولكن الحسين ، وهو المشهور بتصلبه ، تغلب على اللطف فيه ، حتى وعلى المجاملة والمواربة ، فتجهم المستر فلبي ، ولم يلبس غيظه شيئاً من زخرف الكلام او الابتسام - "الرجوع الى نجد يا حضرة النجيب هو غير ممكن الان - غير ممكن".

(١) Col. R. E. A. Hamilton "يومئذ الوكيل السياسي في الكويت"
H. St John Philby "مؤلف كتاب «قلب البلاد العربية»"
Col. Cunliffe Owen

اما رجال ابن سعود فأذن لهم بالرجوع الى بلادهم، ولم يزودهم بكلمة لطف او عنف - لعبد العزيز بن الرزوم يا اولادي للكتابة. نحن نحل شاكلنا بيدنا".

كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب، فظل شكلاً بعدها.

اما المشكل الحربي فقد كان جله يختص بمصادرة المون والذخائر التي كانت تصل الى الاتراك في بغداد وفي الشام من طريق الكويت والبادية.

وكانت الكويت الباب الاكبر للتهريب تجيئها المون، الشاي مثلاً والارز والسكر من الهند والعجم فتباع باسعار باهظة، وتتسرب الى وكلاء الدولة او بالحري الى رؤساء العشائر، فيهربونها الى الاتراك والالمان في سورية وفلسطين.

ومن اولئك الرؤساء ماجد بن عجيل شيخ العبده، اكبر قبائل شمّر، وضاري بن طواله شيخ شمر العراق، ومحمي السعدون رئيس المنتفق. فقد كان العدو في الشام وفي بغداد يحصل بواسطتهم، مهما كانت الاسعار باهظة، على كثير من الارزاق والذخائر التي كانت تجيء الى الكويت للانكليز في جنوب العراق.

على الانكليز اذن ان يصادروا المهربين، ويحكموا نطاق الحصار لمنع التهريب وتخفيفه فحاولوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت الى البصرة فالناصرية.

ولكن الكويت نفسها كانت اضعف حلقة في سلسلة الحصار، وكان حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح من كبار المستثمرين بتجارة بلاده، وبالتالي المشتغلين عملية التهريب. ومع ان الكويت في حوزة الانكليز فلم يتمكنوا من احكام النطاق الحربي عليها، فاضطروا في النهاية ان يحددوا وارداتها فلا تتجاوز الكمية المعروفة قبل الحرب.

ومع ذلك فقد كان يتسرب الى العدو قسم كبير منها، فبذلوا المال في العشائر للمصادرة، واشتروا كبار المهربين مثل ماجد بن عجيل وضاري بن طواله.

ترد البحث بحرنا الى مهمة المستر فلبي الثانية. فقد عاد من طريق الهند والبصرة في ربيع ١٩١٨، وخرج الى البادية ينشد المصادرين، وفي قافلته جمال تحمل اكياساً من الفضه. وكان ضاري بن طواله قد انخرط في السلك الانكليزي لقاء مشاهرات معلومة، ووظيفته مصادرة المهربات التي كانت تصل الى الشام بواسطة ابن الرشيد في حائل. ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمر، وشمر هي ظهر ابن الرشيد -

فهل يلام اذا صادر اعداءه فقط ؟

جاءه فلبي وهو في الحفر - جاءه يحمل النقود ، عاقد العهود والناقضة لها .
فشكى ضاري اليه ضيق الحال ، وفقر الرجال - والحاجة يا فلبي شديدة الى المال .
أناخ فلبي جماله ، جمّل الله حاله ، فابتسم الضاري وقال : "والله يا فلبي "حنا" جمالك"
فقال فلبي : "قوموا اذن وارحلوا معي الى ابن سعود" . فامتثل ضاري الامر ، وشد الرحال
فركب في موكبه ستون من رجاله . وجاءوا والمستر فلبي يتوددون الى ابن سعود ويقطعون
له العهود . فاجتمعوا به على غدير يدعى الشوكي ، واتفقوا ان تكون المصادرة عامة بدون
تمييز . واقسم ضاري يميناً مغلظة ان شمّر العراق تكون دائماً ابداً مخلصة للانكليز ولابن سعود .
~~[illegible]~~ ثم ارسل ماجد بن عجيل شيخ العَبْده رسولاً الى عبد العزيز يطلب الصلح فقال له : "اني
انذركم يا اهل شمّر . فاذا كنتم مخلصين لنا تعالوا اقيموا في كبدي . ولماذا كنتم تفاوضون
الانكليز وتساعدون الترك فانا عدوكم وقاهركم ان شاء الله".
- "اما حائل يا مستر فلبي فاذا تركتم امرها لي فانا اعالجه بالسياسة ، واذا الححتم فعليكم
بالمدد".

ولم يكن المدد المقصود المال ، بل الاسلحة والذخيرة ، وهي يومئذ قليلة عزيزة . ثم قال
عبد العزيز : "حائل في فكرنا دائماً . ولكن حائل جدار ونار . ترى الصحيح ان ابن الرشيد
محصن فيها وراء الجدران والمدافع".

عاد المستر فلبي مع ابن سعود الى الرياض ، وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة . قال عبد العزيز
"اني قادر ان امنع ابن الرشيد عن محاربة الشريف وهذا جل ما تبغونه الان . ولكن بيني وبين
شمّر عهد . فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . فاذا رجع ابن الرشيد وكان حليفاً لنا ، -
فذلك خير . تتحقق المقاصد بدون قتال . والا فانا احاربه".

اما العهد الذي اشار اليه فهو ان بعد سفر فلبي الى الحجاز شد عبد العزيز على ابن الرشيد الذي كان يومئذ
على الحجر عند الترك . ولكن مشائخ قبائله جاءوا ابن سعود يعاهدونه على الطاعة والولاء .
ودليل صدقهم كما قالوا ، هو ان ابن الرشيد طلب منهم ان يحاربوا مع الترك الشريف فأبوا . وقد تعاهدوا
وابن سعود انهم ينذرون ابن الرشيد - فاذا قدم من الحجر وكان معك يداً واحدة ، فهي بشارة

وعشائرك، واذا رفض الرجوع فحتى مصلحتيه!!.

لبث عبدالعزيز ينتظر الجواب من مشايخ شمّر. ولم يرَ ان يبقى المستر فلبي اثناء ذلك عنده في الرياض. فصارحه في الامر. فرغب فلبي في رحلة الى وادي الدواسر، فاذن عبدالعزيز بذلك، ورحل مصحوباً برهط من المحافظة في شهر رمضان، فعاد الى الرياض في الشهر التالي [صيف ١٩١٨].

وكان قد جاء الجواب من ابن الرشيد برفض مطالب رؤساء شمّر، فشد عبدالعزيز يريد الزحف الى حائل، وكان المستر فلبي مرافقاً للجيش. ولكنه لم يكن مثل مواطنه المأسوف عليه شكسبير الذي حضر معركة جراب وشارك في القتال - وفي الضحية.

تخلف فلبي في القصيم، وتقدم عبدالعزيز بجيشه الى حائل. لم يكن القصد يومئذ غير ان يُشغل ابن الرشيد فيمنعه عن مناوشات العرب الذين كانوا يحاربون مع الاحلاف في شرقي الاردن. فلما وصل الى باطن ماء في اطراف حائل، رأى جموعاً كبيرة من العربان وقد حالوا دون امنيته. ولكنه هاجمهم، فاصاب منهم مغنماً، وعاد فنزل على ماءٍ آخر قريب من المدينة. فخرج ابن الرشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلاً. ثم عدل عن قصده وقفل راجعاً بدون قتال. كان قد بدأ الجنرال اللنبي في الهجوم العام على الترك في فلسطين وشرقي الاردن، وكان الترك يستنجدون ابن الرشيد، فعدل عن محاربة ابن سعود.

من المألوف في مثل هذه الحال ان ينهض الجيش المهاجم فيتأثر الجيش المتقهقر ويجتز ساقته. ولكن ابن سعود لم يفعل ذلك. بل عاد في اليوم التالي الى القصيم وقصده ان يجمع قوة اكبر من تلك التي كانت معه فيقسمها الى قسمين، قسم لمنازلة عربان شمّر وقسم لمهاجمة حائل. ولكنه مثل خصمه عدل ايضاً عن قصده. والسبب في الحالين هو ما احرزه جيوش الاحلاف والعرب في هذا الشهر (ذي القعدة - ايلول) من النصر في فلسطين وسورية؛ فوصل الخبر طائراً منه الى البلاد العربية.

دخل العرب الشام ظافرين! فر الترك منهزمين! فاز الاحلاف الفوز المبين - سلّم الالمان معقد الصلح! وما بال. العرب لا يتعظون ويتصالحون.

وفي ذاك الحين توقف ابن الرشيد وابن سعود عن القتال، وعقدا فوق ذلك – مثل الاحلاف والالمان في فرساي – صلحاً صغيراً".

تاريخ نجد الحديث

الفصل السابع والعشرون -
الفصل الثاني والثلاثون

٧٤ - ١١٧

"الفصل السابع والعشرون"

وقعة تربة ومقدماتها

بعد ان سلّمت المدينة (١) كتب الامير عبدالله ابن الملك حسين الى امراء العرب يخبرهم بذلك وارسل الى ابن سعود الكتاب الآتي :

الى حضرة المحترم المكرم الامير عبدالعزيز بن سعود الفيصل .

وبعد فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو ، واصلي واسلم على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . ثم اخبرك بان الله فتح لنا ابواب مدينة خير البرية ، وان حاميتها قد أُسرت ، واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف ، وجميع الاملاك والالات والادوات العائدة للحكومة الغابرة . كما ان فخري باشا (٢) قد اعتُقل في بئر درويش . واما العساكر فبادرنا بنقلهم الى بلادهم . ولا يخفى على مدارككم بانه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ادام الله وايده عن الالتفات للاصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها . والسلام عليكم ورحمة الله .

في ١٢ ربيع الآخر ١٣٣٧

قائد الجيوش الشرقية

الامير

الختم (عبدالله قالاني)

وقد كتب ابن سعود اليه كتاب تهنئة دعاه فيه الى التفاهم بخصوص العشائر ، وأكد له انه لا يبغي غير السلم اذا كان هو من المسالمين . فجاءه الجواب الآتي :

الى جناب سامي الرحاب الشهم الاوحد والهمام الاوجد ، الامير عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود سلمه الله .

وبعد الديباجة المفعمة بالتودد والتبجيل نقول :

اني منكفئ (راجع) ان شاء الله تعالى الى الوطن في الاسبوع القادم لاكون بخدمة صاحب الجلالة الهاشمية ادام الله نصره . واني ارجوكم ان تبلغوا سلامي الى معالي والدكم الجليل والانجال والاخوان الكرام . ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الملك الامير علي نصره الله يهديكم جزيل السلام

في ٢ جمادى الثانية ١٣٣٧ قائد الجيش الشرقي الهاشمي : الامير

الختم

(١) استمر حصار المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا الا بعد اعلان الهدنة بشهرين اي في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٧ (١٥ يناير ١٩١٩)

(٢) عينته بعدئذ الجمهورية التركية سفيراً لها في افغانستان .

ومع هذا الكتاب كتاب شخصي لجلالة الحسين.

و«... ما صحة خبر» من سمو الامير فيه ما يأتي:

«اني اخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون. ولا يجوز ان يفرق بينكم وبين والدي امور البادية التي لا اهمية لها ... وكيف يمكن ان يحدث خلاف بين جليلين كبيرين بخصوص تربة والخرمة والبادية؟ ها انا متوجه الى مكة فارجوكم ان ترسلوا احد رجالكم وان ارتأيتم ان يكون احد انجالكم فذلك اولى. وانا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد.»

ولكن احد العقيلات (١) الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر عبد العزيز ان الامير عبد الله يتأهب للزحف بجيشه الى تربة. ثم جاءه آخر يقول ان الامير خرج من المدينة ووجهته تربة. فكتب عبد العزيز الى حكومة بريطانية العظمى بواسطة مندوبها في العراق يخبرها بمقاصد الملك حسين وقائد جيش ابنه عبد الله. فجاءه الجواب ان ذلك من الاشاعات التي لا صحة لها.

كتب ابن سعود ثانياً يقول ما معناه: اني متحقق ما اخبرتكم به وما اخبرتكم خوفاً او شكاية بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبما قد يعقبها. وكتب ثالثاً يخبر المندوب السامي ان الامير عبد الله مشى بجيشه من المدينة ووجهته تربة. فلم يجئه جواب الكتاب الاخير.

وكان قد جهز سرية مؤلفة من الف وثني هجان بقيادة سلطان بن بجاد امير الغطغط فامرهم اذ ذاك بالسير الى الخرمة وتربة للمحافظة على اهالي تلك الناحية، وامر ابن بجاد والعالم المرافق السرية بأن تكون خطتهما الدفاع لا غير.

ثم ارسل بعض العقيلات متجسسين، وامرهم بان يخبروه خصوصاً بما يفعله الامير عندما يصل الى عشيرة. فاذا ترك عسكره هناك ودخل مكة كان في ما كتب صادقاً واذا استمر سائراً كان جوابه خدعة.

زحف الامير عبد الله بجيشه من المدينة جنوباً الى عشيرة (٢) فوافاه اليها جلالة الملك والده. وبعد المفاوضة عاد الحسين الى مكة واستأنف عبد الله السير جنوباً فخيم في شعب يدعى البديّع في جبل حضن.

حدثني سمو الامير قال: «لم يكن من رأيي مهاجمة تربة. وقد حاولت ان اقنع جلالة الوالد بالعدول

(١) العقيلات تجار من القصيم وقد كان منهم عدد في جيش الامير عبد الله.
(٢) هي على مسافة مئتي ميل جنوبي المدينة ومئة وسبعين ميلا شرقي مكة.

عن عزمه . ولكني كقائد الجيش الهاشمي مطيع لاوامر مولاي . حتى اني كتبت اليه بعد ان تذاكرنا

في عشيره . ولبثت في البديع انتظر جوابه فلم يكن غير الامر بالزحف !!

وكان قد كتب الامير عبدالله في اوائل شهر رجب الحاج ابن عمه « صاحب السمو الامير عبدالله بن محمد »

وهو يومئذ في الخرمة او في جوارها الكتاب الاتي :

وبعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابكم رفقه عائض بن جوير وصل وعلم مضمونه

وعيال مهركا الصغار نوخوا البارحة على صاحب الجلالة واخبرونا بالكون

(الغارة) عليهم وكسرة الوهابية . ولا شك ان العرب اذا صدقوا اللقاء كسروا

المغير عليهم . هذا امر ثابت وحسب الرغبة امر صاحب الجلالة بانقاذ ابن مهركا

فاخترنا مئتين من الجعدة مع غالب بن عنيز يمشون غداً او بعده ان شاء الله .

(ه كلمة مبهمة) امير الخرمه السيد غازي الحارث به السطوة في البلاد الان : فبعد

وصولي بالقوة الكافية اليكم نزدها بما تستحقه والتوجه بيد الله . هذا ما لزم

ودمتم ونحن على مشي في هذين اليومين . في ٢ رجب ٣٣٧ الامير القائد

الامضاء : عبدالله

مشى بعد كتابة هذا الكتاب من عشيرة الى جبل حضنه فخيم في البديع . وجاء ابن سعود في اواخر

هذا الشهر او في اوائل شعبان احد عقيلات يخبره بذلك . فكتب الى الامير كتاباً في

١٠ شعبان قال فيه : (عائد الحمكة المكرمة . والطاهر ؟ك)

« قد تحقق عندي خلاف ما اخبرتني به سابقاً اي انك مهاجم تربه والخرمه . .

وذلك ~~لا يعجبك ولا يجيز~~ وهو مخالف لما ابديتموه للعالم الاسلامي عموماً

والعربي خصوصاً . واعلم رعاك الله ان اهل نجد لا يخذلون اخوانهم وان الحياة

في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء . اجل وان عاقبة البغي وخيمة . خير لك اذن

ان تعود الى عشيرة . وانا ارسل اليك احد اولادي او اخوتي للمفاوضة فتتم

الامور على ما يرغب به الفريقان ان شاء الله . »

والكتاب طويل تدرك بساطته من جواب الامير وفيه كل الخير وهو في عنوانه يعود الى لهجة الكتاب الاول .

(الرسمية .)

من عبد الله ابن امير المؤمنين الحسين بن علي الى حضرة امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز ابن سعود دامت كرامته!

(ما كان الكتاب الثاني، كتاب ٢ جمادى الثانية: عفو ويمضي برقة في سماء التودد المدلهمة) قال سمو الامير بعد «اني احمد الله» واخواتها.

وصلني خط الجناب الموقر المؤرخ ١٠ شعبان فتلوته وفهمته، فلم اجد فيه ما استغربته واستعذبته. تقول اني بينما اكتب اليك مسالماً اجرّ الحراب على المسلمين، وان تظاهري هذا اثار ثائر الناس علينا. وانك. دامت مودتك، خرجت فزعاً الى ان يأتيك مني الجواب. واليك به وهو ينطق بلساني لا بلسان صاحب الشوكة والدي وحكومته.

اولاً - اظن ان صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله (صلعم) - ويحيي ما احيا الكتاب والسنة ويميت ما اماته الكتاب والسنة لان هذا دأبه ودأب اجداده منذ الى صفوة الخلق عليهم سلام الله.

ثانياً - لا اذكر ان احداً منا وقع على كتاب ذُكر فيه انك او احد آل مقرن من الخوارج، او انكم لستم من امة الرسول.

ثالثاً - كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعثى في الارض فساداً يستحق التأديب شرعاً، شخصاً واحداً كان او الف شخص.

رابعاً - اعلم وتيقن ان نياتنا نحوك ونحو اهل نجد نية خير وسلام.

خامساً - اما قولك ان الناس نفروا جميعاً لحربنا اناثهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى.. فان جاءونا (اي عرب برقه والروقه الذين انذرهم) بنية حسنة فتحنا لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل ان ينزل اجدادك بنجد. وان بغوا فلكل باغ مصرع وان الله مع الصابرين.

سادساً - تأمرني بالرجوع الى ديرتي من ارض هي لابي وجدي. ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم؟ جزيت خيراً. ولكن هل تذكر ان رجلاً من قريش، ثم من بني عبد مناف، ثم من بني هاشم، جده الرسول وعلي ابن ابي طالب، يقعقع له بالشنان (1) ويروع بمثل هذه الاقاويل؟

سابعاً - تقول اني لو التقي رجلاً في نجد يرجح الحياة على الموت في سبيل الله لما اجده. فطالما لا وفقه لهم اذن ان يأتونا ويجاهدوا الاتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله حتى ينال الشهادة منهم من

(1) اي بالشنان وهو مضرب لمن لا يخضع لحوادث الدهر.

كتب له . ثم بعد ذلك نردون بما النظر .

ثامناً – اخبرتك في كتابي بفتح المدينة المنورة باني متوجه الى الوطن لتأديب العصاة ، وسألتك هل انت على عهدي بك ام تغيرت نيالك فجاءني نجاجيبك بجواب منك فيه الميل الى التقرب والمسالمة فرجوت خيراً وعززته بالجواب الثاني . فجاء ثاني كتبك لي وشلة لوالدي ولاخي سلوكها المودة المؤكدة باليمين وكل ذلك محفوظ . فما حملك الان على تغيير لهجتك ؟ أسمح اجل انا – نؤدب رعايانا ونصلح ما فسد في قبائلنا ؟

تاسعاً – ان كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فارود الذي امرتهم ببيع مواشيهم ، وبنيت لهم الدور (يريد الهجر) ثم اخرجهم في منازلهم . واخل انت مطانك الذي وصلت اليه واخر اعدالى يرتك ولك علي الامس احداً من اهل نجد بسوء .

واني مرسل اليك كتابي هذا مع احد نجاجيبك وهو القحماني وابقيت الاخر لياتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام . في ٢٢ شعبان ١٣٣٧

القائد العام للجيوش الشرقية الهاشمية
الامير : (الختم)

تربة والخرمة ! لابد عند هذا الحد من كلمة في هاتين البلدتين وقد اثارتا الحرب بين نجد والحجاز . الخرمة هي على مسافة خمسين ميلاً من حضن الى الشرق ، وتربة هي على مسافة خمسة وسبعين ميلاً منه الى الجنوب وجبل الحضن هذا هو في التقاليد الحد الفاصل – الحاجز – بين نجد والحجاز . فقد جاء في الحديث : من رأى حضنا فقد أنجد .

من هذه الوجهة اذن تكون البلدتان في نجد . ولكن اصحاب السيادة فيهما من اشراف الحجاز ، فادعى الملك حسين رعايتهم . ومن الوجهة الاخرى ان الاهالي ، بدو وحضر وفيهم الاشراف ، تمذهبوا في الزمن الغابر بالمذهب الوهابي ، ولهذا السبب ايضاً يدعي ابن سعود رعايتهم . وكلهم بدو – وحضر لا يتجاوزون الخمسة والعشرين الف نفس .

الخرمة التي تعلو ثلاثة الاف وخمسمائة قدم عن البحر هي كائنة في وادي سبيع وعدد سكانها خمسة آلاف ثلثاهم من العبيد المعتوقين ، والثلث الآخر من عرب سبيع (١) اما الاشراف فلا يتجاوزون الثلاثمئة نفس . ولكن اهميتها لا تقاس بعدد سكانها لانها كائنة في طريق التجارة بين نجد والحجاز ، بل هي محطة تجارية لتجار الوشم والقصيم .

(١) كانت سبيع تقطن جهات الحجاز فطردتها عتيبة ، فنزحت الا بقية منها هم سكان الخرمة دونية الى جنوبي نجد واقامت وحلفاؤها السهول في حائر هناك اي حائر سبيع .

اما امير الحزمة الشريف خالد بن منصور فهو من بني لؤي اي من اقارب الملك حسين ولكنه من
المتصلبين في الوهابية . لذلك لم تصفُ الصلات بين الشريفين . وقد حدث خلاف في سنة ١٣٣٦
حمل جلالة الملك على حبس خالد ، فاشتعل في صدره الثأر الاول . فغطاه لحين برماد النسيان
وراح يساعد الامير عبدالله في حصار المدينة .

وهناك حدث خلاف بينه وبين الامير وتكررت الأساءة التي لا مجال لذكرها ، فتكلم خالد منذرًا
فغضب الامير وصفعه بيده ، فنُفيَ الرماد عن الثأر الاول والتهب مقرونًا بالثأر الثاني .

جاء خالد الى الرياض في آخر سنة ١٣٣٦ يحذر ابن سعود من مساعي الحسين ونجله عبدالله .
ويستنجده عليهما . وقد حدث في السنة التالية . ما فحواه قوله لان الامير ارسل اربع حملات
(١٩١٨ م) على الحزمة بقيادة الشريف شاكر وكان نصيبها كلها الفشل .

اما تربة فسكانها من عرب البقوم ، وفيها مثل ما في الحزمة عدد من الاشراف يملكون اكثر
ارضها ، وكلهم بدو وحضر وعبيد من اتباع ابن سعود منذ ايام سعود الاول . ولكن قسمًا منهم
انضموا الى جيش الحجاز في الحرب العظمى ثم انقلبوا على الحسين لاسباب دينية ومالية . فآلى على نفسه
تأديبهم ولم تمكنه من ذلك الا بعد ان انتهت الحرب .

ومع ان تربة قرية لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة الاف فهي ذات اهمية لانها في الطريق الى الطائف .
هي باب الطائف من الوجهة النجدية ، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية . ويتبع تربة "سهل شرقي"
الى شمال مستنقعات البقوم وشرقها ، وعدد سكانها ثلاثة آلاف من البادية . وهناك
رنية وغيرها من القرى التابعة لسبيع والبقوم . وحول هاتين القبيلتين شرح وترح قبيلة
عتيبة الكبيرة .

نعود الان الى الجيش الزاحف الى تربة فقد بالغ الرواة في تقديره ، فقال بعضهم انه كان
مؤلفًا من سبعة آلاف من النظام وثمانية آلاف من البدو . اما الحقيقة فهي انه لم يتجاوز كل السبعة
الآف منهم نحو [illegible] فقط من النظام والباقي من البدو .

الفان

ولكنه كان كافيًا لغرض الامير . فقد دخل تربة بدون قتال يذكر ، دخلها في ٢٤ شعبان
[١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م] اي بعد يوم واحد من ~~رسالته~~ الكتابة الى ابن سعود . والذي مكنه من ذلك
هو انه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جيل حضنه - استغواهم بالمال - ليدخلوا البلدة

للمدافعين

٨٠

مدعين انهم جاؤا يحذرون اهلها من الامير ويستنهضونهم على محاربته . بل قالوا انهم جاؤا يحاربون معهم ، فانزلوهم في الحصون مع من تحصنوا فيها ، فما لبثوا ان انقلبوا عليهم فاستولوا على اسباب الدفاع وصاحوا بالناس : الملك للشريف !

وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان (٢٤ مايو ١٩١٩) دخل الامير بجيشه فصادف لاول الامر بعض المقاومة ، فأمر باطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين فشتتوا ثم فروا هاربين الى الحرة جنوبي البلد .

دخل الامير ظافراً فوزع جيشه في جوار تربة وحولها ، وخيم هو في الجهة الغربية الجنوبية منها . وكانت ساعة لرجاله اباحية فنهبوا البلدة وافسدوا فيها ما شاءت الشهوات والاهواء .

وقد امر الامير في ذاك اليوم بقتل بعض المشائخ واثنين من التجار النجديين وبمصادرة اموالهم ثم كتب الى رؤساء البادية في تلك النواحي ، خصوصاً في رنية ، يخبرهم بما حل بتربة ، ويهددهم بمثل ذلك اذا لم يأتوا الاركون اليه طائعين صاغرين . وهاك احد هذه الكتب بنصه الحرفي :

جيشوا ١٢١٦

قيادة الجيوش العربية الشرقية

" بسم الله الرحمن الرحيم "

من عبدالله ابن امير المؤمنين الحسين بن عون الى المكرم فيحان بن صامل .

اما بعد فاني احمد الله اليكم الخ ... ثم اخبرك باننا وفقنا الباري سبحانه وتعالى فاطفأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق . وضربنا اعناق ارباب الزيغ والنفاق ومن جملتهم الطعاني وابنه مسبب نزيل قرينكم . وان هذه الفتنة التي اثارها خالد بن منصور بلا لازم ينصاه ، احمد يطلبه ، وادخلكم فيها ، نأمركم بتركها والاسراع بالركوب الينا وكف كافة سبيع اهل رنيه بدون حضر عن الاشرار فيها . ونأمركم بجلب شوفح الزكور (قبيلة من القبائل) معكم الينا في ستة ليالي للاشتمال من سطوتنا . وان لم تفعلوا فانتظروا قدوم البيرق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى منجداً عظيم قدرته . ولا تكتم انذاري هذا عن كل صغير وكبير لاني سأسألك عنه حين لا تنفعك الندامة والسلام على من اتبع الهدى . في ٢٤ شعبان ١٣٣٧

القائد العام للجيوش الشرقية الهاشمية الامير
(الختم)

وفي كتاب الى ماضي بن قاعد ومحمد ابن نفيشه يقول :

"ما خفى عليكم ما حل بتربه من ذبح الرجال ، وتدمير المال ، بعد ان طغى اهلها وبغوا . وانتم يا اهل رنيه بدو وحضر ان ما كفيتم طوارقكم وركبتم الي في ستة ليالي مع شريفكم والا حرشتكم جنود السلم وطردتكم طرد غرائب الابل (الابل) وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا هشاري بن ناصر وغازي بن محمد لقان حبابي يسبق كتابي اليكم . والسلام على من اتبع الهدى"

استقر الامير ذلك النهار في المخيم المنصور ، وبعد ارسال كتب التهديد الى رؤساء القبائل اذن لنجاب ابن سعود ان يعود بالجواب الذي ذكر . وكان قد علم بان السرية التي جاءت الى الخرمة اي جيش ابن بجاد وخالد - قد مشت منها الى مكان يدعى القرنين ، وهو على مسير اربع ساعات من تربه ، فزود النجاب برسالة شفاهية ايضاً .

"- اخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرنين بما جرى . قل لهم اننا سنكفيهم مؤونة القدوم الى تربه - قل لهم ما جئنا تربه من اجل تربه والخرمه فقط .. سنصوم في الخرمة ان شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحسا ."

ركب النجاب الظهر ، فوصل الى القرنين بعد صلاة العصر ، فاحاط به الاخوان مستخبرين . ~~- اياك نعبد واياك نستعين!~~ شم النجاب جيبه واخبرهم بما جرى ، وبما فاه به الشريف . وما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة : اياك نعبد واياك نستعين ! وهم يريدون الهجوم فسكن العالم والقائد روعهم . وقد قال ابن بجاد : "كيف تتجاوز امر صاحب الامر فهو لم يأمرنا بغير الدفاع ."

ولكنه كان قد نسي كتاباً جاءه من ابن سعود وفيه ما معناه : اذا جاءكم الخبر بمسير الشريف الى مكة فالزموا مساكنكم الى ان يأتيكم مني امر آخر . واذا علمتم بان تجاوز حدود تربه فاني آذنكم ان تنفضوا كتابه وتقرأوه فترون فيه رأيكم .

وما كانوا في حاجة الى استماع كتاب الامير وقد سمعوا كلمات من فم النجاب . ولكن العالم عمل بالامر وشدوا في العالي ، فصاحوا ، وهو يتلو الكتاب عليهم ، اياك نعبد واياك نستعين .

في تلك الساعة الرحالـــــ

"هبت هبوب الجنة ! اين انت يا ابا عنيزيا !"

مشوا قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم اليهم الف وخمسمئة مقاتل .

قال الراوي وهو من اهل الحجاز : جاء الامير عبدالله في ذاك اليوم رجل من البادية يقول : "تحذر يا شريف . المتدينة في الحزمه هاجمون عليكم . فغضب الامير وامر بقطع عنقه" وفي رواية اخرى امر ذخناً كبير عبيده بضربه .

في كلا الحالين نام الامير تلك الليلة خالي البال مطمئنا . وكان جيشه موزعاً خارج البلد وحولها على الصورة الآتية .

وكان الاخوان قد انقسموا الى ثلاث فرق قبل ان يصلوا الى نخيل تربة، اي فرقة الخيالة وفرقة خالد، وفرقة ابن بجاد. وعندما وصلوا البلد في الليل - ليلة ٥ شعبان (٢٥ مايو). هجموا هجمة واحدة ساكتين متشهدين.

من الجيش الحجازي

تقدم خالد ورجاله، وفيهم من شردوا من تربة، فدخلوا الباطن وقصدهم الاستيلاء على مخيم الامير. شوا وسلاحهم الابيض يلوح في الظلام شفاف فاصطدموا بالسرية الاولى وذبحوا رجالها كلهم. وكذلك الثانية. ثم هجموا على السرايا المقيمة عند مخيم الامير ففتكوا بها فتكاً ذريعاً.

وهجم ابن بجاد برجاله، وكلهم من اهل الغطغط على الجنود النظامية وراء المتاريس والاطواب فكانت السيوف تشتغل كالمقاصل، وكان ابن الغطغط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد وراءه بالحديد، ولكن هول الفوضى والظلام كان افظع من الذبح فطفقت الجنود تقتل بعضهم بعضاً وهم يظنون انهم يبطشون بالاخوان.

اما فرقة الخيل فقطعت خط الرجعة خصوصاً على حرس الامير فلم ينج منهم غير الامير نفسه وبعض الضباط، ونجا ابن سعود الشاني. فر الامير عبدالله بقميص النوم قبل ان يصل خالد ورجاله الى سرايا المخيم، فثبت بعضهم في النضال ليردوا البدو عن تعقبه، وسقط من حاول الفرار صريعاً بين سنابك الخيل.

اما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا الى حصن من حصون البلد، فهجم الاخوان عليهم في اليوم التالي، وجعلوا خاتمة المذبحة كاولها، فتراكمت الجثث بعضها فوق بعض.

اسمه عون بن هاشم

وكان من اللاجئين الى ذاك الحصن الشريف شاكر فكتب له النجاة، ونجا معه شاب من الاشراف اجتمعت به في جدة، في رحلتي الثالثة اليها، وهو يومئذ في العشرين من سنه فيكون عمره يوم شهد "تربة" خمس عشرة سنة. قال الشريف عون بن هاشم يحدثني عن هول ذاك اليوم:

"رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل. وبقيت سنتين عندما ارى الماء الجارية اظنها والله حمراء. ورأيت القتلى في بطون متراكمة قبل ان طحت من الشبابيك. ومن اعجب ما رأيت يا استاذ رأيت الاخوان اثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القتال".

لم ينج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثني عشر جندياً، ولم ينج من البدو غير من سلّموا

او انضموا الى جنود خالد ، واكثرهم من عتيبة ، وعددهم لا يتجاوز الالف . فيكون الموت قد تقاضى خمسة آلاف نفس بشرية جزاء جهل الانسان وغروره . بل خمسة آلاف وخمسمئة ، لأن الاخوان دفعوا قسماً من الضريبة ، فقد خسروا اربعمئة من رجال الغطغط ومئة من اهل تربه والخرمة .

وقال الامير عبدالله في كتابه الاول الى ابن سعود ينبئه بتسليم المدينة : "واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاسلاك والآلات والادوات العائدة للحكومة الغابرة" — استولى عليها في ربيع الثاني ، ثم بعد اربعة اشهر [illegible] فاستولى عليها ابن سعود !

ولكنه لم يعلم بذلك الا بعد الوقعة بخمسة ايام . فقد كان قادماً من نجد بجيش عدده اثنا عشر الف مقاتل ، فالتقى وهو في الطريق بمعاون القنصلية والخرمة بالنجاب الشارد فقص عليه الخبر .

استمر عبدالعزيز سائراً الى الخرمة ومنها الى تربة ، فبكى عندما شاهد فيها حصاد الموت . وعندما صاح جنود خالد وابن بجاد : الى الطائف ! رخص لنا بالطائف . منعهم قائلاً : "كفى الباغي جزاء بغيه" .

اقام عبدالعزيز خمسة عشر يوماً في تربة . وقد جاءه في اليوم العاشر برقية من الحكومة البريطانية بلندن بواسطة وكيلها السياسي بجده تسأله فيها ألا يتقدم الى الطائف . ~~فعل~~ ففعلت ذلك [illegible] اكراماً للملك حسين واجابة لطلبه ، [illegible]
وكان ابن سعود في نظر الحكومة البريطانية كريماً .

[illegible]

اين كان الامير عبدالله عندما كتب اليكم جوابه الاخير في ٢٢ شعبان وهل جاء بخاتم القبائلي حاملاً هذا الجواب من ذلك المكان ام دخل هو الامير الى تربه في اليوم التالي ؟ وهل هو الذي شاهد الهجوم ونجا مع من نجوا ام النجاب الثاني ؟ نرجو الافادة .

بعد استيلائه على تربه وقد دخل النجاب معه تربه وبعد استيلائه عليها اطلقه دخل عنده رفيقه

الفصل التاسع والعشرون

البدو والهجر

قد شاهدنا للمرة الاولى، في وقعة تربه، روحاً جديدة في القتال، روحاً نجدية دينية مجسمة في الاخوان، روحاً قهارة، هي بنت الهول والاستشهاد، قلما تغلب او ترد. وفي كلمة كتبها الامير عبدالله الى ابن سعود سر هذه القوة. قال الامير: "فارد والذين امرتهم ... بيع مواشيهم وبنت لهم الدور"

هي اول اشارة في هذا التاريخ الى الأُجُر، والهجر مهد الاخوان، والاخوان جيش ابن سعود الديني القومي، جيش التوحيد.

وما هي الهجر، وكيف أُسست، وما الذي دعا الى تأسيسها؟ ومن هم البدو ومن هم الاخوان؟ سنبدأ مجيبين على هذه الاسئلة في كلمة على البدو، فنتطرق الى الهجر واهلها. البدو منذ القدم غزاة، عصاة، عتاة، ولهم غريزة دينية غذاها الخرافات، ومطامع تكاد [illegible] بالأقوات. يسارعون الى القتال في سبيل الله كلما نفر النافر وضاقت بهم المعيشة.

ولكنهم في طاعتهم واخلاصهم، وفي جهادهم وولائهم، لا يتحملون فوق طاقتهم، وقلما يفادون بشيء من اشيائهم. يحاربون، ويشردون، ويخونون. وهم، وان غالوا في دينهم، لا يثبتون، بل انهم في الردة سريعون.

وقد رأى الرؤساء، منذ القدم، نظراً لغريزتهم الدينية وان تونت، ان يسلوا عليهم سيف الالوهية قبل السيف الذي يُرى. دعاهم مسيلمة فلبوه، ثم دعاهم الشيخ طاهر القرمطي فحاربوا معه كالبنيان المرصوص. ثم تشتتوا بعد كسرة القرامطة، فجاءتهم من البصرة والنجف عقائد في الدين جددت في جمع شملهم وتعزيز املهم، فبنوا القباب، فوق القبور، وعلقوا الرقاع بالاشجار — سبحان من هو صديق للواحد القهار.

ثم جاء ابن عبدالوهاب يعلمهم ان التسبيح لا يجوز لغير الله الواحد القهار. جاء يعلمهم التوحيد واستعان على ذلك بسيف ابن سعود، فقاموا يحاربونه مع ابن الدواس، وابن العريعر، وظلوا مدحورين.

جمعهم ابن سعود تحت علم التوحيد ، فوحدوا الله واقسموا ان لا شريك له . ولكنهم في كل اطوارهم بدو ، والبدو مثل ذي الاجنحة طيارون . او ان لهم مزية الزئبق ، فيجتمعون ويفترقون ، وانت تتلو الفاتحة . لا يحملون شيئاً في جيوبهم ، ولا في قلوبهم بل لا جيوب لهم ولا قلوب . "رفاقك في الطريق اليوم ، واعداؤك غداً" . ولا اظنهم لولا الجنة والحوريات ، يخضعون لرب الكائنات . قد اكون مخطئاً بهذا وهم يكثرون من ذكر الله في كل حالاتهم .

ولكن النبي نفسه أنبهم ولم ينفعهم التأنيب . فقد جاء في القرآن :
(قالت الاعراب امنا : قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .

اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه ردحاً من الزمن ، فيغسلونه مرة او مرتين ، ثم يلبسونه مقلوباً ، ثم ينبذونه وقد تمزق نبذ النواة . — وكيف نتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ؟ ولم الصلاة وليس لله وقت ليسمعنا ؟

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك . — فما الفرق وربك بين ابن سعود مثلاً وابن هاشم ، او بين ابن الصباح وابن الرشيد ؟ هم كلهم عرب يقيمون في بلاد العرب ، ويغزون عرب العرب ، ونحن ان حاربنا مع هذا او ذاك عرب . ~~لم تتغيروا منذ ايام الرسول ومنذ~~ ما تغير البدو منذ ايام الرسول ومنذ ايام مسيلمة . وبينهم حاجات ، لذلك الردات . ولا لهم غايات ، لذلك الخيانات .

وقد تبين للقارئ هذا التاريخ في ما سردناه من حوادثهم ، وسجلناه من حروبهم ، انهم لم يتغيروا حتى بداية القرن العشرين . فقد طالما ارتدوا ، وخانوا ، وعادوا تائبين ، منذ ايام عبد العزيز الاول الى ايام عبد العزيز الثاني . وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلاً ، ولا يعادون طويلاً . لا يثبتون ، ولا يسكنون ، ولا يستقيمون في سراهم او في مغزاهم .

البدو سيف في يد الامير اليوم ، وخنجر في ظهره غداً . مجاهدون اذا قيل غنائم ، متمارضون

متى

اذا قيل الجهاد. وكذلك كانوا عند ظهور عبد العزيز الثاني وفي حروبه الاولى وغزواته. كانوا يحاربون ما زالوا آمنين على اموالهم وانفسهم، ويفرون شاردين عند اول خطر يلوح. لانه كان ~~ولما كان الاخوان~~ ابن سعود ~~حر~~ يقيدهم في القتال ويدعمهم بالحضر، يحمي ظهرهم ليؤمن انقلابهم او تقهقرهم. فهم اذ ذاك اشداء ثابتون في النضال. وبكلمة اخرى هم شجعان اذا كان لهم ظهر، والا فالغالبة لنا والفرار علينا. جاء في الامثال العربية: البدوي اذا رأى الخير تدلى واذ رأى الشر تعلّى. ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبعيره حتى الموت وان كان خصمه قبيلة بأسرها. اما حال البدوي في الجيش فقد كان مشكل ابن سعود الاكبر.

وقد حل عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقه اليها احد من ملوك العرب قديماً او حديثاً. فهو من هذا القبيل المصلح الاكبر في العرب.

اجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل اجداده، وادخلهم في دين التوحيد كما فعل اجداده، ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد. قال: امسكوا الحونة، فقالوا: الفلا منجى. وها هنا نجوة التجلي. فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفت على سواه. وهذه الحقيقة هي ان البدو لا يثبتون ولا يطيعون ولا يخلصون — البدو هم بدو — لانهم لا يملكون شيئاً من الارض، ولا يسكنون بيوتاً ثابتة. اذن، سنعطيهم ارضاً ونساعدهم في بناء البيوت. سننقلهم من البادية الى المدينة. سنقيدهم بالارض، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم، واذا اذنبوا نستطيع تأديبهم.

ان هناك كذلك الفكرة الدينية، الفكرة الاولى في الهجر — والهجر جمع هجرة — والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال الى دار الاسلام. اما وطن البدو فالبادية، والبادية مهد الشرك، فالهجرة منها اذن هي الهجرة الى الله والتوحيد. وهي كذلك الهجرة مدينة.* فمن بيوت الشعر الى بيوت من لبن وحجر* ومن الفقر والغزو الى ارض لا تخون صاحبها اذا عمل بها المحراث، ومن الخوف والتحذر الى طمأنينة لا تهجره ما دام عاملاً مفيداً لنفسه ولبلاده.

الداعي الى الهجرة اذن ثلاثة امور اي تعليم البدو الدين، ونفعهم بارض يحرثونها، والاستيلاء عليهم

ليس من السهل ان يألف البدوي الزراعة وقد كان دائماً يأنفها. كان سكان البادية في الماضي يقسمون الى قسمين البدو والعرب. فالبدو غزاة، والعرب رعاة ولا اكار بينهم، ولا من يتنازل للعمل في الارض.

باشر ابن سعود اصلاحه الكبير بالواسطة الدينية، فكان يرسل المطاوعة الى البادية ليعلموا اهلها دين التوحيد والفرائض، ويزيّنوا لهم هجر ما هم فيه الى ايمان يستشعرون، وبيت يأوون، وارض يحرثون.

وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ايضاً، فكان السيف يتقدم المطوع في بعض الاحايين او يتبعه كما تقتضي الاحوال. تجاوز التطور في البدو حده الديني، فصاروا يهاجرون ما هم فيه ليس الى الله والتوحيد فقط، بل الى الشريعة والنظام، والى طاعة الحكام، واحترام حياة الانام.

وكان ابن سعود يعين بقعة من الارض فيها ماء لقبيلة او لفخذ منها فتنزح اليها وتباشر بناية البيوت فيها. بيد ان الصعوبة الاولى التي تغلّب دعاة الهجرة عليها هي الجمال. ومعلوم ان رزق البدوي اباعره، فما زالت عنده ما زالت البادية تستغويه، فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً او غزواً حيث كان. لذلك جُبر البدو على بيع جمالهم.

كان ابن سعود يساعد مالياً في بناء البيوت الجديدة. وقد أُسست في سنة ١٣٣٠ اول هجرة لمطير وهي الارطاوية في القصيم شرقي بريدة وقرب الدهناء. اما تسميتها بالارطاوية فمن الارطى مرعى الابل المعروف، يكثر حولها. الا ان هذه الهجرة اكبر الهجر اليوم واهمها. وقد تبعها كل سنة هجر عدة لقبائل حرب وعتيبة وقحطان وغيرها، حتى اصبح عددها سبعين هجرة ويزيد(١).

على ان هذه الهجر في بداية امرها اورثت ابن سعود مشكلاً آخر، وهو ان البدو بعد ان باعوا جمالهم وصاروا اخواناً يتعصبون بالعصابة البيضاء التي تميزهم عن الناس، اقاموا في الهجر لا يعملون شيئاً في ايام السلم غير الصلاة. غدت بيوتهم مناسك، وقد تركوها ابتغاء وجه الله. هجروا حقيقة الحلال والتوحيد فاصبحوا عالةً على صاحب البلاد.

ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة تنقذ اصلاحه من الخطر. فشحذ ذهنه واشتغل على تلك الحالة

(١) في الملحق لهذا التاريخ - في آخره - لائحة الهجر كلها واسماؤها واسماء عشائرها، وعدد سكانها وعدد المقاتلة فيها.

بالعلماء، فجاء العلماء بالتاريخ، وباخبار السلف. فسلحوا بها المطاوعة، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسل. راحوا يعلمون المتحضرين ان الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وان المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير. — وهذا ابوبكر، كرم الله وجهه، كان يملك ثمانية آلاف رأس من الابل والخيل. فهل تزدرون، ايها الاخوان، ما كان يرغب فيه ابوبكر؟ وهل تشكون ان الله سبحانه وتعالى يفتح لكم، اذا انتم زرعتم وتاجرتم ابواب الثروة والجاه؟

قد افلح المطاوعة في تحبيب الاخوان الى العمل والمال، فشرعوا يزرعون الارض حول الهجر ويتاجرون. وقد نشأت بعض هذه القرى نشوءاً سريعاً فصارت تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة. على ان الزراعة والتجارة لم تضعف في ابناء هذه الهجر، في الاخوان، روح القتال. بل علمتهم فوق شجاعتهم شجاعة جديدة لا تعرف الخوف، ولا تهاب الموت. وما الشجاعة هذه غير بنت الايمان الجديد الحي القوي. فان اخوان مطير في الارطاوية مثلاً وحرب في دخنة وعتيبة في الغطغط لأشد جيش ابن سعود بأساً وابسلهم نضالاً، واسبقهم الى الاستشهاد. كيف لا وقد قلدوا في تضحيتهم سيفين، سيف الدين وسيف الثبات. انهم اليوم كعهدهم بالأمس، فلا يفرون ولا يتراجعون، وقلما ينهزمون. انهم يحاربون حباً بالاستشهاد والجنة وحباً بالمحافظة على ما يملكون. صاروا يخافون النار، ويخشون عاقبة الغزو.

لا. لم تقتل الهجر في اهلها غريزة الغزو، ولا اضعفتها. بل شحذتها، في سبيل الله. وقيدتها بشروط تختص بتقسيم الغنائم. على ان توحيد السيادة العربية، السائدة البلاد كلها، تقضي مع طبعها بمجال الغزو وتزيله في النهاية تماماً. فلا يجد اذ ذاك البدوي العداء من العرب يغزونهم، او عرباً مشركين يجاهدون.

قلت مرة لعظمة السلطان: أوستكون الهجرة الثانية من الجهل الى العلم ان شاء الله، فتؤسس المدارس ويتعلم الاخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها ان تحسن الصناعة والتجارة والزراعة

في البلاد". فاجاب عظمته: "كل شيء يجيء في وقته".

اما سكان الهجر الان فقد القوا الزراعة واستعذبوا ثمارها، وهم الطبقة الاكثر عدداً
وهناك الطبقتان الآخرتان أي التجار والمطاوعة. ~~و~~ فالهجر تنقسم اما من الوجهة الحربية الى
ثلاثة اقسام أخر لتلبية دعوات الحرب الثلاث، اي الجهاد، والجهاد مثنى، والنفير.
فالذين يلبون الدعوة للجهاد هم دائماً مسلحون وعندهم ذلول وشيء من الذخيرة. والجهاد
مثنى هو ضعف الجهاد، فيجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله. هم الذين يلبون الدعوة الثانية
والاحرى ان يسموا الرديف. اما القسم الثالث من الذكور فهم الذين يبقون في ايام الحرب في
الهجر ليداوموا اعمال التجارة والزراعة. ولا يدعون للحرب الا اذا اضطر صاحب البلاد الى الاستنفار

~~[illegible]~~ العام من حقوق الامام وحده ان يدعو الى الجهاد والجهاد مثنى. اما الاستنفار العام
الذي لا يكون الا للدفاع عن الوطن، فهو حق العلماء. ولكن السلطان يكتب اليهم معلناً حاجة
البلاد الى الدفاع، فيبادرون الى استنفار الناس اجمعين، البدو والحضر والمهاجرين.

قال عظمة السلطان محدثاً عن الاخوان "يجيئونا في ايام السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون اليه من
كسوة ورزق ومال. ولكنهم في ايام الحرب لا يطلبون شيئاً منا. في ايام الحرب يترك الواحد
منهم بيت الخرطوش، ويبادر الى البندق، ثم يركب الذلول ومعه شيء من الماء، والتمر، وشيء القليل
عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا...
كنا نمشي بثلاثة ايام بدون اكل، يأخذ الواحد منا تمرة من حين الى حين يرطب بها فمه...
نعم كانت الحاضرة اثبت قدماً واشد بأساً من البادية. اما الان فالبادية المتحضرون، اهل الهجر،
هم في القتال اثبت من الحاضرة واسبقهم الى الاستشهاد".

ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم وبطشهم وحول استشهادهم اورثوا عبد العزيز شغلاً آخر كاد يفسد
مشروعه الاصلاحي العظيم. فقد طغى الاخوان وتجبروا فضجت الناس. راح الاخوان يحاربون
من لم يتحضر من البدو، ~~ويشتمون~~ وينهبون ويقتلون — "انت يا بدوي مشرك" — والمشرك حلال
يكفرون

الدم والمال . انت يا ابا عقال من الكفار - انا اخوين طايع الله ، وانت اخوين طايع الشيطان". كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصابة البيضاء على سواه من العرب فيغير ويسلب ويسفك الدماء . وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى في البلاد وكاد ينقطع حبل الامن والسلام ، فعقد الامام في سنة ١٣٢٧ (١) مؤتمراً في الرياض للنظر في هذه الامور ، حضره كبار الرؤساء والعلماء ، وقرروا بعد البحث ما يأتي :

١ً - الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم .

٢ً - لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحد .

٣ً - لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الأخيرين .

٤ً - لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودرب دربهم ، ومعتقده معتقدهم ، وبين ذبيحة الحضر الاولين والمهاجرين .

٥ً - لا حق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن يضربونهم ، او يتهددونهم ، او يلزمونهم بالهجرة .

٦ً - لا حق لاحد ان يهاجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح ، وكفر صريح ، وبدون اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي .

وقد ضُمّنت هذه القرارات منشوراً (٢) من الامام والعلماء جاء فيه ما يأتي :

"ان معتقد المسلمين ، بدو وحضر ، واحد . واصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة ثم السلف الصالح ثم أئمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك ، والامام الشافعي والامام احمد بن حنبل والامام ابو حنيفه ، فهؤلاء اعتقادهم واحد في الاصل ...... وقد يكون بينهم اختلاف في الفروع ، ولكنهم كلهم على حق ان شاء الله .

(١) تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحمة لأن الوافدة الاسبانيولية التي غزت العالم بعد الحرب لم تستثنِ حتى البادية . فقد مات في قلب البلاد العربية الوف من الناس وفيهم ابن السلطان البكر تركي واثنان اخران من اولاده .

(٢) في الملحق نسخة من هذا المنشور كاملة .

٩١

التاسع والعشرون

الفصل الثلاثون

صلح صغير

بعد ان نكب الملك حسين في تربه، فخر جيشه باجمعه، فتح لابن الرشيد الشاب قلبه وخزينته، ومستودع الذخيرة والسلاح في المدينة. فعززت جريدة القبلة اقوال الديوان الهاشمي: عدوك عدونا يا ابني، بل عدو العرب والاسلام - وهذا السلاح منا للحرب، وهذا المال، اما الرجال، فعندك شمّر وفيها الاشبال.

وكان [illegible] سعود بن عبد العزيز الرشيد وعبد العزيز، قد عقد كم بن سعود، بعد المناوشات الاخيرة قرب حائل في الشهر السابع لهدنة الحرب العظمى، صلحاً سميناه صغيراً. والامير سعود هذا هو الذي فرّ به خاله ابن السبهان الى المدينة عندما قتل اولاد عبيد اخوته الثلاثة. الحجاز أداه صغيراً، والحجاز يده كبيراً بالسلاح والمال لمحاربة صاحب نجد. [illegible]

وقد كان سعود بن عبد العزيز مثل اسم عمّه خصمه عبد العزيز سعود - عكسه في اصالة الرأي وبعد النظر. فلما جاءه من جلالة الحسين السلاح والمال، وجميل الاقوال، قبل في الحال.

اما ابن سعود عبد العزيز فكان قد ادخل خلال الحرب العظمى سفين التوحيد في شمّر فشقها قسمين. وعندما باشره ابن الرشيد العداء، كتب الى رؤساء تلك القبيلة كلهم، الاصدقاء فيهم وشبه الاصدقاء والاعداء، ليندبهم ويقول: "من كان معنا فليتقدم الينا، ومن كان مع ابن الرشيد فليرحل اليه". فكان الجواب من اكثر المقدّمين انهم مقيمون على ولائه وسوف لا يلبون دعوة ابن الرشيد.

فلما ادرك الامير سعود ان شمّر قبيلة ليست معه يداً واحدة ارسل الى عبد العزيز وفداً يقول انه قد تسرّع، وانه آسف على ما بدا منه، ويستغفر، وراغب فوق ذلك بتجديد [illegible] الولاء. ~~فوق ذلك بتجديد عهد الولاء.~~ [~~١٢٢٨ هـ ١٩١٩-١٩٢٠~~] فجدد عهد الصلح، بالرغم عن اعتراض اهل نجد، ولكنه لم يدم منذ ذاك الحين عاماً كاملاً. ولم يكن ابن سعود

١٢٢٨هـ
١٩١٩-١٩٢٠م

ولم يكن ابن سعود المعجّل في نقضه كما تدل على ذلك حوادث هذا العام. قد كانت السيادة في
الجوف يومئذٍ للأمير نوري الشعلان، فثارت بعض عمال الأهالي عليه، فحاربوه وارسلوا
يستنجدون ابن الرشيد.

أنجدهم ابن الرشيد حباً وكرامةً، وهو مسرور بعذر يقدمه للملك الحسين، كان يقول: اضطرتنا فتنة الجوف
الى تأجيل الحملة على ابن سعود، وبفرصة سانحة للاستيلاء على تلك الناحية.

مشى سعود برجاله الى الجوف، فاصطدم هناك بقوات لنوري يقودها ابن نوّاف وعودي ابو تايه
فنازلوه وغلبوه، فارسل يستنجد شمّراً فلم تلبّ في بادئ الامر رؤساؤها خوفَ بعضهم
من ابن سعود، ومحافظة الآخرين على عهد الولاء واباه. على انهم
ارسلوا الى ابن سعود يستشيرونه في الامر، فاجابهم: "اني على صلح وابن الرشيد
فلا امانع من ارادوا ان ينجدوه". فانجدته اذ ذاك شمّر.

وكان ابن الشعلان الشيخ نوري قد ارسل الى ابن سعود، عندما علم بما فعل اهل الجوف، يستنجده على
ابن الرشيد. فكتب عبد العزيز اليه يقول: "اني صديق لك ولابن الرشيد، فلست اذن مشاركاً في
في هذه الحرب. ولكني انصح لك ان تتحصن في حصون الجوف، وتتخذ خطة الدفاع، فلا تهاجم
ابن الرشيد ولا تحاربه في الخارج. لان جنوده مدربون على القتال وهم قدماء العاهد في الحروب،
وجنودك من البادية، من اهل البل (الابل) فلا يركن اليهم، ولا هم في القتال اقران شمّر".
لم يعمل نوري بنصيحة عبد العزيز، فكان من الخاسرين. اذ انه عند وصول نجدات شمّر
هجم عليهم فكسروه شر كسرة، واستولوا على الجوف.

ولكن سعود بن الرشيد، الذي كان يومئذٍ في الحادي والعشرين من سنه، لم يعش بعد انتصاره على
ابن الشعلان شهراً كاملاً. فقد قُتل بعد ان عاد الى حائل، قتله ابن عمه عبد الله بن طلال.
الذي ذُبح كذلك في اليوم نفسه (في الفصل الثاني والثلاثون خبر هذه الفاجعة مفصلاً) وتولى
الامارة بعده عبد الله بن متعب بن عبد العزيز بن الرشيد، فاركب الى ابن سعود رسل السلام وهو

وهو يريد تجديد عهد الصلح والولاء. في اجابة طلب ابن الرشيد المرة السابقة، فجاء

في المرة السابقة كان أهل نجد يعارضون في المصالحة، ولكن عبد العزيز هذه المرة يشدد في شروطه ويجدد فيها. قال لرسل حائل: «اني مجيبكم في كل ما تطلبون، ولكني ألفت نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين. وهذي هي كتبهم الى الشريف ينكثون عهوداً بيننا وبينهم، ويرموننا بأشنع التهم. يقولون اننا خوارج .... والآن انا على هذا. شؤون شمر الداخلية لا اتدخل فيها، اما الخارجية فيهمني امرها. وقد طالما اضرّت سياستها بنجد ومصالحه، فلابد اذن من تنازلكم عن ادارة الشؤون الخارجية في شمر واعترافكم لي بذلك. وينبغي ان يكون الاعتراف خطاً لينشر ويعرفه جميع الناس».

وعاد الوفد الى حائل يحمل شروط ابن سعود الى اهلها والى اولي الامر فيها. اما اهلها واكثر المقدمين في شمر فاجمعوا على القبول. واما اولو الأمر من آل السبهان والرشيد، وبعض الزعماء، مثل عقاب بن عجيل وضاري بن طواله، ناهيك بعبيد القصر والسيدة فاطمة السبهان جدة سعود — ستّي فاطمة الحاكمة من وراء الستار — فأبوا كلهم ان يذعنوا لابن سعود وقالوا:

الحرب! فأعلنت الحرب.

(أقلب)

الفصل الحادي والثلاثون

الاخوان في الكويت

حوادث الكويت هذه وقعت قبل حرب حائل ووقعت هجرة الجريف قبل سنة من حرب حائل فليصحح

أعلنت الحرب في حائل، [illegible] فجهز عبد العزيز ابن سعود بحملة على الجبل، وتوجه هو الى القصيم الى الحجا لاقتفاء الثار التي كان يتفجر بها العجمان. ولكنه في ذلك الحين قبل أن [illegible] اضطر ابن سعود الى الرياض / فعهد الى ابن عمه عبد الله بن جلوي. ولعبد الله [illegible] شيخ مشايخ العجمان ابن حثلين فخافه من اعمال ارادته فيه، فجاء ومشايخ القبيلة يطلبون منه التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود، وقد كتبوا كذلك الى الامام عبد الرحمن فطلب من ابنه عبد العزيز، بعد ان تحقق اخلاصهم، ان يعفو عنهم ففعل. وهم منذ ذاك الحين مقيمون على الطاعة والولاء.

اما ابن الرشيد فقد وصل سعود بحملته عليه الى وادي الشعيبة، جنوبي جبل أجا، فالتقى بسعادة عزبانه هناك، فضربهم واصاب منهم مغنماً. ولكنه لم يتمكن من التقدم الى حائل في ذاك الوقت اول الصيف خوفاً من قلة المرعى للركائب، ولم يكن لديه ما يكفي الجيش من الارزاق، فعاد الى الرياض. وكان قد حدث في ذلك الحين حادث في ناحية الكويت شغل ابن سعود عن ابن الرشيد، فاكتفى بارسال سريات عليه في اواخر عام ١٣٣٨ وبداية التالي، للغزو والمناوشات فقط. اما حادث الكويت فله اسباب سابقة لا بد في الاحاطة بها من الرجوع الى تاريخ آل صباح.

— ☐ بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الامارة ابنه جابر، فكان حصيفاً حليماً. ولكنه توفي في السنة الثانية من حكمه، فخلفه اخوه سالم نقيضه في السياسة والاخلاق. وقد جاء ذكره في كلامنا على النطاق الحربي في الكويت يوم كان يخادع الانكليز لا حباً بالترك، بل طمعاً بالكسب من تجارة التهريب. ثم انه عادى ابن سعود لظنه انه الناصح للانكليز بتحديد كمية الوارد الى الكويت من البضائع، وطرد التجار النجديين من بلاده سنة ١٣٣٦ هـ. وكان قد أغضب عبد العزيز سابقاً في مساعدة للعجمان. أضف الى ذلك ان سالماً كان شديد التعصب على الوهابيين.

— ☐ نجيء بعد هذا التمهيد الى الحادث الذي ادى الى وقعة الجهرى في اخر عام ١٣٣٨ هـ (ايلول ١٩٢٠) سبتمبر - بين الكويتيين واهل نجد.

محق الجيش الحجازي ، فجاء مشايخ

في تربة دون عود العجمان في الاحساء

بعد في تربة يطلبون منه التوسط

القبيلة الى امير تلك الناحية عبد الله بن جلوي عبد الرحمن

وقد كتبوا كذلك الى الامام عبد الرحمن

بالصلح بينهم وبين ابن سعود. ان يعفو عنهم

بعد ان تحقق اخلاصهم،

وطلب من ابنه عبد العزيز، على الطاعة والولاء.

ذلك الحين مقيمون

وهم منذ سنة ٣٤

ففعل. فلم تخمد نارها الا بعد

اما الحرب في جبل شمر ابنه سعوداً الحملة على الجبل

وكان قد جهز عبد العزيز

اعلانها، فوصل بها الى وادي الشعيبة

في صيف هذا العام

وأغار على عربان لابن الرشيد

في ١٣٣٦هـ ١٩١٨م

جنوبي جبل اجا

ولكنه لقلة المرعى للركائب

كانوا هناك فاصاب منهم مغنماً

وقلة الارزاق للجيش لم يتقدم الى حائل.

في الصيف في تلك النواحي

وقد حدث في ذلك الحين حادث في نواحي الكويت شغل

فاكتفى بارسال سريات عليه للغزو

ابن الرشيد

ابن سعود عنه

والمناوشات. اما حادث الكويت (اتبع)

اقلب

ركب الشيخ سالم يخته ذات يوم واجرى الى مطان على الخليج بين جبيل والكويت يدعى بلبول، فيه مغاصات اللؤلؤ، وميناء طبيعي حصين للسفن الشراعية. وقد كان في نيته ان يبني قصراً هناك وبلدة ايضاً تنافس جبيل بالتجارة والغوص. (الى سالم يطلب ليمتنع عن العمل فابى. ثم كتب)

فلما علم ابن سعود بذلك كتب الى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يخبره بان الشيخ سالم في ما قصد متجاوز حدوده وحقوقه لان ذاك المطان من اراضي القطيف التابعة لنجد، وقد طلب منه ان يحول دون هذا التعدي. اما الشيخ سالم فكان يدعي ان بلبول ضمن حدود الكويت. ولكنه اذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن قصده.

على ان المسئلة تجاوزت هذا الحد. ان في تلك الناحية شمالاً الى الغرب من بلبول ماء يدعى قرية هو ملك قديم لعرب مطير. فنزح اليه بعض المهاجرين – الاخوان – من هذه القبيلة واسسوا هناك هجرة لهم، فاحتج ابن الصباح على هذا العمل، وارسل عليهم فرقة صغيرة، مئتي راجل ومئة خيال، اكثرهم من عُرَيبدار (1)، بقيادة احد ابناء الصباح اسمه دعيج. وكان للكويت في الطريق الى تلك الناحية بضعة آلاف راس من الجمال والغنم. وليس هناك من يستطيع حمايتها اذا اعتدي عليها.

سار دعيج برجاله، فنزل في حمض قريباً من قرية، وارسل الى الاخوان يأمرهم بان يخلوا ذاك المطان والا – "نصبحكم ونذبحكم".

وكان الاخوان، عندما علموا بقدوم عساكر الكويت قد ارسلوا الى فيصل الدويش امير الارطاوية يستنجدونه، فبادر فيصل الى نجدتهم بالفين من رجاله، وظل سائراً حتى وصل الى حمض، فصبح الكويتيين هناك ولكنه لم يذبحهم كلهم. فر دعيج واكثر جنوده هاربين، وقد تركوا وراءهم ذلك القطيع الكبير من الاباعر والغنم فكان للاخوان غنيمة باردة.

كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل ما حدث، فغضب عندما بلغه الخبر وكتب الى الدويش يؤنبه ويقول: "قد تجاوزتم اوامري التي تنحصر في الدفاع". فاجابه ان الكويتيين جاؤوا اخوانه صائلين وقد وصلوا الى مطان يبعد عنهم اربع ساعات فقط.

(1) خليط من العربان لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل.

- ثم امر ابن سعود ان تُجمع الاموال التي استولوا عليها، الإبل والغنم والسلاح حتى والمواعين، وتودع عند امير الارطاوية الى ان يجيئهم امر آخر بخصوصها. فعمل الاخوان بالامر بعد ان ارسلوا اليه خمس الغنائم.

- وكان الشيخ سالم قد عرض المسألة على الوكيل البريطاني فاشار عليه بالتسوية السلمية، فارسل الى ابن سعود رسولين هما عبدالله السميط وعبدالعزيز الحسن، فاعتذر عبدالعزيز عما حدث بدون امر منه. وقدم اليهما خمس الغنائم الذي كان عنده، قائلاً: "هذا اول الأداء. واذا اكيتم رجالاً من قبلكم الى الارطاوية فآخره هناك يُسلم اليهم".

- ثم كتب الى الشيخ سالم كتاباً قال فيه: "ان السبب في هذا الحادث تدخلكم في ما لا يعنيكم. ولا حق لكم في بلبول او في قريه. واني ارى ان يُقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فنرعاه. وانا معترف بما كان لآبائك واجدادك حقاً على آبائي واجدادي".

- لم يُرضِ هذا الكتاب سالماً ولا قبل بان ترد الغنائم اليه. بل غضب غضبة يقتضي لتعزيزها عند العرب جيش كبير، ولم يكن عنده غير النشر منه. وفي ذلك كانت المناوشات بين ابن الرشيد وابن سعود فكتب الشيخ سالم الى صاحب شمر يستنجد على "خصم الجميع" فلباه [illegible] بان ارسل اليه ضاري بن طواله الذي كان يومئذ مخيماً في اطراف العراق. جاء ضاري مسرعاً بقوة من شمر ونزل الجهرى، حيث كان دعيج ورجاله. فاوعز اليهما سالم بالهجوم ثانية على قرية.

- وكان ابن سعود قد جاء الحساء فبلغه خبر مغزى ضاري ودعيج فارسل الى الدويش يأمره بانجاد اهل قريه. فسار الدويش بالرجال باسم الله. وكان ذلك في ذي الحجة من عام ١٣٣٨ هـ (اغوسطس ١٩٢٠). ولكن الدعيج والضاري اختلفا في الطريق على القيادة فلم يهاجما احداً، بل عادا الى الجهرى. فتعقبهما الدويش ونزل الصُبَيحيه.

- علم الشيخ سالم بذلك فسارع بنفسه الى الجهرى ومعه خمسمئة مقاتل من اهل الكويت.

- مشى الدويش باخوانه من الصُبَيحيه وعددهم اربعة آلاف، فيهم خمسمئة خيال — "خيال التوحيد أخو من طاع الله".

- وكان سالم قد وزع قواته كلها، نحو ثلاثة آلاف رجل وخيال في حصون الجهرى وبساتينها.

~~٢٨٢٨ الكويت~~

~~سبتمبر~~

جاء الاخوان من الجنوب الشرقي فزحفوا على الجهراء في ٢٦ محرم

[illegible]

(١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) (١١ اكتوبر) من رأس منحدر يدخله نخيه ور[illegible]. جاءوا على

~~منحدر للنخرة فيه بجيشهم ولاجرة. جاءوا على عادتهم في الصباح وانحدروا الى~~

عادتهم في الصباح وانحدروا كالسيل الى البساتين في دجة وابل من الرصاص، فطارت بنادق المدافعين المتحصنين تحصدهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشهدين.

- ساعة من هذا الهجوم تلاها ملحمة كانت على جيوش ابن الصباح موتاً احمر، فتقهقر بجانبهم لحاربين، ودخل الاخوان الجهراء فاستولوا عليها وعلى حصونها.

- اما الشيخ سالم فكان قد تقهقر بقوة من جيشه الى قصر خارج البلد شرقاً منها. فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين، كانا شبه هدنة للمفاوضات.(1) وكان سالم في ذاك الموقف الثعلب والدويش الذئب.

- قال الذئب: تعال كن منا وفينا - كن موحداً - ونظف بيتك من الشرك والمنكرات. فلك اذ ذاك ما لنا وعليك ما علينا.

- فقال الثعلب: وهل يرفض مثل هذه النعمة الا احمق. اني والله منكم - خيال التوحيد اخو من طاع الله. ولكن في بيتي ما يقتضي رجوعي اليه قبل ان اجيئكم. انتظروني في الصُبَيحة.

- صدّق الدويش وقفل راجعاً الى الصُبَيحة بعد ان خسر نحو خمسمئة من رجاله وذبح ثلاثة من رجال الكويت، وما هي خسارة في نظره اذا دنت "الكويت وصاحبها".

- ولكن سالماً عند وصوله الى الكويت طلب من الانكليز ان يحموا بلاده والا فهو يقبل شروط الاخوان. فبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وابي شهر ثم بين حكومة الهند ولندن، واستمرت ثلاثة ايام.

جزع خلالها الدويش وهو ينتظر في الصُبَيحة، فارسل وفداً من قبله الى "الاخ" سالم فتمارض ولم يقابله.

ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومعه ثلاثة مراكب حربية رست في مياه الكويت وشرعت ترسل في الليل الاسهم النارية تهويلاً وترويعاً. وفي اليوم التالي وصلت طيارتان من العراق.

(1) جاء في "تاريخ الكويت" لعبد العزيز بن الرشيد الذي حارب في وقعة الجهراء ما يلي (الجزء الثاني صفحة ١٨٤): "ثم قال (الشيخ سالم) مخاطباً ابن سليمان (رسول الدويش) لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون؟ وامامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعاً. هيا بنا لنرمي الضغائن والاحقاد ونكون يداً واحدة عليه"... ثم قال المؤلف: [illegible] سالم [illegible] ما اراد صديقه [illegible]

شُفي اذ ذاك "الاخ" سالم (١) من مرضه فقابل وفد "اخيه" الدويش في مجلس حضره الوكيل البريطاني المحترم الماجر مور، الذي همّ بمخاطبة الاخوان فسمع جواباً اقنعه في الحال ان السكوت من ذهب.

قال حضرة الوكيل: "الشيخ سالم صديق لدولة بريطانية البهية وانتم جئتم تحاربونه بدون امر ابن سعود".

فقال رئيس الوفد: "ما جئنا الا بامره. وهو ايضاً صديقكم".

فسكت اذ ذاك الوكيل واعتاض عن الكلام بكتاب ارسله الى الدويش وفيه ان حكومة بريطانية العظمى باسطة على الكويت حمايتها، وان من يحاولون الهجوم عليها يعرضون انفسهم لضرب الطيارات والمراكب الحربية.

عاد الوفد الى الصبيحية يحمل كتاب الوكيل، وفي اليوم الثاني طارت طيارة فوق ذاك المكان والقت على الاخوان كتاباً آخر هو نسخة الكتاب الاول.

امر الدويش اذ ذاك بشد الرحال. ولكنه لم يشأ ان تكون الكلمة الاخيرة "للشعلب" فكتب اليه كتاباً مدهشاً بصراحته وبلاغته نثبته حرفياً.

من فيصل بن سلطان الدويش الى سالم الصباح سلمنا الله واياه من الكذب والبهتان وانجا المسلمين يوم الفزع الاكبر من الخزي والخذلان.

اما بعد فمن يوم جاءنا ابن سلمان (١) يقول انك عاهدته على الاسلام والمتابعة، لاجل الدعوى والانتساب، كففنا عن قصرك بعدما خُرّب، وامرنا برد جيشه ابن سعود، على امل ان ننال منك المقصود. فلما علمنا انك خدعتنا آمنا بالله وتوكلنا عليه. يُروى عن عُمر انه قال: من خدعنا بالله انخدعنا له: فنحن، بيض وجوهنا، نرجو الله ان يهديك، والا يسلطنا عليك. اياه نعبد واياه نستعين.

مسكين سالم، لم يعش بعد ذلك طويلاً. فبينما كان الشيخ احمد الجابر ابن اخيه ضيف الشيخ خزعل، يومئذٍ امير المحمرة، في العقير يفاوض ابن سعود بالصلح - اي بعد ... - جاء النعي من الكويت ينعيه، رحمه الله. وبعد وفاته في ...

(١) رسول الدويش الى سالم يوم كان محاصراً في القصر

المحمرة ١

في [٢٧ فبراير ١٩٢١] انتخب خلفاً له الشيخ احمد ابن اخيه جابر (١) انتخب وهو لا يزال في الرياض الحفر فعاد
[جمادي الاولى ١٣٣٩]
في غني عن وفد يصالح وابن سعود .

فبينما كان الشيخ احمد
مسكين سالم . لم يعش بعد ذلك طويلاً .
الجابر ابن اخيه والشيخ كاسب ابن الشيخ خزعل يومئذ امير المحمرة في الكويت
بغداد ضمان ابن سعود بالصلح — اي بعد بضعة اشهر من الحيف الذي نكب
فيه سالم و"دبي" واحتمى بالانكليز — جاء الناعي منه الكويت
ينعيه - رحمه الله . وبعد وفاته في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٩
(٢٧ فبراير سنة ١٩٢١) انتخب خلفاً له الشيخ احمد ابن اخيه جابر (١)
انتخب وهو لا يزال في الحفر . فكان في غنى عن وفد يصالح وابنه
سعود .

"حفر العج"

---

(١) في الجزء الثاني من "ملوك العرب" القسم السادس . فصل في الشيخ احمد
الصباح وسياسته

الحادي
~~الفصل الثاني~~ والثلاثون

فتح حائل

في صيف هذا العام [١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م] بعد ان عُقد مؤتمر القاهرة البريطاني، برئاسة وزير الخارجية يومئذ المستر تشرشل الذي كان سائحاً في الشرق الادنى، وتقرر ان يكون الامير فيصل ابن الملك حسين ملكاً على العراق، عُقد مؤتمر في الرياض، حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان. فكتب عبد العزيز كتاباً الى المفوض السامي لدولة بريطانية العظمى في العراق يخبره بما تقرر ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية البهية. وبينما هذا الكتاب في الطريق كان قادماً من حضرة المندوب في بغداد كتاب الى ابن سعود يخبره فيه ان قد تقرر انتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لديه. فاجاب عبد العزيز انه يكون مسروراً بما يريده العراق والدولة البريطانية للامير فيصل بشرط ألا يكون ذلك مجحفاً بحقوق نجد او مضراً بمصالحه. ثم اعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ اغسطس (٧ ذي الحجة) لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته بلقب سلطان.

وفي هذا الشهر عاد سعود بن عبد العزيز من حصار حائل ومعه اميرها الشاب عبد الله بن متعب آل رشيد فسمت الرياض لطلائع النصر في الحرب، ولبشائر الفوز في السياسة. ولكن الاعتراف بلقب السلطان اسهل من تحطيم التيجان، وتقارض الولاء السياسي اسلس سبيلاً من حصار المدن. فلا يتبادر للذهن اذن ان في رجوع سعود ومعه امير حائل الفوز المبين - ان فيه طلائع الفوز فقط، وبينها وبين الامنية القصوى شهران من القتال لا يزدريهما التاريخ.

لنعد اذن الى الحوادث التي تقدمت الحصار. بعد المصالحة وابن الصباح استنفر ابن سعود اهل نجد ومشى الى الجبل بعشرة آلاف مقاتل يقود قسماً منهم اخوه محمد والقسم الآخر ابنه سعود، وقد عهد الى الاول في محاصرة حائل والى الثاني في مهاجمة شمّر. اما هو فتخلف في القصيم.

عندما وصل محمد الى اطراف المدينة قام اهلها يستأذنونه بارسال وفد منهم الى عبد العزيز،

وقد جاء هذا الوفد يقبل بما رفض منذ سنة من الشروط التي اشترطها

فأذن بذلك . [illegible] ولاهالي بها . عبد العزيز بخصوصه يشعرون [illegible]

يذكر القارئ [illegible]

الخارجية . وقد جاء هذا الوفد [illegible] . ولكن خلال سنة تسقط ممالك

وممالك تقوم . وخلال سنة يطرأ على السياسة ما يجعل امسها غريباً ليومها . [illegible]

لم يقبل عبد العزيز بما كان قابلاً به في السنة الماضية . وقد قال للوفد :

" اعلموا ان الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة (١) لا تدوم . واعلموا ان اموركم لا تستقيم ما زلتم تحت

تلك الرئاسة . وما زالت اموركم كذلك ما زال الشقاق وما زالت الفتن . وهذه مضرة

بكم وبنا . مضرة بنجد وبأهل نجد وشمّر . عليكم اذن ان تدخلوا في ما دخل فيه اهالي نجد لتنجوا

من سيادة العبيد والمرأة . وتريحونا وتريحوا انفسكم من ويلات الحروب . شروطي الآن اذن

هي ان تسلموا الي شوكة الحرب ، وعائلة الرشيد . ولكم اذ ذاك ما لنا وعليكم ما علينا .

واذا رفضتم ذلك فاعلموا اني زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة اشهر "

اجاب الوفد [illegible] : " سنعرض الامر على صاحب

الامر ، فاذا قبل كان خيراً والا فانت بريء الذمة " ! وبعد ان عاد الوفد ورفضت

تلك الشروط خرج ابن طلال غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسير خمس ساعات

منها . ولكنه لم يعد من تلك الغزوة التي وافاه فيها الموت .

ولم يؤثر موت هذا الزعيم الشمري بشجاعة المحاربين والمرابطين خارج المدينة . فقد حدث بينهم وبين جنود

ابن سعود مناوشات ومصادمات كانت يوماً لهم ويوماً عليهم . فاستدعى عبد العزيز اخاه محمداً

وامر ابن سعود أن يحاصر المدينة ، فحصرها شهرين ولم يكن في حاجة قوية من تقدم لولا مجيء محمد بن

طلال من الجوف وفرار الامير عبد الله بن متعب . [illegible] القصيم

[illegible] .

اما ابن طلال فهو اخو عبد الله الذي قتل سعود بن عبد العزيز ، وابن متعب هو ابن اخي سعود . فلا عجب اذا

(١) يشير الى نفوذ العبيد وفاطمة السبهان في الامارة .

خامره شيء من الريب في ما ادعاه. اي انه جاء من الجوف ليساعد في الدفاع عن حائل. نعم جاء ليساعد
في الدفاع. بعد ان يقتضي اغراضه، فيستولي على الامارة. هذا الذي كان يخشاه ابن متعب،
وبما ان الحياة لديه وهو يومئذ لا يتجاوز العشرين سناً، كانت اعز من الامارة، فر الى سعود
الى الرياض كما تقدم غنيمة باردة
بن عبد العزيز ~~فرحب به واخذه غنيمة باردة الى الرياض، كما تقدم~~. وكان عبد العزيز قد عاد الى العاصمة
وامر سعوداً بالرجوع من الجبل لانه فقد هناك، بسبب القيظ وقلة المرعى، عدداً كبيراً من رواحله.

بعد فرار ابن متعب والتجائه الى ابن سعود، تولى الامارة محمد بن طلال آل رشيد، وهو شاب
شجاع مشتهر، فباشر القتال في حملة على قرى حائل التي كان اهلها موالين لابن سعود حملات
شعواء، فهدمها بعد ان قتل صبراً اغلب رجالها.

وكان ابن سعود قد امر فيصل الدويش بالزحف الى حائل ومحاصرتها الى ان يجيء هو بنفسه.
فمشى رئيس مطير بالفين من رجاله ونزل على ماء ياطب القريب من حائل، فبلغه في اليوم الرابع
من وصوله ان ابن طلال خارج بقواته الى الجثامية، وهي على مسير ثلاث ساعات من المدينة، فشد
مسرعاً ومشى اليها فاحتلها قبل ان يصل ابن طلال الى النيصية القرية المجاورة لها، ومعه الف
وخمسمائة مقاتل من الحضر وسبعمائة من البدو ومدفعان. عسكر ابن طلال في النيصية وهي مركز
حصين. بين تلال هي متاريس طبيعية، يصعب التغلب عليها الا بقوة من الجيش كبيرة.
اما الجثامية فهي في منبسط من الارض تقل فيه المكامن. ولم تمكن الدويش من احتلال حصنها لان ابن
طلال كان يضربه بمدفعية ضرباً متواصلاً.

مشى السلطان عبد العزيز بعد عيد الاضحى بيومين (١٦ اغسطس) بجيش مقداره عشرة آلاف ومعهم
بضعة مدافع. فلما اجتاز أم جريف الواقعة بين قبه وجراب، بلغه خبر الدويش في الجثامية
وانه وابن طلال في احتراب. فترك في الحال حملة الجيش والاثقال وراءه وخف سريعاً. وقد كان
مشاه من ذلك الماء قبل دخول المحرم [١٣٤٠ هـ ١٩٢١ - ٢٢ م] بيوم واحد. فوصل في اليوم
الرابع منه (٨ سبتمبر) الى بقعة، قرية من قرى حائل، فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتاباً
ضمنه كتاب من ابن طلال اليه يقول فيه: "اننا جميعاً الخ (١ تبع)

١٣٤٠ هـ
١٩٢١-٢٢

"انا جميعاً مسلمون ودينا كتاب الله وسنة رسوله"! فقبل الدويش الرد بتصديقه وما كاد ينسى
خدعة سالم الصباح . - وكتب الى ابن طلال يلح بالدعوة للتحكيم ويسئله ان يرسل وفده لهذه
الغاية . وقد وثقت بالثقة الطائشة الى اهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه .
فاغتنم امير حائل الفرصة وارسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذلك المكان . وهو مرتفع يشرف
على معسكر الدويش ، وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الاخوان بالرصاص . فاركب الدويش
نجاباً الى السلطان يخبره بانهم وعساكر ابن طلال مشتبكون في القتال وانه خسر عشرة من رجاله
وجرح عشرون . [illegible]

وصل النجاب العصر الى مخيم السلطان فغضب لما حدث وامر ابنه سعوداً ان يركب بالخيل ويتقدم مسرعاً
ثم وصل نجاب آخر يخبر ان الاخوان كسروا جيش ابن طلال ، فارسل يأمر الدويش بان يلزم مكانه
والا يأتي بحركة اخرى الى ان يصل اليه .

مشى السلطان وقصده الهجوم على ابن طلال تلك الليلة . ولكنه اضطر ان ينتظر الحملة والمدافع .
فابطأ في السير . ولم يكن من المستطاع مهاجمته في النهار لثلاثة اسباب . اولها انه ورجاله
في حصون حصينه . والثاني ان بين تلك الحصون والمهاجمين سهلاً لا يحميهم شيء فيه . والثالث
ان جبل أجا ، وهو حصن طبيعي ، قريب منهم يلوذون به ساعة الهزيمة .

تقدم جيشه تدريجاً الى مركز الدويش ، فلم ينتبه ابن طلال الى ذلك ، ولم يكن عالماً بتقدم
ابن سعود ناهيك بقربه منه . وعند العصر في اليوم الثاني جمع السلطان قواده وتشاوروا في الامر
فقرروا ان يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل .

مشى في ذلك الوقت نصف الجيش فقط ، فراح قسم منه يلف بابن طلال من جهة حائل ليقطعوا
عليه خط الرجعة ، وتقدم القسم الاخر الى المكان المعد للهجوم فانتظروا هناك طلوع المدافع التي
بدأت ترسل قنابلها بعد صلاة الفجر قبل ان ينجلي الليل .

هجم الاخوان هجمة واحدة ، والقنابل تئز فوق رؤوسهم ، فقتلوا عدداً من العدو وشتتوا صفوفه
ففر ابن طلال واكثر رجاله الى جبل أجا ثم الى حائل ، ولاذ الاخرون بحصون البنصية . [illegible]

المدافع على الحصون فقتلت اكثر من ثلاثماية منهم ، ثم سلم الباقون . [illegible]

[illegible] . ا . ا .

قال احد الذين سلموا يخاطب السلطان : "طبيعتكم مسحورون يامولانا" فقال عظمته : "لا . لا . كنا نضرب على اليتيه في الظلام . ولكنه توفيق من الله" !

كم قتل من جنودكم في هذا الهجوم ؟

بعد تقهقر ابن طلال الى حائل ارسل السلطان الى اهالي المدينة يقول : سلموا تسلموا . فجاء الجواب بالتسليم على شرط ان يؤمر عليهم ابن طلال ، والكتاب موصى به منه . لانه كان لايزال سائداً بمن ثبت معه من الجند وحزب بيت الرشيد . ولم يكن لاهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها ، فانفذ ابن طلال فيهم سلطان ارادته . + ولكن المغلوب لايشترط الشروط على الحصار !

ان مدينة حائل كائنة بين جبلي أجا وسلمى ، لها سهل يتسع الى الغرب ، ويضيق الى الشمال ، فينفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقاً الى النجف . ويتقلص في الجهة الشرقية ذات السهل وفي شطر من الجنوب . هي اذن محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال ، ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشطر الجنوبي الغربي الذي تمتد منه الطريق الى نجد .

في هذا الطريق جاء جيش ابن سعود ، فتقدم من الجبانية ، بعد ان تقهقر ابن طلال الى المدينة ونزل بينها وبين النيصية ، فقسم هناك جيشه الى فرقتين ، فرقة بقيت معه ، والاخرى تقدمت الى جبل أجا فملكت مركزاً منه حصيناً . وهناك مركز آخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه اهل حائل أحصن حصونهم الطبيعية . تقدم الجنود ، وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم ، فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم ، في اليوم السابع احتلوا عقدة ، ثم كروا زاحفين الى حائل ، وهم يتمترسون بأكياس من الرمل ، حتى وصلوا الى مكان بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطاً اولاً للدفاع . وكان المهاجمون وراءهم قد احاطوا بالمدينة من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية .

ثم ان اهل حائل قبلوا بالتسليم على شرط ان يكون ابن طلال اميرهم . ولكن الاكثرية فيهم نفروا من ابن طلال لظلمه وطغيانه وكانوا يئنون من الحصار . فقد ارسلوا الى السلطان عبد العزيز غير مرة يقولون : لا تتركنا فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه الا يضرب بالمدافع المدينة .

وعندما ادرك ابن طلال ان الامارة لا تجيئه بواسطتهم كتب الى المعتمد السامي لبريطانية العظمى في العراق يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود. وقد قال السر برسي كوكس في تقريره الى حكومة جلالة الملك:

"بعد ان سلم الامير عبدالله (ابن متعب) ابن الرشيد تولى ابن عمه محمد بن طلال الدفاع عن حائل. وارسل اليَّ مراراً يرجوني ان اتوسط بينه وبين ابن سعود. ولكن ابن سعود لم يقبل بذلك". استمر الحصار شهرين فكتب السلطان عبدالعزيز اذ ذاك الى اصدقائه في حائل يقول:

"قد طال الحصار، واقبل الشتاء، فليعذرنا الاهالي اذا انذرناهم. لهم ثلاثة ايام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد، والا فنحن الى غرضنا مسرعون بالرصاص والنار"!

فجاء الجواب وفيه ان الاهالي ينفضون ايديهم من ابن طلال وبيت الرشيد، ويسلمون الحصون المحيطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش.

ارسل السلطان الفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على حائل ثم امّن الناس على ارواحهم واموالهم فخرجوا اليه افواجاً وهم يشكرون الله.

اما ابن طلال، الذي شهد له حتى الاخوان بالبسالة والاقدام، فعندما ادرك ان الامر تفلّت من يده تحصن وحاشيته في القصر، فارسل السلطان عبدالعزيز يؤمنه على حياته اذا هو استسلم، ففعل. فدام هذا الحصار خمسة وخمسين يوماً، اي منذ وصول السلطان في ٤ محرم الى ٢٩ صفر ١٣٤٠ - (٢ نوفمبر ١٩٢١) يوم سلم ابن طلال. ولكن حائل كانت في حال الحرب اكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها، فشمل اهلها الضيق. وكان السلطان عالماً بشدة حالهم فجاءهم متأهباً لتخفيفها — جاء بالمؤن، وجاء بالثياب وبالمال — فاجزل للناس العطاء، ووزع الوفاً من اكياس الارز والوفاً من الكسوات. قال لي احد الذين سلموا: "كنا ليلة الحصار الاخيرة على آخر رمق من شبح المجاعة والمحنة فبتنا ليلة التسليم الاولى وكلنا شبعانون مكتسون، مطمئنون"!

وبعد ذلك شاورهم الفاتح في امر اميرهم: "من تريدون ان نؤمّر عليكم؟" فاجابوا مجمعين: "واحداً من آل سعود او من كبار رجالك" فقال عبدالعزيز: "لستُ من رأيكم. فقد كنا واياكم "قوم" (اعداء) مدة طويلة فلا يجوز ان نحكمكم الان مباشرة. وانا اعرفكم يا اهل حائل. انكم اهل قيل وقال. اصحاب فتن. ولكني لا اختار ان اؤمّر عليكم واحداً منكم. واني اريد ان احافظ على كرامتكم. هذا اذن

ابراهيم السبهان . هو منكم ، وهو رجل عاقل . هو اميركم . واني واثق بالله ، وعادته معي جميلة
فهو سبحانه وتعالى يشفيني منه بقدر او نحوه".

اما ابراهيم السبهان فهو الذي اتفق وابنه سعود على تسليم
الحصون ومهد له السبيل الى

لقد كتبت مذكرتكم باستناد [illegible] في حال تسلم الحصة
انه ابراهيم السبهان هو الذي اتفق وابن سعود على تسليم الحصونة وهو الذي
[illegible] وهو الذي اقره ابن سعود [illegible] في حائل
[illegible] [illegible]
[illegible] الى [illegible]

اما ابراهيم السبهان فهو الذي مهد السبيل
لتسليم الحصون واتفق وابنه
على تسليم الحصون على حائل ،
فاقره ابن سعود على ذلك بعدئذ

الفصل الثاني والثلاثون

مأساة بيت الرشيد

لابد لكل مأساة من حالة تهوي منه. لابد من ذروة تملكها الحياة الجيدة او السعيدة، ثم تفقدها فتهبط منها الى الدرك الاقصى.

ينبغي اذن ان نصل والقارئ الى ذروة بيت الرشيد قبل ان نبدأ بالمأساة فيه. ولابد قبل التصعيد من الوقوف عند سفح الجبل - عند الاساس - فنتعرف الى المؤسس الكبير والى المشيد الاكبر.

آل رشيد من آل خليل، وآل خليل من آل جعفر، وهؤلاء فخذ من عَبْدِه اكبر قبائل شمّر. وفي الفتوحات السعودية الاولى كان امير الجبل واحد من هذه القبيلة يدعى الجربا، حارب آل سعود فغُلب، وأُجلي وعشيرته الى العراق. ثم أمّر سعود الكبير واحداً من آل علي في حائل، وقرّب منه رجال هذا البيت، فكان جبر اخو رشيد، جد عبدالله، كاتباً في ديوانه بالدرعية. ولكنه لم يظهر في آل رشيد، على ما نعلم، اكبر من عبدالله الذي اختلف والاسرة الحاكمة يومئذ، فرحل الى الرياض، وانضم الى جيش فيصل ابن الامام تركي. وعندما قُتل تركي جاء فيصل بجيشه من الحسا ليثأر لأبيه، وكان عبدالله في ذاك الجيش، بل في مقدمة من هجموا على القصر، وقتلوا قاتل الامام، فجازاه فيصل، بعد ان تولى الامارة، بأن جعله اميراً على حائل، كما تقدم في النبذة الثالثة صفحة . . . (1)

وعبدالله بن علي بن رشيد، مؤسس هذا البيت، هو من اولئك الافراد المتقدمين بفضلهم في الناس، اولئك الذين يسودون الناس بما يزين اعمالهم من الشجاعة، والعدل، والاحسان.

كان اميراً في حائل يوم جاءها المستشرق الاسوجي جورج والن (2) سنة ١٨٤٥ اي بعد عودة الامام فيصل من مصر بثلاث سنوات. وقد كان محمد علي باشا غير راضٍ عن حكم فيصل فارسل هذا المستشرق الى حائل ليسبر غور بيت الرشيد علّه يجد فيهم ما يصلح لمناصبة آل سعود. ولكن الامير عبدالله كان يسعى في سبيل استقلال الجبل، في استقلاله عن الرياض وعن مصر. وما اراد قط ان يكون سيفاً بيد محمد علي على ابن سعود. عاد جورج والن الى مصر، ثم بعد سنتين جاء حائل للمرة الثانية، فكانت النتيجة شبيهة بالتي تقدمتها. لم يفلح العالم الاسوجي بمهمته السياسية. ولكنه كان معجباً بالامير عبدالله، وقد قال فيه كلمة نقلها هوغرث لا ارى احسن منها، وهي من اجنبي، في تقدير هذا الامير العربي. قال والن:

(1) راجع النبذة الثالثة صفحة ٧٨

(2) George Augustus Wallin

عبدالله

"لم يكن نفوذكم ناشئاً عما كان له من الثروة والسيادة فقط. بل عما امتاز به ايضاً من السجايا الشريفة كالشجاعة والعدل، وكرم الاخلاق، والوفاء، وحب الفقراء. فقد كان في احسانه مثله في عدله كبيراً، ولم يُسمع عنه انه أخلف مرة بوعده ... هذه الفضائل هي مصدر تلك القوة قوة عبدالله، وذاك النفوذ نفوذه."

— وكان لعبدالله اخ اسمه عُبيد امتاز عنه بثلاثة امور، بغلوه في المذهب الوهابي، وبخشونة طبعه، وبنزعة فيه شديدة الى القتال في سبيل الله والتوحيد. كان عُبيد [illegible] رسول الوهابية الاكبر في الجبل، يلبس [illegible]

على [illegible] والمشركين بنفسه، [illegible] عبيد التوحيد [illegible] سيفه. [illegible]

[illegible] الوهابية العداء، [illegible] هو [illegible] فقتل [illegible] منهم [illegible] عُبيد [illegible] و كان

بيته محط رحال الوهابيين في حائل، ومرجعهم الاعلى، والصلة بينهم وبين الرياض.

عُبيد هو رجل الحرب، وعبدالله هو رجل السلم. والاثنان أسسا الفرعين، آل عبدالله وآل عُبيد اللذين تنازعا السيادة سبعين سنة في حائل. ولكنها كانت في الشطر الاول من هذه المدة في بيت عبدالله، وقد كانت في زمانه بالكمال [illegible]

اما عبدالله فلم يكن في عقبه خلفه من اولاده اكرم من طلال. ولكنه تُكب في عقله وكان منتحراً. وكان متعب اخوه من الوسط في الناس عقلاً وخلقاً وسياسة، ولم يحكم غير سنتين لان ابني اخيه اي بندر وبدر ابنا طلال طمعا بالامارة وانتزعاها منه بالسيف. قتل بندر وبدر متعباً، وتولى الحكم بعده احدهما بندر. عمهما كان الامام عبدالله بن سعود الذي وفق بعد سنة

[illegible]

كما اسلفت القول، بينه وبين اخيه ابن اخيه الامير الجديد.

[illegible]

حائل فتولى

— عاد محمد الى امارة الحاج العراقي، ثم في السنة التالية قتل بندراً بيده دفاعاً كما قال عن نفسه، وامر بقتل ابناء طلال الآخرين فذبحوا في القصر كلهم الا واحداً هو بدر الذي فر الى البادية، فتأثره العبيد وقتلوه، فغضب الامير محمد لانه امرهم بالقبض عليه فقط، وقتل بسيف العبد الذي قتل بدراً.

— سيف الامير محمد! قد روي عن صاحبه انه قال: "لا يغمد سيف ابن الرشيد حتى يقتل اهل هذا البيت اجمعين".

وما كان في ذلك ما قال واهماً. فقد مشى هو نفسه الى عرش الامارة على جثث ارواح من بيت ابيه.

وكان ذلك العرش لا يزال مقيداً بشيء من ارادة آل سعود - مقيداً بخيط رفيع قطعه الامير محمد بسيفه

وظل هذا السيف مسلولاً في سني امارته كلها ، فكان صاحبه فاتحاً وكان مستبداً وكان عادلاً . لكن نفسية الامير لم تخلُ من اثر الغدر الزمان ، ظل بادياً في خلقه حتى في ايام العز والمجد ، فكان هذا المستبد العادل مقتدياً في بعض اعماله بالزمان . كان اذا اراد محاربة البدو مثلاً يهاجمهم في الصيف ، وهم على المياه ، في المضارب.(1) وفي ذلك شيء من الغدر ، ترفع عنه من كان مثلاً من بيت ابيه اي عبد العزيز بن متعب .

اما ان كان سرابه في المرونة النفسية التي تلتوي ولا تنقصم فمما لا ريب فيه ، وقد أُعجب به كل من قابله من السياح والمستشرقين الذين أتوا حائل والقصيم في عهده الذي هو عهد شمّر الذهبي . ~~فهو~~ اجل ، قد حاز الامير محمد من السيادة في نجد ما حازه ابن سعود الكبير ، فرفع بيت الرشيد الى الذروة التي طاح منها مجد بيت الرشيد هي الذروة التي تبدأ عندها المأساة موضوعنا الان . وهذه المأساة هي ذات اربعة فصول ، وفاتحة وخاتمة .

الفاتحة : — شمّر ندب الامير محمداً وتقلد سيف عبد العزيز ابن اخيه متعب ، فيخرج الى الحرب وشمّر تحدو امامه وورائه . وفي الوقت نفسه يخرج سمي ابن الرشيد عبد العزيز بن سعود من الكويت غازياً فيلتقي العزيزان ويحتربان سبع سنوات . فيخسر العزيز الرشيدي نصف الملك الذي كان لعمه محمد . بالرغم من مساعدة الاتراك للامير شمّر قبل الحرب العظمى ، ومساعدة الاتراك والالمان اثناء تلك الحرب ، ومساعدة الملك حسين بعدها . زلّت شمّر وهي على قمة الجبل ، فطاحت واستمرت طائحة .

الفصل الاول يبدأ بقتل عبد العزيز في روضة مهنّا وينتهي بذبح اولاده الثلاثة :

المشهد الاول : — سوق في بريدة يدخل جيش ابن سعود ظافراً ، وهم ينشدون !

حنّا اهل العوجا

مروية السنين ! (أسنة الرماح)

~~ومنهم [illegible] ابي عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد~~ (1)

هذا الخبر لا صحة له وقد امر جلالة الملك بتصحيحه فتلحظ

المشهد الثاني في القصر بحائل ، وقد عقد مجلس حضره اولاد عبد العزيز ، متعب ومشعل ومحمد فتولى متعب الامارة

المشهد الثالث في قصر آخر بحائل ، قصر آل عبيد . ابناء حمود الثلاثة وهم فيصل وسعود وسلطان يتآمرون

٧

(1) كان اهل بريدة لا يزالون يتذبذبون بين الاميرين ولا يصدقون خبر قتل ابن الرشيد ، فأذن ابن سعود بعرض رأسه على الرمح امامهم .

(1) البدو يظعنون ويخيمون في الربيع منذ شباط الى آخر ايار ، يجوبون طالبين الحيا و(المرعى) ثم في اشهر القيظ يردون المياه ويقيمون حولها ، ثم يظعنون عنها في الخريف والى ان تكثر الغمائم في آخر الشتاء ، وهذه الاشهر (اي الخريف والشتاء) هي كما تسمى اشهر الغزو وحمى الحروب .

- قد ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد. هؤلاء الصبيان اولاد عبدالعزيز لا يفقهون الامارة ويسيئون استعمالها. فيذلونها، ويفقدونها. علينا اذن ان ننقذها. فتظل في بيت الرشيد. علينا ان ننزع الصبيان منها، وننزعها منهم.

☐ - المشهد الرابع في العراء خارج المدينة: فيصل وسعود وسلطان آل عبيد ورجالهم وعبيدهم ومعهم متعب ومشعل ومحمد ~~آل عبدالله~~ أبناء عبدالعزيز، وقد دعيوا ليوم صيد فلبوا الدعوة.

☐ - كوكبة من الخيل خرجت من حائل، وكل خيال يبغي الصيد، ينشد الطريدة في الافاق وورادها. الا ان طريدة آل عبيد كانت قريبة، غافية، غير شاردة. طريدتهم؟ هاكها على الخيل امامهم!

☐ - فبعد ان خفيت اسوار المدينة، عندما غدوا في الفلاة، لز كل من الاخوان ابناء حمود حصانه وساقه على واحد من ابناء عبدالعزيز، فتناوله من السرج بقرونه (شعره) وغمد خنجراً في صدره. طاح الثلاثة اخوان الى الارض مضرجين بالدماء، ولم يحرك احد من الحاشية يده دفاعاً عنهم. وما دخل العبيد؟ رشيدي قتل رشيدي. ولكنهم وهم عبيد آل عبيد هتفوا قائلين: والحمدلله هذه آخرة آل عبدالله.

☐ - الفصل الثاني: مشهد كلي. يرفع الستار وسلطان بن حمود بن عبيد متصدر في مجلس الامارة، والى جانبه اخوه فيصل البسام صاحب البسمة الابليسية الناعمة، وفي مخدع وراء المجلس الاخ الثالث سعود يشحذ سيفه.

☐ - لم يكن سعود العبيد على شيء عظيم من الصبر. فقد حن الى الامارة حنين الحبيب الى الحبيب، ولم يأذن لاخيه سلطان بغير سبعة اشهر منها. وعندئذ - جاءت الساعة ولم يكن سعود متأهباً، اولانه شحذ سيفه حتى انقصم، فبادر الى حبل خنق به سلطانا، ودفنه في حفرة بالقصر.

☐ - مشهد جزئي لينصب عمال المسرح عرشاً جديداً وراء الستار. ونحن اثناء ذلك نخبر عن ابن عبدالعزيز الرابع - الصغير - الذي فر به خاله ابن السبهان من القصر يوم الصيد المفجع. وهذا المشهد هو في المدينة المنورة. وفي احد اسواقها نرى ابن السبهان وابن اخته سعود بن عبدالعزيز وحاشيتهما، وقد اتصل بهم خبر قتل سلطان بن حمود.

"وعداً يا وليد (ابن السبهان يخاطب ولي العهد الشرعي لعرش حائل) دور سعود، ثم دور فيصل

سنرجع الى حائل، الى حائل يا وليد - والامارة لآل عبدالله ان شاء الله».

المشهد الثالث في حائل: ابن السبهان يدخل المدينة بجيشه من العربان فيضرمون فيها نيران الثورة. ويهاجمون القصر فيقبضون على سعود بن حمود بن عبيد ويقتلونه في الغرفة التي قتل فيها اخاه سلطانا حائل فتصفق استحسانًا: مرحى مرحى! وتقلد سعود بن عبدالعزيز سيف الامارة.

مشهد جزئي نختم به هذا الفصل (وقد يعترض ارباب الفن على ختم فصل من فصول المأساة بمشهد جزئي ولكنهم يتغاضون لأهمية عن اخلالنا باحدى قواعد الدراما)

والمشهد الجزئي الذي ابغيه هو لفيصل المبسام، ثالث الاخوان، الذي اجتمعت به في الرياض. ذاك الذي كان يبسم، ويذنب، ولا ينفط. فقد اختلف واخاه سلطانا، فامره على الجوف ليبعده عن العرش، وكان ذلك رحمة منه. وكان فيصل مسرورًا بذي الامارة البعيدة، ~~وذا~~ وذاك البعد، خصوصًا عندما علم بقتل اخيه الاول، ثم بقتل اخيه الثاني.

ولكنه عندما علم برجوع آل عبدالله الى عرش الامارة لم ير السلامة حتى في الجوف، فهجر عرشه هناك ورحل شرقًا، ثم جنوبًا. رحل مسرعًا، ولم يقف في ترحاله حتى وصل الى الرياض، ورمى نفسه بين يدي عبدالعزيز بن سعود، فرحب به، واكرمه، واتخذه تحفة في روحه، خدنًا ونديمًا، فرأى ~~عنده~~
وقد حزن عبدالعزيز حزنًا عندما وافى الموت فيصلًا في الرياض سنة ١٣٤٢ هـ
~~وافاه الموت في الرياض سنة ١٣٤٢ هـ~~ زال

الفصل الثالث من مأساة بيت الرشيد يبدأ بالولد سعود بن عبدالعزيز على عرش الامارة. ووراء ذلك العرش امرأة هي فاطمة السبهان جدة الامير، وحول ذاك العرش عبيد القصر الطامعين بالسيادة. وقد يكون هذا التوازن بين المرأة والعبيد السبب في دوام العرش سنوات عدة بالرغم عن العواصف التي كانت تعصف عليه من الجنوب — عواصف الاخوان

مشهد جزئي: مجلس "ستي" فاطمة: صوت من وراء الحجاب فيه نبرات ونغمات. وارادة ماضية تحرك العرش، وتحرك الجيش، وتحرك يد العبد سعيد صاحب الخزنة. "ستي" فاطمة تستقبل الناس، وتفاوض الوفود وتشير على الامير بالخطة السياسية التي ينبغي اتباعها.

كانت ~~[illegible]~~ فاطمة السبهان فصيحة اللسان، شديدة الشكيمة، قصيرة النظر. تكره اهل نجد وآل سعود. وكانت سياسة الامارة بيدها، والمالية كذلك بعد قتل سعود لان العبد سعيد كان قد قُتل.

ومن هو العبد سعيد ؟ في ايام سعود بعد ان بلغ سن الرشد كان لبعض العبيد مقام رفيع في الديوان الرشيدي . وكان الامير خوفاً من آل سبهان يقرب منه هؤلاء العبيد المماليك ويبالغ في اكرامهم ومنهم خصوصاً اثنان ، سعيد المحمد ، مملوك سوداني خصي ، حمل مفتاح الخزنة منذ ايام عبد العزيز بن متعب ، وسليمان العنبر الذي كان يحمل سيف الحجابة الاول ، ويدخل على الامير برأي حتى في السياسة مسموع .

كان الطواشي سعيد وزيراً للمالية اميناً ولا شك . وكان سليمان العنبر مستشاراً مخلصاً . ولكن نظر الاثنين في شؤون الامارة نظر العبيد لا يتجاوز دائرة معقولهم الضيقة .

اما "ستي" فاطمة ، تلك القوة وراء الستار ، وراء الحجاب ، فلا نعلم ما كان فيها من مجال للمنتقد . ويكفي ما كان من نتيجة حكمها ، وهو اكبر حجة على سوء الادارة فيه .

بين هاتين القوتين مشى سعود بن عبد العزيز الى عرشه ، وبين هاتين القوتين قضى ما كُتب له من سني الحكم . ثم أُخذ عليه الذي أُخذ على اخوته . ولكنه لم يمت مثلهم في "الصيد" . مات سعود غدراً ، وكان الغادر اجبن الغادرين .

مشهد حلي في الفلاة . يجيء الامير للنزهة ومعه حاشية وعبيده . الرجاجيل يعتنون بالخيل ، والعبيد يجمعون الحطب ، ويشبون النار للقهوة ، والامير يتبارى وعبد الله بن طلال الرشيد برمي الرصاص . او كما يقول العرب يضرب النيشان (الهدف) ولم يلازمهما غير عبد واحد من العبيد .

وقد كان هناك رابع هو القدر . جاء يبلّد الرصاصتين ، رصاصة الامير ورصاصة ابن طلال ويلحف العبد بالذهول .

~~كان لابن~~ اما هدف ابن طلال آل عبيد ~~هو~~ لم يكن غير الهدف المنصوب . رفع الامير سعود بندقيته ، وابن طلال وراءه والبندقية بيده مصوبة في الظاهر على "النيشان" ، فأُطلقت الاثنتان في وقت واحد ، فاصابت رصاصة الامير كبد الهدف ، واخترقت رصاصة ابن طلال رأس الامير .

وكان العبد يحدق بالهدف معجباً برمي سيده ، ولم ينتبه الى ما حدث الا عندما خر الامير صريعاً . ولكنه وقد فتح فاه وعيناه هوى هو ايضاً في الحال . لم يعطه القاتل فرصة للفرار .

او للصياح . اذ جاءت الرصاصة الثانية تبعثر دماغه فطاح كاللوح الى جانب سيده .

- رأى احد العبيد الآخرين ما جرى فصاح باخوانه وهجموا على ابن طلال. ثم جاء الرجاجيل ومعهم عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز، ابن اخ الامير المقتول . وهذا عثرة في سبيل العرش ، وابن طلال لا يبغي الان غير العرش . عليه اذن ان يزيل ابن متعب ايضاً من طريقه . وقد أسلفنا من مهارته بالرمي مثليه - وهذا الثالث ؟

وكان العبيد يحولون دون مرماها والطلقون

~~شرع ابن طلال يرمي عبدالله بالرصاص ، وكانت كل رصاصة تنزل عبداً من العبد الذين حموه بنادقهم ، فقتل واحد منهم ، واصيب ابن طلال برصاصة ابعدته عن عبد العزيز بل كانوا يتقون بينا وبين رصاص ابن طلال وهم يطلقون بنادقهم عليه ، فطاح منهم خمسة وجرح آخرون ، وابن طلال بالرغم عن مهارته ، يحاول عبثاً ان يزيل ابن متعب من طريقه الى عرش الامارة . ثم نفذت ذخيرته ، فطلب الامان ، فابى العبيد ان يعطوه غير الرصاص.~~ عن حطام الدنيا كلها !

~~اميران من بيت الرشيد ، من آل عبيد وآل عبدالله ، وخمسة من العبيد مضرجين كلهم بالدماء الستار~~

- الفصل الرابع . في القصر بحائل . عبدالله بن متعب جالس على عرش جده عبدالعزيز - جالس على العرش ويده على رقبته خشية ان تجيئه الضربة غدراً - جالس على العرش وقلبه يخفق جزعاً ورعباً - جالس على العرش » وعيناه القلقتان محزونتان ، دامعتان ، من الدم المراق على جوانبه . عرش نخر السوس في اركانه ، فتزعزع ، فهوى ، فامسى مسنداً وحصيراً في فناء الاضمحلال .

- وماذا عساها تعمل شمّر العظيمه - فاطمة شمّر العظيمه - للانقاذه ؟ وماذا عسى يعمل العبيد، ووفاء العبيد ، وشجاعة العبيد ؟ هبت هبوب الجنة ! هبت من الجنوب ، من نجد ، من العارض - ولا نجاة لهذا الامير الصغير لهذه البذرة الاخيرة من شجرة شمّر التي كانت تباري رواسي الجبال - هذه البذرة السوداء البيضاء التي تدعى عبدالله بن متعب - لا نجاة لها بغير التسليم ؟ والتسليم في الحال .

وهو ذا ابن طلال الثاني محمد اخو عبدالله الثالث المقتول ، وقد جاء من الجوف ليدافع عن حائل . - عن حائل ؟ لا حاجة ولا سبيل الى اقناع عبدالله بن متعب - فقد فرّ ويده على رقبته ، ولاذ بابن سعود . وهو اليوم ضيف مكرم في الرياض - آخر آل عبدالله الرشيد ! .

- جاء ابن طلال الثاني وفي نفسه امل بانقاذ حائل وباعادة شيء من المجد الى شمّر . فوقف خارج المدينة وفي حصونها ، وعلى اسوارها يدافع عنها دفاع الابطال . ولكنها [illegible]

طلال ذ٤ ن طلال واصدا ذي كحة ذ٤ نى

ولكنها وهي تابعة لعرش جود، لم تتقلص ظله، رأت خلاصها في انفصالها عن هذا المجد
وذاك العرش، وفي التسليم الى ابن سعود. فكان الفتح خاتمة المأساة، مأساة شمّر وبيت الرشيد،
بل كانت الخاتمة حصارًا، ورصاصًا ونارًا.

وكان محمد بن طلال بن ماجد بن حمود الرشيد من الذين سلموا بل آخر الذين سلموا وهو الآن ضيف (وهو نايف بن طلال)
مكرم في الرياض. ~~آخر العبيد الرشيد وهو من العبد الله آل الرشيد~~

خاتمة المأساة: - بيت في الرياض يخرج منه ابن طلال في الليل وهو متخفيًا في ثوب امرأة،
فيصطاده احد الرجال عليه ويجيء به الى السلطان عبد العزيز، فيأمر بنقله الى القصر. وقد كان في القصر
اسيرًا يوم كان المسجل لهذه المأساة في الرياض. ثم أطلق سراحه وهو اي المسجل لا يزال هناك.

- المشهد الثاني: المجلس العالي بالقصر. السلطان عبد العزيز جالس على الديوان وعصا الشوحط
بيده، والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد. وعلى الدواوين والكراسي خمسون ونيف من
وجهاء الرياض وعلمائها ~~[illegible]~~. يدخل العبيد ومعهم ابن طلال، فيجلس السلطان الى يمينه
ثم يقول:

اعلموا يا اهل الرشيد انكم عندي مثل ولادي. وانتم في الرياض تعيشون كما اعيش انا وولادي.
لا ازين ولا اشين. ثيابكم مثل ثيابنا، واكلكم مثل اكلنا، وخيلكم مثل خيلنا وازين. ترى
الصحيح - وليس في القصر، او في البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا يجيئكم. ترى الصحيح. وهل منكم
من يشك في ذلك. "تكلموا".

لم يفه واحد منهم بكلمة!!

- وانت يا محمد، ما جرت عليك الا من غير نفسك، غير عملك المشين. كن عاقلاً حكيمًا. ولا
تغير اذنك النساء. اني عالم بما تعمل وبما تقول. فاعقل لصالح نفسك، تجنب الطرق التي فيها
القال والقيل، التي تؤدي الى الفتن. كن صادقًا مخلصًا، تُكرم كل الاكرام - نكرم مثل هؤلاء
هؤلاء كلهم. والله بالله ان الضرر الذي يمسكم يا اهل الرشيد يحرك قلبي قبل لساني الى مساعدتكم
انت يا محمد واحد من بيتي الآن ... وكل ما عندي للدفاع عن بيتي - عن العيال والحريم اقدمه

اذا اقتضى الامر في الدفاع عنك - في الدفاع عنكم كلكم يا اهل الرشيد"!

— ها هنا وقف السلطان، فوقف من في المجلس، واعطى يده الى ابن طلال قائلاً:
"أعطيك عهد الله و[illegible] ما زلت مخلصاً لنا". فصافح ابن طلال وهو يقول: "اذا حدت عن
الطريق الذي امرت به اقطع رأسي".

— ثم قبّل عظمته في انفه وفي جبينه.

— ثم صوت يهتف بالدعاء: "ادامك الله ووطد اركان ملكك".

— هو صوت كبير بيت الرشيد يومئذ، ثالث ابناء حمود، اخوان "الصبيد" الثلاثة، صوت
فيصل المبسام، غفر الله ذنوبه، وذنوب اهل هذا البيت اجمعين.

الامراء الثلاثة عشرة الذين حكموا في الجبل

آل عبدالله الرشيد

١ - عبدالله بن علي بن رشيد . مات موتاً طبيعياً سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م .

٢ - طلال بن عبدالله . انتحر في سنة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٦ م .

٣ - متعب اخو طلال . قتله ابناء اخيه بندر وبدر سنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م .

٤ - بندر بن طلال بن عبدالله قتله عمه محمد سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م .

٥ - محمد بن عبدالله الذي يدعى محمد الكبير كان عاقراً ومات موتاً طبيعياً . تولى الامارة سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م . وتوفي في ٢ رجب ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م . استولى على نجد كله حتى وادي الدواسر .

حكم عشرة اشهر

٦ - عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله - قُتل في المعركة في ١٨ صفر ١٣٢٤ (١٩٠٦ م)

٧ - متعب بن عبدالعزيز قتله واخويه مشعلاً ومحمداً ابناء حمود بن عبيد في ٢١ ذي القعدة ١٣٢٤

آل عُبَيْد الرشيد

٨ - سلطان بن حمود بن عبيد - حكم سبعة اشهر . قتله اخوه سعود

٩ - سعود بن حمود بن عبيد - حكم اربعة عشر شهراً - قتل في القصر

آل عبدالله

١٠ - ~~عبدالله بن طلال~~ سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله . قتله عبدالله بن طلال سنة ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م .

~~آل عبيد~~

١١ - عبدالله بن طلال لم يحكم . قتله عبد من عبيد سعود

~~آل عبدالله~~

١٢ - عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز بن متعب . سلم لابن سعود في ذي الحجة ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م .

~~آل عبدالله~~ آل

نايف بن طلال

١٣ - محمد بن طلال بن ~~ماجد بن محمد~~ . سلم لابن سعود في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١)

عنزه
آل جعفر
آل جبل
آل الرشيد

بيت الرشيد

(رقعي) نسب

- عبدالله بن علي بن رشيد آل عبدالله
  - طلال
    - بندر
    - نايف
      - طلال
        - محمد
        - عبدالله
    - بدر
  - متعب
    - عبدالعزيز
      - متعب
        - عبدالله
      - مشعل
      - محمد
      - سعود
  - محمد الكبير
- عبيد بن علي بن رشيد آل عبيد
  - حمود
    - ماجد
      - [illegible]
        - عبدالله
        - محمد
      - عبيد
    - فيصل
    - سلطان
    - سعود

تاريخ نجد الحديث

الفصل الثالث والثلاثون –

الفصل الحادي والأربعون

١١٨ – ١٥٤

الثالث
الفصل ~~الرابع~~ والثلاثون
آخرة آل عائض

في شبه الجزيرة جبال غير أجا وسلمى، وغير جبال اليمن وعُمان، تستحق ان تُنعت بالزمردية هناك هي جبال عسير وقد كساها الاخضرار، فضخمت فيها الاشجار، وغزرت المياه، وتنوعت الثمار هي جبال عسير الممتازة بكنوزها الدفينة، ناهيك بهوائها، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف وبمناظرها وهي اروع من مناظر اليمن. وهي احصن الجبال للدفاع، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة.

ولكن اهل عسير اشد العرب نفرة من الاجانب، وابعد العرب اليوم عن المدنية. كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض، بل معادية بعضها لبعض. ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من اولئك الاعراب الذين يسلكون مسلك الاقدمين في الاستقلال والقتال، فهم لا يدينون لصاحب اليمن، ولا لصاحب عسير، ولا لصاحب نجد والحجاز.

اما اهل الناحية التي أطلق الترك عليها اسم متصرفية عسير فقد قبلوا في ايام آل سعود الاولين على مذهب محمد بن عبد الوهاب، فترى مساجدهم وقد خلت من الزخرف، وقبورهم ولا قباب فوقها. لهم يوحدون الله ولا يتوسلون الى سواه. وكانوا في تلك الايام يدفعون الزكوة للامام في الدرعية، مثلما يدفعونها اليوم للسلطان عبد العزيز.

اما قاعدة هذه المقاطعة أبها، التي تعلو سبعة آلاف وثلاثمئة قدم عن البحر، فهي قائمة على رأسَي وادي ضلاع ووادي شهران، في جبل سراة، بين آكام وقمم تنتصب كالحراس حولها. وهي مؤلفة من ثلاث قرى او احياء منفصلة بعضها عن بعض، ولا اسوار لها. انما يحوط بها ثماني قلاع صغيرة - مفاتيل - تسع الواحدة عشرة من الجنود.

وحول أبها القبائل التي كانت في الماضي تحارب بعضها بعضاً، وتحارب الترك، وتحارب نجداً والحجاز. وكأنها ~~وهي~~ اليوم موثقة بعرى السيادة السعودية. متآخية في التوحيد الديني والسياسي. حول ابها بنو مغيظ، وبنو ثليم، وبنو مالك، وبنو زيد، وشمالاً منها بالأسمر وبالأحمر

وبنو شهر ، وشرقاً خميس مشيط(١) قاعدة زهران .

ـ وفي هذه الناحية وادي شهاف الذي يقطنه آل يزيد ، ومنهم آل عائض الذين يدعون انهم من سلالة معاوية بن ابي سفيان ، وانهم نزحوا الى عسير بعد سقوط الدولة الاموية في الشام ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي امراء في عسير . وعندما امّر سعود الكبير في هذه الجبال رجلاً يدعى ابن مُجَثّل كان عائض جد الاسرة من الزعماء . ثم جائت الجنود المصرية وجاء محمد علي بنفسه يقود الحملة على عسير ، فكان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال ~~وهو الذي القائم~~ [illegible]

وكان عائض بطل آل يزيد [illegible] ثم خلفه بعد وفاته ابنه محمد ـ محمد الفاتح ـ الذي بسط ~~ابنه سعود~~ [illegible] نائبه في الامارة .

سيادة آل عائض في ما دون السراة من البلدان ، فوصل شرقاً الى بيشة ، وشمالاً الى حدود الحجاز ، وجنوباً بغرب الى المخا في تهامة .

ـ وكانت قد تزعزعت في عهده سيادة آل سعود ، وعادت الدولة العثمانية الى اليمن فجهزت على عسير حملة بقيادة المشير رديف باشا الذي قتل محمد بن عائض غدراً . ثم تأسست متصرفية عسير ـ وظلت الدولة تحافظ على نفوذ آل عائض وتستعين به ، بل كانت تعيّن احد امراء هذه الاسرة معاوناً للمتصرف .

وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن بن علي حفيد الامير محمد ، الذي عينه في سنة ١٩١٢ المتصرف سليمان شفيق كمالي باشا .

ثم [illegible] الحرب العظمى ، وجلا الترك عقب الحرب عن عسير ، فتولى حسن الامارة واستقل بها . بل كان مستبداً ظالماً ، فنفرت منه القبائل خصوصاً قحطان وزهران ، وارسلت وفودها شاكية الى ابن سعود . فبعث عبد العزيز اليهم بستة من علماء نجد وكتب الى الامير حسن والى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة ويدعوهم للرجوع الى ما كان عليه اجدادهم . وكان ذلك بعد ~~دقة ترتيبه~~ .

ـ ولكن الامير حسناً استمر في سياسته ، فابى توسط العلماء ، وردهم معاتباً . "اذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي الى بيشه النخل (قلعة بيشه) ونستولي عليها".

ـ عندئذٍ ارسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي (امير حائل والجوف اليوم) ومعه

مُجَثّل

عائض امره مجثل وذلك في عهد عبد العزيز بن سعود قبل محمد علي باشا بسنة تقريباً ثم كان بعده

(١) خميس مشيط هي على مسافة خمسة عشر ميلاً من ابها وهي في طريق الحاج اليماني الذي يجتمع فيها بحجاج عسير ويشدون جميعاً الى مكة

~~الجابة~~ (٢) [illegible]

الفان من الجنود . وامره بان يدعو ابن عائض اولاً الى السلم فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده
الاولون . واذا ابى ~~فاضرب~~ .

- مشى ابن مساعد في شعبان سنة ١٣٣٨ (مايو ١٩٢١) وعندما دنا من ابها في الشهر التالي كفاه ابن عائض مؤونة الدعوة للسلم فخرج اليه بجنوده وتصادموا في مكان يدعى حجلة بين العاصمة وخميس مشيط، فكانت الوقعة شديدة ~~[illegible]~~ وكانت الهزيمة على اهل عسير .

- ثم دخل جيش ابن مساعد أبها، وواصل سيره غرباً بجنوب فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود السيد الادريسي . وكان الادريسي موالياً لابن سعود فاسر بعض آل العائض الفارين (٢)
ورجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد مستأمنين مستسلمين ، فأمنهما وارسلهما الى الرياض ~~حيث~~ حيث أقاما شهراً ~~[illegible]~~ بضيافة السلطان، واتفقا واياه على ان يكونا معه كما كان اجدادهما مع اجداده .

- قال عبد العزيز : "ما تخلينا ابداً عنكم يا آل عائض . وعندما سئل الترك الشريف عبدالله بن عون ان يهاجمكم وينكّل بكم ، ارسل الشريف يستنجد عمي الامام عبدالله فاجابه : ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه ؟"

- ثم عرض امارة عسير على حسن بالشروط التي تقيّد بها اجداده فرفضها قائلاً : "قد عادينا الناس ونخشى اذا امّرتنا ان يقوموا علينا، ولكننا نكون معاونين لمن تؤمرون أيدكم الله . ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا".

- لم يقصر ابن سعود . فقد اعطاهما خمسة وستين الف ريال (٦٥٠٠ ليرة ذهباً) وخصصهما واهلهما بالمشاهرات المالية .

- عاد الاميران الى بلادهما راضيين مغبوطين ، فاقام محمد في أبها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة اما حسن فاستأذن بان يسافر الى حرمله بلدته ليجيء بعائلته الى العاصمة فأذن بذلك . ولكنه عندما وصلها تمنّع فيها وشرع يدس الدسائس على ابن سعود .

- وفي احدى الفتن التي اثارها هجم بقوة من قومه على أبها فحاصر الامير فيها عشرة ايام ، واضطره الى التسليم ، فسلّم وظل اسيراً في خميس مشيط .

- وكان قبل ذلك قد جاء ف هذا الامير بسيادة ابن سعود في بني شهر ~~القريبين~~ المقربين من الديوان الهاشمي بمكة

(١) أُخلي بعدئذ سبيلهم اجابةً لطلب السلطان عبد العزيز

فقد كان لابن سعود عامل في تلك الناحية أرسل مرة مع واحد من رجاله مالاً الى أميرها. فقتله بعض العربان وسلبوا المال. فارسل الامير الى بعض الاخوان من قحطان يأمرهم بمهاجمة بني شهر. هجم الاخوان على اولئك العربان منهم، فاشتبكوا واياهم في القتال وكانت الغلبة عليهم. وكان الملك حسين يستنهض بني شهر ليكونوا وابن عائض يداً واحدة على ابن سعود، ويمدهم بالذخائر وبالمال، فتفاقم الامر، واشتد الخطر على السيادة النجدية في عسير.

استمرت هذه الحال ما يقرب من شهرين وبعد سقوط حائل ببضعة اشهر جهز السلطان عبد العزيز ابنه فيصلاً بحملة على عسير. مؤلفة من ستة آلاف من جنود نجد، من الاخوان، واربعة آلاف من عرب قحطان وزهران انضموا اليهم عندما دخلوا تلك الجبال.

مشى فيصل في الشهر العاشر من عام ١٣٤٠ (يونيو ١٩٢٢) فلما وصل الى حبيشه كان بنو شهر زاحفين اليها يريدون مهاجمتها، فامر فيصل بابتداء القتال، فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مئتين منهم وشتت الباقين.

وكان محمد بن عائض مرابطاً بجيشه في خميس مشيط. فعندما علم بدنو فيصل تقهقر الى حجله، فتعقبه سرية من الفرسان، فتراجع وجنوده الى أبها بدون قتال.

سألت الامير: "وهل كان في ابها عندما دخلتموها؟" فقال: "ما وجدنا فيها غير الكلاب والحريم. فرّ آل عائض وقومهم ومن معهم هارباً من استطاع." فارسل الامير فيصل يؤمن الناس بشرط ان يسلموا "شوكة الحرب". فسلم فريق من الذين كانوا ثائرين، وظل فريق مع الامير حسن الذي لجأ الى بلدته حرمله وتحصن فيها.

وحرمله هذه هي معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها الا من منافذ معلومة لا يعرفها غير اهلها. وكان آل عائض في محارباتهم الاتراك يلجأون اليها، وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم.

اما الامير محمد فقد هرب الى القنفذة ومنها سافر الى الحجاز ليستنجد الملك حسيناً فانجده بحملة صغيرة يقودها الشريف حمزه الفعر ومعها مئتان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حمدي بك (١)

(١) هو اليوم قائد الحامية في ينبع.

جاءت الامير فيصل اخبار العائضيين فأرسل على حسن في معقله بحرمله سرايا من الجيش، الواحدة تلو الاخرى، وبعد تذليل العقبات ومعركة دامت ست ساعات، استمر الاخوان في التصعيد حتى وصلوا حرملة فلم يجدوا حسناً فيها، فهدموا قصرها وحصونها وعادوا الى أبها.

وكان الامير قد ارسل قوة من الجيش الى تهامة لمحاربة القادمين من الحجاز، وكانت تهامة تملي للاخوان اشد في حرّها وحمّياتها من صخور حرملة، فلم يمعنوا فيها، بل عادوا منهزمين - هزمتهم الحمى - الى الجبال فتعقبهم جيش الحجاز اثرهم. فقال الشريف عبد الله بن حمزة وقال

فقد كانت اما القيادة في ذلك الجيش مقسومة غير متفقة عمليا بخطة في السير حمدي بك قائد الجنود النظامية بخطة اخرى. ولكن الكلمة الاخيرة كانت للشريف فمشى بالجيش في الطريقة التي حذره منها حمدي بك.

صفحة ٢٧٢ حرق آل عائض

وكان ذلك من حظ الاخوان، اذ هجموا على تهامة الطالبين الثأر من الجيش الذي جرّهم اليها. اذ ما عتّم ان وقع الشريف عبد الله في الفخ، فاحاط به اهل نجد وظلوا يفنون جيشه بالرصاص وبالسيف، فنجا القائدان بقسم من رجالهما، البدو والنظام، ولاذوا بالفرار، فتعقبهم الاخوان، فغزوا منها مخدريه الى تهامة، منقهقرين الى القنفذة.

وبعد فرار العائضيين حسن ومحمد(١)، وهزيمة الجيش الحجازي، أمّر الامير فيصل في أبها ابن عفيصان(٢) واقام فيها حامية عددها خمسمئة جندي ثم عاد بما بقي من جيشه الى الرياض، فوصلها في ٢١ جمادى الاولى ١٣٤١ (٨ يناير ١٩٢٢) يوم كان مؤلف هذا التاريخ هناك.

---

(١) هما اليوم في الرياض [illegible]

(٢) يظهر ان آل عفيصان عريقون في الولاء لآل سعود، مقربون منذ القدم منهم. جاء في تاريخ نجد ان عندما استنجد آل خليفة الامام عبد العزيز بالدرعية على اهل الزبارة بقطر أنجدهم بجيش يقوده ابن عفيصان

الفصل ~~الخامس~~ الرابع والثلاثون

الاخوان في العراق

١ - عندما وصل سعود الكبير سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م) الى الجبل والجوف في فتوحاته، دخلت شمر الا قليلاً منها في المذهب الوهابي لخلوه من الزيادات في العبادات، واملاً بالتخلص من الحكم العثماني. على ان ابناء الجبل لا يشبهون في النزعة الدينية اهل العارض، فلم يؤثر المذهب الجديد في عصبيتهم الشمرية، ولا اثر فيها النزوح الاول الى العراق، في العقد الاخير من القرن الثامن عشر، عندما اجلا ابن سعود الجربا وعشيرته من الجبل.

٢ - ظلت شمر من اكبر قبائل العرب عدداً، وارسخهم في القومية، وابسلهم في القتال. وقد كانت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ركن ملك ابن الرشيد، ونار علمه، وآية عزه ونصره.

٣ - اما الدعاة المذهبية في الجبل في بداية هذا القرن، فقد اختلفت بأمرين عما سبقها في بداية القرن الماضي، او انها تنزهت عن امر هو ديني وتخلصت من آخر هو سياسي. لم يكن في الجبل من يكره الناس بالمذهب الوهابي الحنبلي في حملات القطيعة على "المشركين". ولم يكن للدولة العلية، في الربع الاول من هذا القرن، ما كان لها من الشوكة في الممالك العثمانية، ومن الهيبة والنفوذ في العالم الاسلامي. فلم تتمكن السياسة التركية الاسلامية من مقاومة الدعاة الوهابية، خصوصاً لان تلك الدعاة كانت في الاجمال سلمية. فقد مشى المطاوعة الى الجبل قبل ان يزحف اليها الاخوان.

٤ - وعندما كثرت الهجرة الى العراق، خصوصاً من قبيلة عبده الشهيرة، بسبب ما تكرر في بيت الرشيد من الجرائم السياسية القطيعة، تعددت عوامل التفكك في شمر، فضعفت تلك العصبية التي كانت ركن الجبل وسيف ابن الرشيد، ولم يحل محلها عصبية مذهبية لان اهل الجبل لا يغالون في الدين كما غالت مثل اهل العارض. ~~اما انهم يتزجون في البوتقة العربية الكبرى. او في الاول يصطبغون بالصبغة العربية الجديدة، فهذا ما لا يجرم به الان.~~

~~فدعاة الى الجبل من فرقوا من شمر العراق اثناء حصار حائل. ولكنهم وهم هناك، اي في العراق، دخلوا~~

~~وكان ... الجبل الى العراق~~

~~اما الذين كانوا يغزون~~

عبيه لم يقاتل احدا من المشركين ... لم يكن له مثل هذه المواقف ...

لم يحصر احدى ... من العراق ... الحصار

ولكن السياسة كانت تستمر ما تبقى من العصبيتين. فالذين خرجوا من الجبل الى العراق قبل حصار حائل، دخلوا هناك ~~دخلوا~~ في العشائر المعادية لعشائر نجد، واشتركوا في الاغارات التي تكررت عليها. والحق يقال ان في أثناء الحصار ضربت الفوضى على حدود العراق اطنابها. فعجزت عن مكافحتها حكومة بغداد الجديدة الضعيفة وشُغلت حكومة نجد عنها في الحرب.

- اجل، قد تكررت الاغارات من العشائر بعضها على بعض. وكان عربان المنتفق والظفير يسطون خصوصاً على عشائر نجد، فكتب السلطان عبد العزيز الى حكومة العراق يسترعي نظرها للامر، ويطلب ان يُردَع الاشقياء، وتُرد المنهوبات التي نهبت من عشائره.

- اما هذه المنهوبات فكان اكثرها عند الظفير، وشيخها ناقم من الحكومة الجديدة، بل خارج عليها. فلم تملك قيادة، ولا كان لها في عربانه الامر المطاع. وقد كان ابن صويط على عداء قديم وابن السعدون يوسف بك المنصور، والاثنان عدوان لابن سعود. فقامت حكومة العراق تنفذ في سياستها واحداً منهما اليه.

- قال السر برسي كوكس (1) في تقريره الى الحكومة البريطانية: "لم تكن العلاقات حسنة بين حكومة العراق وشيخ الظفير حمود بن صويط، وقد أُمسكت عنه المشاهرات لانه لم يردع عشائره عن الغزو والاعتداء .... ومن سوء الحظ ان الملك فيصلاً عيّن في هذا الوقت يوسف بك السعدون قائداً للفرقة الهجانة على الحدود، وبينه وبين ابن صويط عداء قديم. فاهاج ذلك خاطر شيخ الظفير الذي رحل الى الرياض. وقد كتب الى ابن سعود يسأل الاستقبال لان حكومة العراق غير راضية عنه".

- ولم يكن ابن سعود راضياً عن حكومة العراق، لان تعيين يوسف بك السعدون قائداً للفرقة الهجانة لم يكن على ما يظهر للدفاع فقط، بل شملت مهمته النظر في شؤون البوادي التي تسرح وتمرح على حدود البلدين نجد والعراق.

- ~~و~~ ثم لاسباب اخرى قد رحب السلطان عبد العزيز بابن صويط شيخ الظفير عندما جاءه مستغفراً، واعطاه الامان على شرط ان ترد عربانه كل ما نهبت من اهل نجد، والا يشمل العفو غيرهم من المذنبين. ~~وقد~~ ثم اجزل له العطاء، وارسل معه احد رجاله، عبد الرحمن بن معمر، للتأمين، وجمع الزكوة من اهل الظفير المستسلمين.

~~نقل~~ وفي جمادى الثانية من ~~هذا~~ العام عام ١٣٤٠ (فبراير ١٩٢٢) نقل يوسف بك السعدون

١٣٤٠ هـ
١٩٢١ و ١٩٢٢ م

٧

(1) Sir Percy Z. Cox عندما أعلنت الحرب العظمى انتُدب السر برسي كوكس رئيساً للحكام السياسيين ~~[illegible]~~ للفرقة ~~[illegible]~~ من الحملة الهندية لفتح العراق. ثم عُين بعد ثورة ١٩٢٠ مندوباً سامياً للحكومة البريطانية العظمى في العراق. راجع ملوك العرب، الجزء الثاني، صفحة [illegible] وما يليها.

بفرقة الهجانة الى ابي الغار، على مسير يوم من سوق الشيوخ غربي سكة الحديد بين البصرة والناصرية، فرآه المتصرف هناك وأمر العربان الا يؤدوا الزكوة الى ابن سعود.

- اما ابن سعود فعندما علم بمشي السعدون امر فيصل الدويش في الارطاوية ان يمشي الى الحفر ويعسكر هناك للدفاع عن عشائر نجد.

- وكان ابن صويط قد بدأ ينفذ في عربانه اوامر ابن سعود، فعصاه واحد من المتقدمين فيهم اسمه ابو ذراع، وخرج الى آل طواله، وهم من شمر العصاة، وشرع يشن الغارات واياهم على عشائر نجد. علم الدويش بذلك، وهو على الحفر، فشد على ابن طواله وابي ذراع.

- وكان يوسف بك السعدون قد زحف بالهجانة على ابن صويط وبمن معه من رجال ابن سعود، فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب من مناخ ابي ذراع وابن طواله.

- هجم الدويش على هذين الزعيمين ورجالهما فغلبهم وغنم اموالهم، فبادرت هجانة يوسف بك الى الدفاع عن المغلوبين، فما عتموا ان صاروا مثلهم. ضربهم الدويش دفاعاً، ولكن الدفاع انقلب هجوماً، لان الاخوان المنتصرين ظلوا ماشين الى ابي الغار، فدخلوها في ١١ مارس ونهبوها. ثم تأثروا جيش السعدون فادركوه في شقرة، التي تبعد عشرين ميلاً من ابي الغار الى الجنوب، فضربوه ضربة ذهبت باكثر اولئك الهجانة وشتت الباقين. وقد خيم الاخوان في تلك الناحية بضعة ايام، فضج العراق، وضجت كربلا والنجف.

- ولكن الحكومة الانكليزية فعلت بالدويش وجنوده ما فعلته سابقاً في الصبيحة بالكويت. ارسلت عليهم الطيارات. ومن الطيارات القذائف المدمرة المبددة.

- ثم تبادل المندوب السامي السر بيرسي كوكس والسلطان عبد العزيز رسائل الاسف. قال حضرة المندوب: "لا تؤاخذوا طيارينا ولكن لا مبرر لهجم الاخوان على عشائر العراق".

- وقال عظمة السلطان: "لا تؤاخذوا الاخوان. ولكن التبعة على الحكومة التي لا تستطيع ان تكبح جماح العشائر من حدودها. هذا جزاء الضعف والاهمال".

- وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين، فحضره احمد بن ثنيان من قبل السلطان

عبدالعزيز ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد . ولكن السلطان لم يصدق على ما قرروه
فعاد لذلك المؤتمر الثاني الذي عقد بعد بضعة أشهر في العقير .

جلالة الملك لم تبق عنده
هذا الفصل بجميع الملاحظات
من الكاتب [illegible]

١٢٧

الفصل ~~[illegible]~~ الخامس والثلاثون

مؤتمر العقير

— على كثيب بجرح الخليج بعينه العسلية، الى جنوب القصر بالعقير، لخمس خلون من ربيع الثاني عام واحد واربعين وثلاثمئة والف (٨ نوفمبر ١٩٢٢) نصبت الخيام للمؤتمر. فكان قسم منها، وهي البيضاء الهرمية المزركشة من الداخل بالآيات والرسوم، الى الجانب الشرقي لوفد العراق وللانكليز، والقسم الاكبر والاكثر من بيوت الشعر الى الجانب الغربي لاهل نجد المرافقين عظمة السلطان عبد العزيز. وكان سرادق عظمته مقابلاً لسرادق الاجتماع، في المخيم الاوروبي، وبينهما نحو مئتي متر من الرمل. وتحت سرادق الاجتماع سرادق الطعام، ووراءه المطبخ، والى جانبه قافلة من الجمال وقد اناخت باحمالها.

— وكانت شمس العقير فاترة لا تجفف هواء العقير. وهواء العقير، وهو رطب كثيف ثقيل، لا يصلح مزاج من جاء، ومزاجه معكر، ليصلح مجاري السياسة بينه وبين جيرانه.

— وان السلطان عبد العزيز قد علم في الطريق من الحسا بقدوم فهد الهذال شيخ العمارات مع المعتمد السامي السر برسي كوكس، فغاظه ذلك، لانه لم يجيء العقير لحل مشاكل العشائر. وقد كان فوق ذلك ناقماً على الشيخ فهد لانه انزل عرب شمر الذين فروا من الجبل اثناء حصار حائل. فكتب اليه يذكره بانهم من رعاياه، وان عرب عنزة — والعمارات منها — هم ابناء عم ابن سعود، وانهم لا يأوون اعداءه، ولا يساعدونهم عليه. — «بل انت يا فهد وعشائرك من رعايانا، وذلك علينا حق الحماية، اللهم اذا كنت من المخلصين». ولكن فهداً يفضل على ما يظهر الحماية الانكليزية. وقد جاء محتمياً بالمندوب السامي ليسترضي السلطان عبد العزيز.

— قال عظمة المؤلف: «نحن دعونا السر برسي كوكس الى العقير للنظر في امرين — الاول الشريف واولاده، والثاني الاتراك الطامعون الان بالموصل. فاذا احتل الاتراك الموصل، عادوا الى الوفد وعودتهم الى العراق لا يرتاح اليها اهل نجد. اما مسئلة العمارات والظفير فحلها لا يستوجب مجيئنا الى هذا المكان».

ولكن السر برسي اغتنم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاقية المحمرة(١) وتحديد الحدود بين نجد والكويت، وبين

~~(٢) خلاصة هذا الاتفاق في الملحق.~~

الحق يسرد من المحاكمة ذكر كلام جلالة الملك في قضية الحرص على أي

العراق ونجد . فجاء ومعه عسكر من السياسيين والاخصائيين وكتبة السر والخدم .

وصل اليخت الذي أقلهم من البحرين في مساء اليوم الرابع من ربيع الثاني . فامر السلطان بارسال الخيل الى الرصيف ونزل هو وحاشيته يلاقون الوفود ، فعادوا كلهم بعد نصف ساعة الى المخيم ، وترجلوا امام سرادق الاجتماع الذي أنير بانوار « اللوكس » وبعد ان استقروا بالمجالس .

« اعتذر المندوب السامي لانه أبطأ في السفر ، فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره . فجاءت الكلمة الاولى قنبلة » زعزعت المكان — « انا لا اخشى الا الرجل الذي لا شرف له ولا دين » . ثم قال : « لا ندري يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكننا نرجو منها الخير . ومما نعلمه علم اليقين ان العشائر ، خصوصاً عشائر العراق ، لا ترتاح الى حكومة قوية . بل لا تبغضها . لأن الحكومة اذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم . اما اذا كانت ضعيفة فتستضعفهم كما هي الحال اليوم . العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون الا السيف . فهم اذا عاملتهم بالحسنى تحكّموا بالحكومة . اشهروا السيف يرتدعوا ، يتأدبوا . اغمدوا السيف ينهبوا ، ويقتتلوا ، ويتقاضوكم فوق ذلك المشاهرات » .

فاه عظمته بهذه الكلمات وهو مدير ظهره لفهد الهزال . ثم مال بوجهه اليه وقال مبتسماً : « اليس كذلك يا فهد ؟ » « حنا نعرف بعضنا » فضحك كل من كان في المجلس ، الا شيخ العمارات الذي كان يحدق نظره في السجادة ، ثم رفع خشمه الى المندوب السامي كأنه يقول : لا بارك الله ساعة جئت فيها معك » (١)

هذه اول جلسة ، وان كانت غير رسمية ، من مؤتمر العقير . تبعها جلسات خصوصية بين السلطان والمندوب السامي ، وجلسات عمومية حضرها رئيس وفد العراق صبيح بك نشأت ، والوكيل السياسي الميجر مور في الكويت والشيخ فهد الهزال . وكان الكتاب ، والمترجمون ، والاخصائيون من العرب في معرفة الآبار والطرق والمراعي يؤمون خيمة الصفدة من حين الى حين .

اعود اذن الى مذكراتي في تلك الايام .

في ٨ ربيع الثاني ١٣٤١ (٢٧ نوفمبر ١٩٢٢)

قد اجتمع صباح اليوم السلطان والمندوب السامي . فخرج المندوب وفي جيبه تقرير طويل باللغة العربية ، سألني عندما زرته بعد نصف ساعة في خيمته ، ان اترجمه له . والتقرير يتعلق بقبيلتي العمارات والظفير وكان قد أعده السلطان للمندوب في مؤتمر المحمرة . وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب : — اذا سألوك كذا

(١) منقول من « ملوك العرب » ومن شاء الزيادة فليراجع الفصلين الثامن والتاسع من القسم الخامس . الجزء الثاني .

وكذا، اجب كذا وكذا. واذا الح المندوب الانكليزي في امر من الامور، اسأله اذا كان يتكلم بلسان حكومته
او بلسان حكومة العراق. فاذا كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو انه لا نسامح بحقوقنا. واذا كان
بلسان حكومة بريطانية فجاوب: اكراماً لحكومة بريطانية. هذا اذا كان من الامور الثانوية. اما اذا
كان من الامور الجوهرية، فالجواب هو انه لا نسلّم الا مكرهين. والحكومة البريطانية تفهم ان عاقبة
الاكراه وخيمة».

☐ — قرأت ما تقدم، وترجمة كلمة كلمة، فلم يظهر السر برسي شيئاً من الاكدار . . . . ان للسلطان عبد العزيز
مفاجآت مزعجة . . . .

☐ — "اذا سألوك من العمارات قل انها من عنزه، وعنزه كلها من ابناء عم ابن سعود ومن رعاياه" الخ

☐ — السر برسي: "عنزة العراق (اي العمارات) تفضل ان تكون من رعايا العراق. اما عنزة سوريه ~~اي الرولة~~(١) ~~(اي الرولة وهي تتنقل الرولة)~~
فقد تفضل ان تكون من رعايا ابن سعود. وله ما يشاء فيها».

☐ — اضحكتني هذه الكلمة من السر برسي. فكأنه يقول: الذين عندنا هولنا، والذين عند غيرنا عند الدساوين
هولك يا عبد العزيز اذا استطعت ان تستولي عليه.

☐ — في ٩ ربيع الثاني (٢٩) نوفمبر.

☐ — في ذلك اليوم المندوب السامي. فبعد جلسة طويلة وخطبة السلطان استدعى اليه عبد اللطيف باشا المنديل
احد المستشارين يومئذٍ لعظمته، وبعد مفاوضة استمرت نصف ساعة اعطاه صورة كتابين ليسلمهما الى
السلطان. والكتابان كُتبا بقلم الرصاص وباللغة الانكليزية. فارسل عظمته يدعوني الى الفسطاط.
ومما يؤسف له في مثل هذه الحال ان لا يكون للمندوب السامي ولا للسلطان ترجمان يحسن الترجمة. ~~الانكليزية~~ العربية و
فانكليزية الدكتور عبد الله، مثل عربية الميجر دكسون، لا تصلح الامم.

☐ — ترجمت الكتابين وكان السلطان اثناء الترجمة يتزحزح في مجلسه ويضرب السجادة بعصاه.

☐ — ١ — الكتاب الاول الذي يسأله المندوب كتابةً هو الى الملك فيصل جواباً على كتاب من الملك يقترح
وصوله. وفي هذا الكتاب يقول: بناءً على تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتها واياها قبل الاتفاق
الذي عُقد في مؤتمر المحمّرة.

☐ — ٢ — الكتاب الثاني يكتبه الى السر برسي كوكس ليخبره بالكتاب الذي كتبه الى الملك فيصل. ويزيده علماً بأن
واحدة من التعهدات المذكورة في ذلك الكتاب تتعلق بالمادة الثانية من المعاهدة (٢) وفيها: الكلمات

(١) اي الرولة وهي تتنقل. الرولة
~~(٢) الحج الثلاثة جبوبة في الملحه.~~

(٢) المعاهدة المقصودة بهذا الكلام هي معاهدة دارين اي معاهدة ١٩١٥ التي الغيت بعدئذٍ، بسبب دفع
مئة وستين الف ليرة لابن سعود.

"اية دولة اجنبية" "يبغي ان تشمل ايضاً حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق .

اي ان الحكومة البريطانية تتعهد ان تحمي بلاد نجد اذا ما تعدت عليها احدى هذه الحكومات الثلاث .

- قال السلطان وهو يبتسم تبسماً : "ومن قال للمندوب السامي ان ابن سعود يخاف الشريف واولاده - لا والله - نحنا في غنى عن الحمايات ، اذا كان المعتدي علينا احد من حكام العرب" .

- وقد ساءه خصوصاً ان يقول له المندوب ، بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق ، ماذا يجب ان يكتب الى الملك فيصل او الى الحكومة البريطانية .

- دخل وانا اترجم الكتابين ، بعض رجال السلطان ، فاومأ اليهم ان اخرجوا ، فاستمروا ماشين في الفسطاط ، وخرجوا من الباب المقابل للباب الذي دخلوه ! ثم [illegible] فاستأنف [illegible] عظمته الحديث .

ثم هتف [illegible] لانكماش الالداء" .

- وكان المؤذن ساعتئذ يؤذن صلاة الظهر ، فنهض [illegible] يلبي الدعوة وهو يقول : "سنصلي ، سنصلي" .

- في ٩ ربيع الثاني (مساءً) .

- رفض السلطان بتاتاً ان يكتب الكتابين اللذين اشار بكتابتهما المندوب السامي .

- في ١٢ ربيع الثاني (١ دسمبر) .

بقعة تبعة العوينة

- قد تم الاتفاق بين السلطان ومندوب العراق على الحدود النجدية العراقية وتقررت بقعة الحياد بين البلادين .

- فسميت جزءاً قطعة بقلادة لانها في شكلها مربع شبيه بالمعين Rhomboid X اراجع الخارطة [illegible] وفي هذا التحديد تقرر ايضاً مصير العمارات والظفير الداخلة في ارض العراق المعدودة الآن من عشائره .

- يظهر ان السر برسي اقنع السلطان او انه ارضاه بما يقابل تنازله عن هاتين القبيلتين .... قطعة بقلادة للجميع ! ومن يكبح جماح القوي اذا ردعها الضعيف ؟ - بقعة ذات مرعى خصبة وفيها آبار عديدة لا هي لكم يا عرب العراق ولا هي لنا . ولكننا اذا اردناها مسالمين ولم يكن فيها ما يكفي غير مواشينا من الماء والكلاء ، فمن ذا الذي يردنا عنها ، ومن ذا الذي يستطيع ان يحرمنا ؟ ...

الخلاصة هو صلح صغير - مثل الذي كان يعقد في بعض الاحيان بين ابن سعود وابن الرشيد . وليت شعري هو في لوزان (١) اليوم يعقدون صلحاً صغيراً ام كبيراً ؟

(١) مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير عقدا في وقت واحد . ولكن الاول استمر بضعة اشهر والثاني انقضى في خمسة ايام .

في ١٢ ربيع الثاني (٥ دسمبر) .

وقد تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل السياسي في الكويت الميجر مور على بقعة حياد بين البلادين لتقي عربان الكويت وعربان نجد شر التصادم ؟ وهل يدري العربان بالمعاهدات ؟ وهم يجتازونها اذا ما جدبت الارض، وخرجوا كلهم "ينشدون الحيا" - يطلبون المرعى والماء ؟ ولكنه صالح صغير، وقد يدوم مع ذلك اكثر من صالح العراق ...

علمت ان السلطان طلب توسيع حدود الجوف لقاء تنازله عن العمارات والظفير، وان السر برسي وعده بذلك.

في ١٢ ربيع الثاني (مساءً)

من بشائر الخير في هذا المؤتمر للبلاد العربية كتاب كتبه الملك فيصل بخط يده الى السلطان عبد العزيز، الى "اخي العزيز". وارسله مع رسوله الخاص عبدالله بن مسفر جار فهد الهذال، في المخيم الاوروبي. والكتاب مدبج بارق العبارات الودائية، وفيه ما يدل على ان جلالة الملك يرغب رغبة حقيقية في الصلح ليس بين العراق ونجد فقط بل بين نجد والحجاز. فهل ينبذ فيصل خطة جلالة والده ؟ وهل يستطيع ان يوفق بينه وبين السلطان عبد العزيز ؟ ها هنا اساس الصلح الكبير - السلم الثابت في البلاد العربية . ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً.

وجواب السلطان على كتاب الملك ينبئ بالخير .... عسى ان يتوفقا الى اجتماع شخصي خاص ... اني متيقن ان السلطان عبد العزيز راغب في ذلك . ولكنه في الوقت الحاضر منحرف المزاج، وقد طالت اقامته في الحساء فهو يبغي الرجوع الى الرياض . ولا بأس اذا بحت بسر واحد من اسرار الملوك . ان هناك رغبة في الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية ..

في ١٤ ربيع الثاني (٧ دسمبر) .

آخر ما ترجمت لعظمة السلطان صورة برقية ارسلها السر برسي كوكس الى المستر اشرشل (يومئذ وزير الخارجية) يقول فيها ان ابن سعود طلب ان تكون قريات الملح في الجوف تابعة لسلطنة الناحية وبالتالي لنجد. وهو اي السر برسي يشير بالقبول، بل يقول !!

"أكدت لعظمته ان ذلك يكون مقبولاً لدى حكومة جلالة الملك"(١)

....

تأخذ من ابن سعود لتعطي العراق ، وتأخذ من شرق الاردن لتعطي ابن سعود ، وتأخذ من الحجاز (العقبة)

(١) بموجب معاهدة حدا بين نجد والشرق العربي ضمت قريات الملح الى الجوف .

(المنشورة في الملحق)

لنعطي شرق الاردن - ومنه نأخذ لنرضي الحجاز ؟

الفصل ~~السابع~~ السادس والثلاثون

الخناس - والذي يوسوس في صدور الناس

بعد بضعة اشهر من مؤتمر العقير نكس مريض الجزيرة، نكس السلم، والسبب في الخناس مكروب الغزو الذي ظن المتعاهدون انهم استأصلوه، ولكنهم نجّوه فقط، فافاق بعد اربعة اشهر، ونشط الى العمل مباشراً في العراق، او بالحري على حدود العراق ونجد.

قد يذكر القارئ ما قلناه في غرب شمّر الذين جاؤا الى العراق بعد احتلال حائل. وقد يذكر ايضاً ان في العراق من هذه القبيلة الكبيرة من نزحوا الى ذلك القطر قديماً، وهم يعدون من اهله، واكثرهم ينزلون ما بين النهرين قرب الموصل.

هؤلاء الشمّر، وفي مقدمتهم آل عبده التابعين للشيخ عجيل الياور الذي تخصه الحكومة العراقية بالمشاهرة المالية، طفقوا يرحبون باخوانهم الفارين من نجد ويشتركون معهم في شن الغارات على قبائل ابن سعود. قد تخلل هذه الغزوات فترة سكون عقد فيها مؤتمر العقير. ثم عادت تلك العشائر بعد اربعة اشهر اي في صيف عام ١٩٢٢، تفسد ما اصلحه المصلحون، وتحاول في غزواتها المتتابعة ان تقضي على السلم في القطرين العراقي والنجدي. فكتب عظمة السلطان الى المعتمد السامي والى جلالة الملك فيصل يلفت نظرهما الى هذا الامر ويحذرهما من عواقبه. بل طلب من الحكومة مراراً ان تردع المجرمين، وترجع ما نهبوه من اهل نجد.

وقد نشر في الكتاب الاخضر النجدي اجوبة اولي الامر هناك، وفيها ما يثبت دعوى حكومة نجد، بل فيها الدليل على عجز حكومة العراق - عجزها يومئذٍ - عن تنفيذ ما رأته واجباً عليها.

قال جلالة الملك فيصل في جوابه: "تلقيت كتابكم المرسل مع خادمكم الامين عبد العزيز الرباعي فكان اعز واصل .... اما من خصوص الغارات فقد اجرينا اللازم واخبرنا حامله شفاهاً بما يسهل الامور"

وقال وزير الداخلية [يومئذٍ عبد المحسن بك السعدون] في كتاب ارسل الى المعتمد السامي:

"قد اصدرت الاوامر الى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمّر نجد وخصوصاً اولئك الذين اشتركوا في هذه
" الغارات .... وقد وعد الشيخ عجيل الياور باسترجاع الاموال المنهوبة، وتعهد بقبول المسؤولية عن وقوع
" الغارات في المستقبل".

ثم كتب معالي الوزير الى متصرف الموصل كتاباً شديد اللهجة جاء فيه: "ان الشقاء الذي ينجم عن هذه الغزوات

الغزوات

الغزوات

« يغضب ابن سعود. فان لم تتخذ الاجراءات المستعجلة فأقل ما ينتظر هو حدوث غزوات جسيمة مقابلة لذلك ...»(1)
« ومما لا يطاق احتمال اتخاذ شمّر العراق مركزاً لحركاتهم الحربية على ابن سعود. فالحكومة عازمة على اتخاذ التدابير
« لكبح جماحهم ولطردهم اذا اقتضى الامر »

وكان قد كتب عبد المحسن بك الى المندوب السامي يسأله اذا كان في وسعه « مساعدة الحكومة العراقية بالطيارات والسيارات المدرعة اذا كانت القوات الموجودة لديها غير كافية »

ولكن عجز الحكومة العراقية لم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الانتداب. وفي كتاب السر بريسي كوكس، المؤرخ في ٢٧ اغسطس الى عظمة السلطان، ما يثبت ذلك. فقد جاء فيه انه اي المندوب السامي لم يقصر « في الاسراع الى لفت نظر الحكومة العراقية الى هذه الحركات السيئة من قبل رجال شمّر نجد المقيمين داخل حدودها » وانه « سيتباحث مع الحكومة العراقية * في امكان وضع دوريات منظمة في اطراف العراق لاجل منع حدوث مثل هذه الامور » . . . وانه « واثق من تمكنه قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية ترضي كلا الحكومتين ومن اتخاذ تدابير من شانها ان تمنع العشائر من تكرار هذه الاعمال ».

ولكن « الدوريات » لم تنظم في هذه السنة ولا في التالية لها. اما « التدابير » فقد عقد في سبيلها

١٣٤٢ هـ
١٩٢٣-٢٤ م

في الاشهر الاربعة الوسطى من هذا العام مؤتمر الكويت. وفي خلال هذه الاشهر اي من جمادى الاولى الى شعبان، ساد شيء من السكون في البادية، وقامت مقام الغزوات حربٌ من الكلام في مدينة الكويت.

كانت الحكومة البريطانية الداعية الى هذا المؤتمر، بواسطة وكيلها في ابي شهر الكولونل نوكس(2). وكان الغرض منه :

أ- البحث في المواد الباقية بين نجد والعراق ومن جملتها قبائل شمّر الملتجئين الى هذا القطر.

٢- البحث في مسألة حدود نجد وشرق الاردن.

٣- البحث - اذا شاء ابن سعود - في حل المشاكل التي بين نجد والحجاز.

وقد قال الوكيل في كتابه الى عظمة السلطان « ان الحكومة البريطانية مستعدة ان تعرض الامر على الملك حسين» وان غرضها من عقد هذا المؤتمر « هو ازالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين الممالك المتجاورة ».

قبل السلطان الدعوة على شرط ان تكون المفاوضات بين الوفد النجدي وكل وفد آخر من الوفود على حدة، اي ان وفد العراق لا يشترك في مباحث شرق الاردن، ولا وفد شرق الاردن في بحث امور العراق.

---

(1) قد خفف كلام الوزير، بعد بضعة اشهر، في غزوة الدويش
(2) Col S. G. Knox S.I.E etc

قبل الوكيل هذا الشرط واعلم به الحكومات الاخرى فحاز قبولها . وقد عقدت جلسة المؤتمر الأولى
في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ (١٧ دسمبر ١٩٢٣) فتلتها اربع جلسات ، دار فيها البحث بين
وفد نجد ووفد العراق ، فتم الاتفاق بينهم على وضع مواد تختص بمعاقبة الذين يشنون الغارات في اطراف
البلادين ، وبكيفية المعاقبة ، وبطريقة المراسلة بين الحكومتين في ما يختص بالعشائر .

تم الاتفاق او كاد يتم . فان وفد العراق ، ساعة التوقيع ، طلب ان يضاف الى المعاهدة
"انها لا تكون المعاهدة نافذة مالم يتم الاتفاق مع الحجاز" . ولكن الملك حسيناً رفض ان يرسل مندوباً من قبله الى المؤتمر
وقد قال في بادئ الامر انه لا يشترك في المفاوضات ما دام ابن سعود محتلاً بلدة واحدة من بلدان الحجاز .
رفض الوفد النجدي المادة الشرطية . وجاء في برقية رئيس المؤتمر الكولونيل نوكس الى حكومته
بعد رفضوا هذا الشرط لانهم يخشون ان يكون بمثابة اعتراف منهم بوجود اتحاد بين العراق والحجاز
ضد نجد [illegible] "انه لا يمكن البت في شأن من الشؤون مالم يوفد الحجاز
مندوبه" . ثم تأجل المؤتمر الى ٨ يناير لتمكين الوفدان من الرجوع الى بلادهما ليستشيروا حكومتيهما في
المسائل المختلف عليها .

اما وفد شرقي الاردن فقد كان اشد لهجة واكثر صراحة من وفد العراق ، فظهرت في خطبه البداية كانت
تحرك ، والروح - بغير روح الامير عبدالله - التي كانت مسيطرة عليه .

ان ظاهر الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقريات الملح(١) . فبعد مؤتمر العقير ، عندما علم سمو الامير
بما كان من الاتفاق بين حكومة بريطانيه العظمى والسلطان عبدالعزيز بخصوص الحدود النجدية العراقية ، ارسل
قوة احتلت القريات ، فهم السلطان باخراج تلك القوة منها ، فلجأ الامير الى الحكومة البريطانية
التي طلبت اذ ذاك من ابن سعود ان يتوقف في الزحف الى الجوف ، ووعدت بتسوية المسئلة بالوسائط السلمية .
اما حادث الجوف فقد كان من الاسباب التي عجلت في عقد مؤتمر الكويت .

قلت ان وفد شرقي الاردن كان اكثر صراحة وجرأة من وفد العراق ، فقد استهل رئيس الوفد خطبه في اطراء
صاحب الجلالة الهاشمية ، والنهضة العربية ، والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب ، ثم قال: "ان
شرقي الاردن هي من ثمار هذا الاستقلال ، وان الجوف وسكاكه وما يتبعها هي لازمة لها ، بل هي ضرورية
للمواصلات بين شرقي الاردن والعراق" . فيجب اذن ان تكون تحت اشراف حكومة الامير .
وفي جلسة الثانية كانت اللهجة اشد والصراحة اعجب . فقد قال المندوب الاردني ان الجوف وسكاكه وتوابعها
هي من الاراضي السورية ، التي تبتدأ حدودها من مدائن صالح وتنتهي عند ابو كمال على نهر الفرات ، وان حكومة شرقي

(١) قريات الملح تتألف من قريتين كبيرتين احداهما كاف والثانية اثرى وتتبعهما ثلاث مزارع وفي اراضيها معادن ملح كبيرة تشحن اكثر منتوجها الى حوران وجبل الدروز

الاردن

الاردن هي مهكورية فيجب ان يكون الجوف باجمعه تحت ادارتها .

المندوب النجدي : " ان الجوف وسكاكه ووادي سرحان باجمعه كانت تتبع التطورات التي تطورتها نجد في حين ان تشكيلات الاردن الادارية والجغرافية لم تكن سوى اقضية تابعة للكرك والقدس ولم يكن الجوف تابعاً لها ادارياً اوسياسياً "

ثم قال رئيس الوفد : " لانوافقه مطلقاً على اتصال حكومة شرقي الاردن بالعراق . ونطلب ان تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسورية حتى تكون تجارتها آمنة . فحفظاً لكياننا الاقتصادي وحماية لروحنا التجارية نطلب ان يكون الاتصال بسورية اساساً للاتفاقية بيننا وبين شرقي الاردن " .

قلنا ان ظاهر الخلاف بين الفريقين هو الجوف . اما الخلاف الحقيقي الجوهري فهو العداء المتأصل بين آل سعود والبيت الهاشمي . وقد صرح رئيس الوفد . بعد اطرائه جلالة الملك حسين ، بما يأتي :

" لا يسعني السكوت عما أمرت به ، وعليه فالمحوا الى ان امرح حضراتكم بانه اذا لم تتخل حكومة نجد عن الجوف ووادي سرحان باجمعه ، وعن الاراضي الحجازية التي احتلتها ، اي تربة والخرمة وخيبر وغيرها ، وتجعل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد على ان يكون الحد الفاصل هو الصحراء القاحلة ، فلا يمكن ان يحصل بيننا اتفاق "

عندئذ تكلم رئيس المؤتمر الكولونل نوكس فقال انه لا يحق لوفد العراق او وفد شرقي الاردن الكلام عن الحجاز ... " لان سلطان نجد حينما قبل ان يشترك في المؤتمر اشترط شرطاً اساسياً قبلناه وهو ان لا يحق لحكومة من الحكومات ان تشترك في بحث مايتعلق بالحكومات الاخرى " .

توقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الاردن كما توقفت سابقاً بين نجد والعراق . والسبب الاول في ذلك كما تبين لنا هو الشرط الاخير الذي اشترطه وفد حكومة بغداد ، والكلام الاخير الذي فاه به وفد حكومة عمان . ~~[illegible]~~ (١) وقد ساد بحكم توجيه الطالبين الملك حسين .

الملك حسين ، وهو يومئذ في اوج مجده ، الى ان يشترك في المؤتمر . ولكنه نفذ ارادته في ممثلي حكومتي نجلية ، فحلت السياسة الهاشمية دون الاتفاقية وسلطان نجد .

وما كانت جلسات المؤتمر الاخرى لتغير في هذه الحال او تلطفها . فقد عاد وفد العراق يحمل قرار حكومته ، وفيه ان لا يمكنها ان تسلم شمر نجد حالاً ، وانها غير مسؤولة عن المنهوبات التي سبق تاريخها تتويج الملك فيصل ، وانها لا تقبل بمبدأ اخراج العشائر الملتجئين اليها لان ذلك " يولد ارتباكات في الحدود العراقية - مع سورية وتركيه وايران " . ولكن مسئلة العشائر هي في نظر حكومة نجد المسئلة الجوهرية . فاذا كانت حكومة العراق لا تتخذ الوسائل الفعالة لتقضي على الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر المجرمة فالوفد لا يمضي ملحقاً او معاهدة .

توقفت

---

(١) قد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات التي نهبت بعد توقيع معاهدة (المحمرة) العقير :

توقفت المفاوضات مرة ثانية، فعاد وفد العراق ثانيةً الى حكومته يستشيرها. ثم تأجل المؤتمر الى شهر

شعبان (مارس ١٩٢٤) لتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبد العزيز. وعلّ وفد الاردن يعود

اثناء ذلك بتفويض جديد، وعلّ الملك حسين يغير رأيه فيرسل من يمثله في المؤتمر.

قد غير جلالة الملك رأيه فعين نجله الامير زيداً ليمثل الحجاز، ولكن الامير لم يحضر المؤتمر. وعندما كان وفد

العراق عائداً الى الكويت المرة الثالثة كان قد فرغ صبر عربان نجد في الدويشية يحثه من قبائله غازياً

في اطراف العراق، فغضبت ولا غرو الحكومة وامرت وفدها بالرجوع الى بغداد.

وما عُيّن وفد شرقي الاردن ~~لم يغير~~ لهجته، ولا تنازل عن شيء من مطالبه. وقد اقترح رئيس المؤتمر استفتاء

الاهالي في القريات فقبل الوفد النجدي بذلك "على شرط ان يعمل بهذا المبدأ في الاماكن المتنازع عليها بين نجد

والحجاز اي في تربه والخرمه"

ولكن الوفد الاردني لم يقبل بذلك، بل طلب ان يكون الجوف ووادي سرحان منطقة حياد بين القطرين

فرفضه الوفد النجدي ورفضه المؤتمر. وهكذا تأجل بعد اجتماعه الثاني الى شهر شعبان (اقلب)

يسمح القارئ ~~للمؤلف~~ ان نشير المؤلف هنا الى نفسه. قد كنت في هذه المدة على اتصال مراسلة بعظمة

السلطان، وكنت في ما اكتبه الى عظمته ساعياً في سبيل الوفاق بين البلادين مجبذاً عقد معاهدة نجدية عراقية

اوسع نطاقاً مما سبقها في العقير وفي المحمرة. وقد جاءني من عظمته كتاب اقتطف منه ما يلي:

" اما ما ذكرته عن الاتفاق مع حكومة العراق فقد كنت ارغب به من صميم قلبي ... ولكن حكومة العراق لا

تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من مجرمي العشائر لمهاجمة رعايانا الآمنين. وقطع الطرق على القوافل

... يعلم الله، ان جل مقصدي هو ان نعيش بسلام مع جيراني، وان نتحد كلنا على ما فيه خير العرب.

ولكن الاشراف لا يريدون فهم ذلك فحسبنا الله ...

وفي كتاب من القصيم مؤرخ في ١٤ رمضان يقول:

قد جئنا القصيم لامور لابد منها. ومنها الاستعداد للطوارئ. فقد عينا عبد العزيز بن مساعد آل جلوي

اميراً في حائل، وجعلنا المنطقة الشمالية، بما فيه القصيم والجوف وخيبر، تحت امرته، وزودناه بالتعليمات الكاملة

والقوة الكافية، والصلاحية الواسعة. وبدلنا ايضاً امير الجوف فعينا مكانه عبد الله بن محمد بن عقيل واصحبناه بما

يلزم من القوة"

هذا جواب عظمة السلطان على مطاليب الامير عبد الله وجلالة والده. بل هذي هي نتيجة مؤتمر الكويت

~~مؤتمر الكويت لم يجتمع غير مرتين في الاولى حضره مندوبو العراق ولكنه(؟) الاردن ونجد وفي الثانية لم يحضره الا مندوبو نجد وشرقي الاردن~~

(مارس ١٩٢٤) ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبد العزيز. وقد كان يأمل ان يغير الملك حسين رأيه فيرسل من يمثله في المؤتمر.

قد غير الملك رأيه فعين نجله الامير زيداً ممثلاً للحجاز. ولكنه لم يحضر.

وبينما كان وفد العراق، الذي عاد للمرة الثانية يستشير حكومته، قادماً للمرة الثالثة الى الكويت، خرج فيصل الدويش، وقد فرغ صبره عربانه، غازياً في اطراف العراق، فغضبت ولا غرو الحكومة، وأمرت وفدها بالرجوع الى بغداد، فلم ينعقد لذلك الاجتماع الثالث.

ليسمح الح

١٤٨

الفصل ~~التاسع~~ السابع والثلاثون

ذروة المجد والخطر

عندما كان السلطان عبد العزيز في الاحساء يراقب عن كثب مؤتمر الكويت، وينتظر متيقظاً نتائجه، كان الملك حسين في عمان، وقد جاءها ليشرف، كما قال، على جميع البلاد المقدسة، ويزور الاماكن التي فيها مراكز للحكومة، ~~اما الشرقي الادرن حباً بها جماله~~ ويوطد السيادة الهاشمية في الشرق العربي.

ولكن مسئلة الخلافة، بعد ان طرد الترك الكماليون الخليفة والاسرة السلطانية من تركيا، شغلت العالم الاسلامي، وكانت يومئذٍ تشغل امراء العرب، وخصوصاً الملك حسين. فجاء عمان ليقرب من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي، وليجس نبضها في هذه المسئلة الاسلامية الكبرى.

١٣٤٢ هـ
١٩٢٣-٢٤ م

وعندما وصل القطار الملكي الى العاصمة في ٨ جمادى الثانية من هذا العام (١٧ يناير ١٩٢٤) شاهد جلالته في المحطة مشهداً فريداً مجيداً، خفقت له قلوب السياسة، ورفرفت فوقه آمال الملك كلها. ~~كانت هناك في استقباله جلالته~~ كانت الوفود والجموع وفود من سورية وفلسطين، ومشائخ العربان من نواحي الشرق العربي، ورجال الحكومة من عرب وانكليز، والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام، والجنود والجموع من بدو وحضر في الثياب العربية والافرنجية والتركية. هناك عندما اطل جلالته من القطار رفع الناس اصواتهم هاتفين: ليحي ملك العرب! ليحي المنقذ الاعظم! وقد كان الاستقبال حاراً باهراً. اصطفت جنود الجيشة العربية على الطريق من المحطة الى المدينة، وجال العربان من فرسان وهجانة وهم يهزجون الاهازيج البدوية ورفع تلاميذ المدارس اصواتهم بالهتاف والاناشيد، وشاركت في الترحيب الطيارات الانكليزية التي كانت تغمغم في الفضاء.

ثم صعد الخطباء والشعراء منصة البيان، وطفقوا يخطبون وينشدون مهللين مكبرين، ومهددين الانكليز والفرنسيس، بل الاوروبيين اجمعين.

ليحي ملك العرب! ~~ليحي~~ المنقذ الاعظم! لتحي النهضة العربية! وليحي القائم بها الحسين بن علي رسول ~~...~~ وليسقط كل من يسعى ضدها وضده! ليسقط الاستعماريون والمستبدون! لتحي الخلافة العربية!

وكان جلالته يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي أُعد له، المقابل للاثر التاريخي الجليل - الملعب

الريحاني

٨ البعث

الروماني المنهدم - وللزمان في تهكمه اساليب تعجز دونها الشعراء والخطباء

فقال تكراراً انه لا يتنازل عن مبدأ واحد من المبادئ التي هي اركان النهضة:

ثم قابل جلالته الوفود وقال في حديثه ملكاً جباراً - بل العرب حقاً - وتنفذ العرب الاعظم -

لا اتنازل عن حرف واحد من حقوق البلاد.

لا اقبل الا ان تكون فلسطين لاهلها العرب، اقول لاهلها العرب.

لا اقبل بالتجزئة، ولا اقبل بالانتدابات.

ولا اسكت وفي عروقي دم عربي عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي اقطعتها للعرب.

اذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي اطلبه فاني ارفض المعاهدة كلها، اقول المعاهدة كلها.

لا اوقع المعاهدة قبل ان آخذ رأي الامة. اني عامل دائماً في سبيل الوحدة العربية والاستقلال التام (الاتفاق واجماع آراء العرب اني عامل دائماً في سبيل)

- اقول الاستقلال التام - للاقطار العربية كلها. ولا فرق عندي اذا كان مركز الحكومة العربية في

الحجاز، او في سوريا، او في العراق، او في نجد.

فبعد يوم عيد، بعد هذه التصريحات المدهشة، اذا تمت المبايعة بالخلافة. فبعد

المآدب والاجتماعات العامة المتعددة، وبعد الاجتماعات الخاصة ورؤساء الوفود، وكبار

موظفي الانكليز، نودي بالملك حسين بن علي خليفة المسلمين، وامير المؤمنين. فبايعه السوريون -

والفلسطينيون الذين كانوا هناك، ورؤساء عرب الاردن، والحجازيون الذين كانوا مع جلالته وفريق

من العراقيين. [illegible] بعد التصريحات

وفي غرة ذي القعدة من هذا العام، بعد ان عاد جلالة الملك حسين الى مكة وقد اضاف الى القابه

الكبيرة اللقب الثالث الاكبر، اي خليفة المسلمين، عُقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الامام عبد الرحمن

حضره العلماء، ورؤساء القبائل، والسلطان عبد العزيز. فافتتح حضرة الامام الجلسة قائلاً:

"قد جاءتني كتب عديدة من الاخوان وهم يبغون الحج. وقد ارسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا

عبد العزيز. وها هو امامكم فاسألوه عما يبدو لكم".

السلطان عبد العزيز: "وصلني كل ما كتبتموه واحطت علماً بكل ما شكوتموه. ان لكل شيء نهاية فلا تيأسوا

وان الامور مرهونة باوقاتها".

سلطان بن بجاد: "يا الامام "حنا نبغي الحج ولا نريد ان نصبر اكثر مما صبرنا على ترك ركن من

اركان الاسلام مع قدرتنا عليه. ليست مكة ملكاً لاحد، ولا يحق لاحد ان يمنع المسلمين او يصد

المؤمنين عن اداء فريضة الحج. نريد ان نحج يا عبد العزيز، فاذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة

وإذا كنتم ترون أن من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز فتخلص البيت الحرام
من أيدي الظالمين والمفسدين".

السلطان عبد العزيز: "ان مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علمائنا. وها هم حاضرون
فليتكلموا "ونحن لهم تابعون".

الشيخ سعد بن عتيق: "ان الحج من اركان الاسلام ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضى او بالقوة. ولكن من اصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد. فالامر الذي قد يؤدي الى الضرر او مفسدة يدفع (يؤجل من اجل الحج) فهل هناك مفسدة او مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة".

في الاعوام الخمسة الماضية كان السلطان يجيب على هذا السؤال بالايجاب فيمنع اهل نجد عن الحج خوف ان يحدث ما لا تحمد عقباه. وقد كان يعالج مشاكل نجد والحجاز بالطرق السلمية السياسية. اما في هذا الاجتماع فقد قال عظمته مخاطباً العلماء والاخوان:

"نحن لا نود ان نحارب من يسالمنا، ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا. ولكن شريف مكة كان دائماً كما تعلمون، يزرع بذور الشقاق بين عشائرنا. وهو الوارث من اسلافه بغضنا. ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز بالتي هي احسن. وكنت كلما دنوت من الحسين يتباعد، وكلما ملت له يتجافى. اي ورب الكعبة. ولست ارى في تطور الامور ما ينعش الامل. بل ارى الامور تزداد شدة وارتباكاً. ولا يخفى الاخطار في خطة لا تحترز حقوقنا ومصالحنا.

جوابي على سؤال العلماء اذن هو هذا:
ليس في المصالح او المفاسد ما يمنع الحج."

وقف السلطان عند هذه الكلمة، فهتف الجميع: توكلنا على الله! الى الحجاز! الى الحجاز!

~~الحج بإذن جلالة الملك في ذلك الوقت انما أجل من أجل الحرب~~
~~بعد الحج او العدة على ما ذكرته جريدة الأخبار وما تلته الجرائد~~
~~تحتاج~~

الفصل التاسع والثلاثون

(الثامن)

الاخوان على ابواب عمان

في الشهر الاول من هذا العام (آب ٩٢٤ م) مشت جيوش نجد غرباً من الجنوب
ومن الشمال . ولكن السلطان عبد العزيز ، لغرض حربي ، امر بغزو الشرقة العربية
قبل الزحف الى الحجاز . ولم تكن هذه الغزوة بدون اسباب تبررها .

١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤-٢٥ م

قد سلفنا البيان في ما كان بين حكومتي نجد وشرقي الاردن من النزاع بخصوص الجوف وقريات الملح . ولكن
جنود السلطان كانت قد احتلت تلك القرى . فما الداعي اذن الى تجاوزها الحدود - الى الغزو ؟
ان هنالك تعديات وتعويضات ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت . فقد اغار ولد عليان
بن حازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في طريقهم الى الشام . فقتلوا ثمانية من رجالها
ونهبوا ما يزيد على السبعمئة بعير .

وكانت قد تكررت الاغارات على اهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر - اولئك الذين كان الامير
عبدالله يقربهم منه ويجزل لهم العطاء - فبلغت المنهوبات ، بموجب اللائحة التي قدمت في المؤتمر ، الف جمل
واربعين رأساً من الخيل ، ما عدا الاحمال التي تقدر بثمانين الف ليرة عثمانية .
لذلك طلب السلطان عبد العزيز ان تغرّم قبيلة بني صخر بمئتي الف ليرة ضمانة بسلامة التجارة والتجار بين
نجد وسورية . وبما ان حكومة عمان لم تكترث لهذا الطلب عمد السلطان الى القوة . مشى الاخوان من
اطراف وادي سرحان ، وعددهم يتراوح بين الالفين والثلاثة آلاف ، فالتقوا في طريقهم بثلة من
جنود شرقي الاردن ، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون ، وهم سائرون الى قصر الازرق ،
يحملون المؤن والذخيرة الى الحامية فيه ، فذبحوهم الا واحداً وغنموا الحملة كلها . ثم تقدموا غرباً
فهجموا على الطنيب ، وام العمد ، والقسطل ، ويادوده ، وكادوا بعد ان اجتازوا قريبة منهم سكة الحديد
ان يصلوا الى العاصمة . وكان الامير عبدالله يومئذ متغيباً ، فصدرت اوامر الحكومة بالدفاع ، فبادر العربان
وفي مقدمتهم الصخور والحويطات ، الى محاربة اعدائهم ، فاشتبكوا واياهم في معركة دامية - دامت بضع ساعات .
وكان بيك باشا القائد الانكليزي للجند النظامي ، قد ارسل الطيارات والسيارات المدرعة على الاخوان ،
فحلقت الطيارات فوق العربان المتلاحمين ، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف . ~~[illegible]~~ ثمان السيارات اطلقت جزافاً عليها
مدافعها الرشاشة . ولا عجب فمن اين للانكليز ان يعرفوا النجدي من الاردني ، والعرب في النظافة قلما يفرقون
~~[illegible]~~ .

١٤٢

بعضهم من بعض . كلهم عرب ! اغمض عينيك يا ابن جان بول واضرب .

قبل مجيء الطيارات والسيارات كان قد وقع في ساحة القتال بحومة رجل من الفريقين . وعند تشتتهم كان عدد القتلى من الاخوان وعربان عمان قد تجاوز الاربعة . جاء في البلاغ الرسمي لحكومة شرقي الاردن ان المتدينين خسروا اكثر من خمسة من رجالهم والذين قتلوا من عربان المنطقة لا يتجاوزون الثلاثة .

ومن مضحكات هذه الغزوة ان بعض الاسرى من المتدينة كانوا يحملون علباً من التبغ الانكليزية الصنع فيها لحم مقدد . فقال اولئك الحكماء ، دهاقنة السياسة ، في الصحافة وفي الدواوين : وهل من ينكر بعد هذا ان الانكليز يساعدون ابن سعود ؟ هذا هو اللحم المقدد يا اكلة الاخوان .

وما هذه العلب غير قسم من تلك الحملة التي غنمها اهل نجد تلك الحملة التي كانت معدة لحامية الشرق العربي في قصر الازرق . نعم هو لحم مقدد من بلاد الانكليز . ولكن السيارات والطيارات الانكليزية امطرت الاخوان وعرب عمان على السواء وابلاً من القذائف والرصاص .

لولا هذه القوة الهائلة ، التي كانت تديرها الايدي الانكليزية ، لاكتسح النجديون الشرق العربي ، ورفعوا فوقه ربى عمان علم ابن سعود .

عندما عاد سمو الامير عبدالله الى عاصمته شكر الله وشكر ربة الجنود التي لا تزال تكلأ بعينها الزرقاء البيت الهاشمي .

اما سيد هذا البيت الاكبر جلالة الملك حسين فقد كان في قصره بمكة متوسداً وسادة الخلافة مطمئن البال ، واثقاً مما تضمره الايام ، وهو يدبج المقالات ويمليها لجريدة القبلة .

- اكتب يا ابني اكتب . نحن نشكر كمالات حكومة بريطانيا العظمى على ما اظهرته من الحمية في الشرق العربي ولكننا مع ذلك لا نتنازل عن حق من حقوقنا ... ان سورية جزء من البلاد العربية وان فلسطين للعرب . ولا نوقع معاهدة فيها ما ينفي هذا القول بهذا الحق .....

- اكتب يا ابني . انا اعرف البدو واعرف المتدينة ؟ تخبلة من مدفع تبددهم وطيارة واحدة تشتتهم

خيلة من مدفع تبدد جموعهم وتشتت شملهم والبرهان في الشرق العربي .....

وكان جلالته يومئذ يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الاوسط ايضاً ، فعين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً للحجاز في طهران .

الفصل التاسع والثلاثون

سقوط الطائف

—

يوم كان الملك حسين جالساً على فراش الملك والخلافة،
وهو يحلم بسيادة اعظم من السيادة العربية، بسيادة اسلامية
ن ملة، كان سلطان ابن بجاد الملقب بسلطان الدين
~~خالد~~ والشريف خالد بن منصور بن لؤي امير الخرمة زاحفين
الى الطائف بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة
عشر لواء(1) من ألوية الغطغط والخرمة وتربة
ورنية وعتيبة وقحطان وبني تميم على ان
هذا الجيش مع من انضم اليه بعدئذ من
عربان الحجاز واشرافه كالحرث وبني ثقيف،
لم يتجاوز الثلاثة الاف مقاتل.
مشى الاخوان من مركز الاجتماع في تربة،
ولم يعلم بهم احد في مكة او في الطائف قبل ان اجتازوا
الحدود. بل لم تعلم الحكومة بالهجوم قبل ان
وصلت راياتهم في اليوم الاول من صفر
١٣٤٣ (١ ستمبر ١٩٢٤) الى قرية ألفا
الحوية التي تبعد بمسافة اميال عنها (؟)

(1) اللواء او البيرق يتراوح عدده بين المئة والخمسمئة مقاتل.

استيقظت عندئذ الحكومة ، فاصدر ناظر الحربية
الهاشمية امير اللواء صبري باشا اوامره الى جنود النظام
بالدفاع ، فخرجوا من الطائف ، وهم نحو الستمئة ومعهم
بعض المدافع الجبلية والرشاشة ، خرجوا الى الحوية
يقصدون الاخوان ، فاشتبك بينهم وبين سرايا الجيش هناك
معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للاخوان .
تقهقر النظاميون الى جهة الطائف ، فانضم اليهم
جند من البدو ورابطوا معهم في الهضاب الغربية من
البلد الى الشمال والشمال الغربي منه . هناك وقفوا
ثانية لسرايا الجيش الزاحف ، وشرعوا يطلقون عليهم
المدافع ، فاستمروا في مناوشتهم ، دون ان يتمكنوا
من ردهم ، ثلاثة ايام . اضف الى ذلك ان قسمًا من البدو
الذين كانوا في المراكز الامامية انضموا الى الاخوان
وسلم الباقون .
عندما وصلت اخبار الهزيمة الاولى الى مكة امر جلالة
الملك ابنه عليًا بانجاد الجيش بالمدافع ، فجاء الامير علي
مسرعًا بسرية من الخيالة واخرى من الهجانة . اما النجدة
التي مشت في طريق السيل فلم تصل الا بعد سقوط الطائف .

في سبيل القضية الوطنية. اما ان الأسر والاقفت
تدرج عليكم منه الشقيات
او الجلاء الطويل الاجل كان غالبه قسعة وضغطا
سبق ابتد
والرخاء والحضارة محجا لا لعلجه كل العلم عنيكم وعند
جنبكم
الله. ولكنا نشعر ببشرى منه
جنبكم
بسلامتكم وبا لا يزال الاكسل عا
ازداد خيلا من القوى المعنوية.

وصل الامير يوم الخميس في ٦ صفر فدخل
الطائف ليلًا وخرج منها في عصر ذلك اليوم ليعسكر
في الهدى (1)

وكان الجيش النجدي يزداد عددًا وقوة،
فاضطر الجنود النظاميون ان يتقهقروا الى المدينة في صباح
يوم الجمعة - تقدم الاخوان . وقرب الظهر منا
ذلك النهار صار رصاصهم يقع داخل السور، فاستحوذ
الذعر والخوف على الاهالي، وكان الاشراف في مقدمة
الهاربين .

فقد خرج في اصيل يوم الجمعة امير الطائف الشريف شرف
عدنان ووزير الحربية وجنوده النظاميون وسائر الامراء
والموظفين . فرجال المدينة عندما رأوا كما قيل
انه خير لسلامتها ولسهولة استردادها ان
يلحقوا بالامير علي .

وبعد خروج الاشراف والجيش بساعة او ساعتين،
في غسق ذلك اليوم، اليوم السابع من صفر (٧ سبتمبر)
دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف، وهم يكبرون
ويعتزون

(1) الهدى هي على اربع ساعات عن الطائف شرقًا.

ويعتزون، ويطلقون بنادقهم في الفضاء. ثم يطفقوا
يطلقونها في الأسواق، وهم يطوفون في المدينة، فيقتلوا
عدداً من الأبرياء الذين لم يبارحوا منازل
غيرهم من الأهالي الذين ظلوا مستأمنين.
وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب
الحجاز، من الطورق والنمور والبقوم وغيرهم،
ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو، والسود،
الحبشة، رواد السلب والنهب. فاختلطت
هذه الجموع في ظلمات الليل، وكانت ساعة
الهول والفجيعة. راح العربان والإخوان
يطرقون الأبواب، يكسرونها، فيدخلون البيوت،
إما قهراً وإما بعد أن يؤمنوا أصحابها،
ثم يعملون فيها أيدي السلب.
وكانوا يقتلون في سبيل السلب. (١)

---

(١) كان لهذا الحادث ألم في نفس السلطان عبد العزيز
فأمر بعدئذ بتأليف لجنة لتقدير الخسائر والتعويضات على
من الأهالي المنكوبين، وفيهم الهنود والجاويين.
وقد دفع نحو عشرة آلاف ليرة من التعويضات حتى الآن
ولا تزال اللجنة تواصل عملها.

تبعد بضعة اميال عن الطائف .

استيقظت عندئذ الحكومة ، فأصدر ناظر الحربية

الهاشمية امير اللواء صبري باشا اوامره الى جنود النظام

بالدفاع ، فخرجوا من الطائف ، وهم لا يتجاوزون الالف ومئة ،

ومعهم ~~جند من البدو~~ بعض المدافع الجبلية والرشاشة

~~وجند من البدو~~ ، زحفوا الى الحوية بدون

الاخوان ، فاشتبك بينهم وبين سرايا الجيش هناك

معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها

للاخوان ، ~~فانضم اليهم قسم من البدو وهم الباقون .~~

فتقهقر النظاميون الى جهة الطائف

~~لما النظاميون فتقهقروا~~

فانضم اليهم جند من البدو الهضاب القريبة من المدينة الى الشمال

ورابطوا معهم في ووقفوا ثانية لسرايا

الشمال الغربي منها هناك . المدفع عليهم فاستمروا

الجيش الزاحف ، وشرعوا يطلقون

في قتال مستمر دون ان يتمكنوا من ردهم ثلاثة ايام .

~~وهناك~~ ضاق استولى الاخوان على المراكز الامامية

التي كانت تحمي البدو فانهزم ابن قسم منهم وسلم الباقون

~~وهنا انهارت~~ احجاره

عندها وصلت اخبار الهزيمة الاولى الى مكة

~~احمد~~

الفصل ~~[illegible]~~ والاربعون

يوم الانقلاب

في الاسبوع الذي تلا وقعة الهدى وتقدم اليوم الاخير - يوم الانقلاب - كان جلالة الحسين لا يزال يضرم في ديوانه، وفي حكومته، وفي حاشية قصره، وفي نفسه جذوة نار الشجاعة والامل. وكان لا يزال يظن انه يستطيع ان ~~يرد~~ (يخرج) المستدينة وابن سعود ~~[illegible]~~ (من الطائف بل منه) ~~[illegible]~~.

~~[illegible]~~ ابن سعود يا ابي من الدرجة ~~الرابعة~~ (الخامسة) بين امراء العرب، ~~[illegible]~~ (وقد طالما قال ان)

ولكن احد رجال الديوان الهاشمي، وقد غشته الشجاعة في الساعة ~~[illegible]~~ (الاخيرة)، قال مخاطباً مولاه: "ومعنى الدرجة ~~الرابعة~~ (الخامسة) يا مولانا هو ان ابن سعود صاعد الينا ولم يبق بينه وبيننا غير ~~اربع~~ (خمس) درجات".

~~اربع~~ (خمس) درجات، او ~~اربع~~ (خمس) ساعات، او ~~اربعة~~ (خمسة) ايام ~~الى~~ (الى) النجدة واحدة. فقد جاء يوم الحجاز وهو المقدمة ليوم ابن سعود - جاء بعد اسبوع من وقعة الهدى، وباسم الامة، اذ اجتمع اعيانها في جده، ومنهم من وفدوا من الطائف ومكة، من تجار وعلماء واشراف، فارسلوا الى الحسين في اليوم الرابع من ربيع الاول (٢ اكتوبر) البرقية الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم:

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة:

بما ان الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في الفوضى العامة، بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لطارئة قريبة ساحقة، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعني امره جميع المسلمين، لذلك قررت الامة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الامير علي[1] ملكاً على الحجاز فقط، مقيداً بدستور ومجلسيه وطنيين الخ. والله الموفق لما فيه الصلاح.

امضى هذه البرقية التي ارسلت بعد الظهر ثلاثة واربعون حجازياً من الاعيان والعلماء والتجار، فجاءهم في المساء هذا الجواب:

ادارة برقيات الحكومة الهاشمية. في ٤ ربيع اول ١٣٤٣ بواسطة قائمقام جده الحالي الموقره.

مع الممنونية والشكر. وهذا اساس رغبتنا التي اصرح بها منذ النهضة والتاريخ. وقد صرحت قبله ببضع

(1) كان الامير يومئذ في جده.

ز. قاتق

وسائله اني مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عينتم ذات اخرى غير علي . واني منتظر هذا بكل سرعة

وارتياح . الامضاء : حسين

لم يرضى المجلس بهذا الجواب . فعمد الى ~~التلفون~~ الهاتف وأناب احد اعضائه ليكلم الملك ، فرفضه جلالته

الكلام . - انت من رجال حكومتي فليكلمني غيرك . ورفضه كذلك ان يكلم الثاني . ثم تناول الشيخ طاهر

الدباغ الهاتف فكان مسموعاً .

الدباغ : مولاي ، بناء على المركز الحرج الذي وصلت اليه البلاد ، قررت الامة طلب تنازل جلالتكم

لسمو الامير علي -

الملك : (مقاطعاً) انا واني واحد . واذا كنت انا قصرت عندكم " بطال " فلا بأس . ولكني

لا افهم ما المقصد من هذا . لا يهمني امر الملك في اي شخص كان . ولكني لا اتنازل لولدي علي ابداً .

لاني اذا كنت انا " بطال " فولدي " بطال " .

الدباغ : كلا يا مولاي . لا ننسب لجلالتكم شيئاً من ذلك . وانما نريد ان نسلك سياسة غير

السياسة التي سرتم عليها ، عسى ان نتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج . والامة قد أجمعت على طلب

ذلك من جلالتكم ، ونرجو اجابة رغبتها .

الملك : يا ابني لكم ان تفعلوا ما تشاؤوا . اما انا فلا اتنازل لولدي علي ابداً . عندكم الشريف علي

امير مكة السابق ، او اخي ناصر ، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي ، وعندكم الاشراف كثيرون اختاروا اي

واحد تشاؤون ، وانا مستعد للتنازل له . اما ولدي فلا يمكن لاني انا وهو شيء واحد . جزءه وشره

عائدان لي .

الدباغ : قد اجمعت الامة يا مولاي على اختيار الامير علي ولا ترغب .

الملك : لا يمكن ان اتنازل لولدي . اقول لا يمكن قطعاً .

الدباغ : سأخبر الرهية ثم نعلم جلالتكم .

مما هو جدير بالذكر ان هذه الرهية " الشرقية " التي التأمت طيلة ذلك النهار والليل ، كانت في مناقشاتها

واعمالها - واجماع رأيها - غير شرقية - بل كانت في سرعة تقاريرها ومضاء عزمها من أعجب

ما دوّن في تاريخ الشرق والشرقيين . حتى انها اقفلت ابواب سور المدينة اثناء هذه المفاوضات

بعد المحادثة ~~التلفونية~~ بالهاتف أرسلت البرقية التالية وفيها البلاغ النهائي ، وفيها التهديد ليتنحى الامير علي في جدة ويقبل البيعة :

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة - الحالة حرجة جداً ، وليس الوقت وقت مفاوضات . اذا كنتم

لا تتنازلون

لا تتنازلون للامير علي فنسترحم بلسان الانسانية ان تتنازلوا جلالتكم لتتمكن الامة من تشكيل حكومة موقتة . واذا تأخرتم عن اجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم .

والظاهر ان صاحب الجلالة اعاد النظر في الامر فتحول عن فكرته الاولى بعد حديث الهاتف . وان البرقية الاخيرة جاءت بالنتيجة المطلوبة ~~مكة~~

مكة في ٤ ربيع اول الساعة الرابعة (١٠ ليلاً)

لا بأس . قد قبلنا التنازل بكل ارتياح، اذ ليس لنا رغبة الا في سكينة البلاد وراحتها وسعادتها . فالان عينوا لنا مأمورين هنا يستلمون البلاد بكل سرعة، ونحن نتوجه في الحال . اذا تأخرتم ووقع حادث فانتم المسؤولون . والاشراف عندكم كثيرون (١) ارسلوا واحداً منهم او من سواهم . وعلاوة على هذا اذا قبل منكم علي الامر عينوه رأساً .

الامضاء : حسين

وفي اليوم التالي ارسل برقية اخرى الى الهيئة الموقرة " بواسطة قائمقام جده "، اشد لهجة من الاخيرة ، فيها يكرر انه مصمم على الاعتزال، ويطلب تعيين من يستلم البلاد بكل سرعة . " فان الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي اشعاركم رغبة تنازلي . واني لا اقبل اية مسؤولية تقع اذا لم تسرعوا التسلم في تعيين من يتولى الامر، لاتوجه في الحال الى الجهة التي يختارها الباري عن طريق جده . وهذا ليس هرباً من اي شيء تتصورونه بل دفعاً للظنون والشبهات ".

اما الهيئة فقد اسرعت في العمل كما يظهر من تاريخ الجواب ونصه .

في ٥ ربيع اول .

صاحب الشرف الاسمى الشريف حسين المعظم .

جواب برقيتكم رقم ٧١ - بحمد الله ومساعي مولاي قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم، وقد فاوضنا جلالته من يوم في استلام البلاد وادارة شؤونها . فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهدئة للاحوال .

عن الرئيس
محمد طاهر الدباغ

وكانت الهيئة قد كتبت الى الامير علي تقول :

بناءً على طلب الامة قد تنازل جلالة والدكم، بموجب برقية رقم ٦٩ المؤرخة في ٤ ربيع اول، وقررت الامة نهائياً البيعة لجلالتكم ملكاً دستورياً على الحجاز فقط ... وان يكون للبلاد مجلس نيابي وطني، وقانون اساسي، تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الامم المتمدنة . . الوقت يضيق الان دون تأسيس المجلس الوطني

(١) كانوا قد رحلوا من مكة كما رحلوا سابقاً من الطائف .

النيابي، فقد قررت الامة ان تشكل هيئة موقتة لمراقبة اعمال الحكومة ... وانا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله.

في اليوم الثاني للبيعة رجع الملك علي الى مكة. وبعد بضعة ايام، في ليلة اليوم العاشر من هذا الشهر (٩ اكتوبر) وصلت الى جده القافلة الحاملة امتعة الحسين، وفيها عشرون جملاً تحمل اربعين صفيحة من صفائح البترول مملوءة ذهباً. وقد قدّر هذه الاحمال احد العاملين بالتخزين بمئة وستين الف ليرة.

اقام الحسين ستة ايام في جده، وكان يرفض ان يقابل احداً من الناس، فاثمرت هذه العزلة بلاغاً ارسل الى «فخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية» وفيه يحتج على الحكومة الدستورية، وبعد دعاوي ابن سعود ومطامع الامام يحيى بن حميد الدين.

قال الشريف: «اما الحكومة الدستورية، سيما في الحرمين الشريفين، فالعمل فيها ينبذ احكام كتاب الله وسنة رسوله. ان العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية لمما تاباه شعائر الاسلام، وفرائضه الدينية، والاخلاق الشريفة مادة ومعنى ...».

وقد قال محتجاً على حصر سلطة الحجاز بالحجاز: «لو لم يكن من قصد التحديد الا تأملنا في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حائل، قاعدة امارة الرشيد، والجوف مقر الشعلان، وتشبثه في ضبط الكويت، وتعرضه في عسير لامارة آل عائض؛ بل تجاوزه على مكة المكرمة، ومساعي امام صنعاء لضم بلاد حاشد، وتهامة الشوافع، وحضرة الادريسي على الحديده وما حولها» ... وهاهنا قطع على عادته جواب الشرط. ثم قال:

«وعليه لعزوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي اولاً على تحديد نفوذ الحجاز، وثانياً على ما فيه ابدال العمل بكتاب الله ولذا فاني احفظ حقوق اعتراضي وانظاري بالمادة والمعنى لكلما ذكر»

حرر في ١٥ ربيع اول ١٣٤٢

وفي ليلة اليوم الثاني نزل وحرمه وعبيده الى البحر، فركبوا الرقمتين التي اقلتهم الى العقبة. ولم يسمح الشريف لغير السيد احمد السقاف رئيس ديوانه السابق والشيخ محمد الطويل ناظر الجمارك بمرافقته للوداع.

قال احد الذين اشتروا هذه اليخت لحكومة الحجاز: «عندما وصلنا الى جده نزل جلالة الملك ليفحص اليخت (الذي سماه بعدئذ الرقمتين) فقال معجباً به: «سنسافر فيه يوماً من الايام سفرة بعيدة».

سفرة بعيدة! اذا كان البعد في الاسفار يقاس بمدة الرجوع فهذه السفرة الاخيرة من الحجاز هي التي نظر اليها الشريف حسين بعين الغيب.

الحادي

الفصل الثاني والاربعون

الشريف حسين

ان لسقوط الشريف حسين اسباباً سياسية وادارية وخلقية. اما السياسية فاهم ما فيها اغضابه الانكليز في رفضه امضاء المعاهدة الانكليزية الحجازية التي استمرت المفاوضات بشأنها ثلاث سنوات. ثم اغضابه امراء العرب، وفي مقدمتهم ابن سعود، لانه في سياسته العربية كان يظهر غير ما يبطنه. فيقول مثلاً انه مستعد للتنازل عن عرشه وتسليم زمام الامور لمن يستطيع ان ينهض بالعرب، وهو في اعماله ضد ما في اقواله. بل لم يكن يرى في امراء العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة او الرابعة. ولم يكن يرى في كل البلاد منقذاً سواه. وفي هذا التاريخ من الادلة على ذلك ما يقنع اشد الهاشميين نزعة واخلاصاً.

لنعد اذن الى تلك المعاهدة المشؤومة. لم يغضب الانكليز على الحسين بن علي الحجاز للغاية في النفوس كما كان يظن بعض السياسيين في الشام وفي مصر والهند. اما موقف الحكومة البريطانية بعد مؤتمر الكويت فلم يكن سوى نتيجة منطقية لسياستها العربية خلال الحرب العظمى وبعدها. ولم يكن في وسعها ان تتحول عنه. ومع ذلك فقد قال بعض السياسيين هناك، وقالت جريدة التيمس الرسمية، ان الحكومة البريطانية احسنت صنعاً بالوقوف موقف المتفرج بعد ان رفض الحسين ان يوقع على اقتراحاتها. فلو فعل ذلك لكان في الامكان ايجاد الوسائل اللازمة لتجنب الحالة الحاضرة، اي لانقاذ الحسين.

وقد فاتهم ان يوم الطائف هو غير يوم تربة، وانه بعد مؤتمر العقير الذي تحدد فيه الحساب بين حكومة بريطانيا العظمى وابن سعود، وبعد مؤتمر الكويت الذي بدا فيه عجزها عن التأليف بين ابن سعود والحسين، لم يعد لكلمتها في البلاط السعودي ذلك النفوذ المعروف. لم يعد في امكانها ان تقول لعاهل نجد: افعل هذا او امتنع عن هذا اكراماً لي. وليس في امكانها، او في ارادتها، ان ترسل الطيارات والسيارات المصفحة على الاخوان في الحجاز، كما فعلت في العراق، وكما فعلت في الشرق العربي. وهب انها امدت الحسين بالسلاح والذخيرة فهو لا يجد في البلاد من يلبون دعوته للدفاع.

واليك بعد هذا وذاك البرهان القاطع. قد قبل الحسين في الساعة الاخيرة، اي في الايام التي تخللت الاستيلاء على الطائف ووقعة الهدى، ان يفاوض الحكومة البريطانية في تعديل مطالبه، فجاء وفد من مكة الى دار الوكالة البريطانية بجدة يعرض ذلك على الوكيل، وعاد خائب الامل يقول: سبق السيف العذل. هذه هي الحقيقة

والناصرة

الناصعة في موقف بريطانيا العظمى تجاه الحسين ونجاه الحجاز بعده. فهي لو شاءت ان تنقذ «المنقذ الاكبر» بعد سقوط الطائف لما استطاعت. فاتخذت لذلك خطة الحياد تحفظ بها كرامتها في عهد الملك علي القصير.

نحن بعد هذا على ذكر اسباب السقوط الخلقية والادارية. فقد كان الشريف حسين الكل في الكل، حتى في الصحافة (تحرير جريدة القبلة) وكان في الوهم والعناد. فقد كان يظن ان مقالاته الافتتاحية تترجم الى اللغات الاوربية فيطالعها ويهتم بها الوزراء ودهاقنة السياسة هناك، وان اراءه في سياسة العالم وسياسة الحياة، من اصغر الجزئيات الى اكبر النظريات، هي وحي منزل، وان تفسيره لبعض آيات القرآن هو اصح من تفاسير الائمة الكبار كلهم اجمعين، وانه في الفصاحة والبيان، مثله في العلم، امير اقرانه وفريد زمانه، وانه اذا استصرخ العرب يجيئونه من اقاصي الجزيرة سامعين لامعين، وانه يستطيع، وهو في «المخلوان» ان ينقذ البلاد ويؤسس الدولة العربية. بل كان يظن ان العالم الاسلامي باجمعه يبسم لابتسامه، ويغضب لغضبه، وان الذين يخدمونه يخدمون العرب والاسلام، ولا يبغون اجراً غير رضاه. على ان الذنب في كل ذلك لم يكن ذنبه وحده. كان الحسين صلب العود، قوي الشكيمة. وقد ولد في ظل الكعبة، وفي اعرق فروع السلالة النبوية. ولكن غيره ممن سعدوا بهذه الثلاث كانوا معها حكماء، او انهم في حياتهم سعدوا كذلك بمن يخلص لهم النصيحة، وكانوا يسمعون وينتفعون.

اما الحسين فقد كان في عنجهيته فريداً، لا يسمع غير صوت نفسه وصداها، ولا يقرب منه الا من كان صدى لصداه، وصورة شمسية لما يبغيه ولما يأباه.

ان التبعة والحال هذه في جزء كبير من غرور الحسين هي على اولئك الذين كانوا وكلاء ونظار وقضاة وكتاب في حكومته، اولئك الذين زانوا الديوان الهاشمي[1] بصورهم البهية - الناطقة بالتسبيح - فكانوا لصاحب الجلالة اعداء، مدرعين بالمداهنة والمداجاة، يسبحون ويمجدون ويطيعون كل ما فاه بكلمة، مهما كانت تافهة، وكل ما جاء يعمل مهما كان سخيفاً اي نعم سيدي - من احسن ما يكون سيدي اشهد سيدي. وحي منزل سيدي. سيدي!

وكان كل من كان في الديوان و«المخلوان» يعرف الحقيقة، الا جلالة الملك الذي كان يعرف ما فوق الحقيقة، ولا يشاء ان يعرف سواها. ادرك الديوان مثلاً حقيقة البدو، ولم يدرك مثل جلالته حقيقة السيادة المرتكزة على نسب نبوي. وما ضر هذه السيادة اذا نكبت وقتياً في الحجاز؟

وقد اجتمعت في الحسين الاضداد، فكان خيالياً، وكان عملياً، بل كان مالياً، يتعشق تارة ما فوق الحقيقة، يسترسل الى الاوهام، وطوراً يمسك تمسك البخيل بحطام الدنيا. اجل قد كان محباً للمال حريصاً

(1) ديوان الملك الخاص

١٥٢

جداً عليه، فجاء الذهب بوزن ما تركه من اوهامه، وما فقده من احلامه، وما اكده من ايامه،

ولا غرو، فقد كان هذا العزبي

~~موجب، وقد كان لحسين~~، في صفته شريف مكة، من اكبر التجار. وقد كان في صفته ملكاً من اكبر الظالمين:

ظلم الرعية، وظلم نفسه، وظلم كل من في حكومته المنافقين، المختلسين اموال واموال الامة.

في اللغة التركية مثل يقول: كل من له فم يأكل. وقد كان هذا المثل قاعدة الملك حسين في حكومته. ان الذي

"يأكل" يشبع، فيحسن عمله. والذي "لا يأكل" يظل جائعاً. والجائع لا يستطيع ان يفيد احداً من الناس. انها

لقاعدة في الاحكام مدهشة حتى "فسكيا فيلي"، امام المتفلسفين بالسياسة والرياء.

ان الرجل الصادق رجل مزعج، فهو يقترح اقتراحات لا ارتياح اليها الملوك، ولا يسهل الاعمال في كل

حال، ولا يقول دائماً: اي نعم سيدي. بعداً للصادقين، فانهم للملوك داء مزعج جداً. وهم

فوق ذلك يورثون صاحب الجلالة الصداع.

اما الذين يتكتمون، ويطأطئون الرؤوس، ويقولون دائماً:

اي نعم سيدي، و"يأكلون" ثم "يأكلون" - على شرط ان يكون اكلهم من فضلات الاسد - فهؤلاء

من خير الناس، ومن اقدر الموظفين، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قد امتازت حكومة الحسين بعدد من هؤلاء "الاكولين" الذين خرجوا من جده قبل خروجه وبعده

وفي حقائبهم، او في المصارف خارج الحجاز، ما اعدوه من الابيض والاصفر للايام السود.

ومن هؤلاء عبقري في الاختلاس ارسله الحسين الى اوروبة، عندما قرب المتدينة في مكة، ومعه عشرة آلاف

ليرة ليشتري بها طيارات ودبابات. فراح حضرته الى مصر واشترى بالغنيمة لنفسه عقارات.

ومن هؤلاء حامل ختم الوكالة التجارية، وتاجر الغنم، وقيم المطوفين، وسماسرة الجمال والشقادف.

وكان تاجر الغنم رجلاً في مكة محترماً معززاً. ولكنه في البادية ملعوناً مذموماً. فقد كان يرهبه البدو

ليغني السيد الاكبر، ويريش نفسه. يشتري من البدو اغنامهم بارخص الاثمان ويبيعها من الحجاج باغلاها.

- الف رأس بثلاثة آلاف مجيدي. بعناها اليوم يا مولانا بعشرة آلاف. فهذه ثلاثة آلاف لاصحاب

المال، وهذا يا مولانا الباقي.

ومن هذا الباقي يأخذ الاسد خمسة آلاف او اكثر، ويعطي الجمل الالفين او اقل. ان امر هذا الجمل لغريب عجيب.

فقد كان ~~وقد كان هذا الرجل~~ في رأس المقربين من الديوان الهاشمي لانه ~~كان عبقرياً~~ بتجارة الغنم و"بالاكل"

العبقرية

الا ان ~~...~~ الملك باخبار السوء عن نجد وابن سعود، التي كان يحب الملك سماعها.

لتغنيه

فوق

التينة

السنة

- سنة جدب في نجد . وقد جفت الآبار ، وهلك الوف من البل (الابل)

- صحيح ؟ سبحان الله . انت يا ابني اعلم الناس باحوال نجد ، بارك الله فيك .

- ابن سعود « مسخنة » سيدي ، مضروب بالرئة . يقولون : السل . وهذا الداء لا يعيش به صاحبه .

- صحيح ؟ - صحيح - ؟ سبحان الله ! لا يصدق لخبر غيرك .

- وقد خرجت عليه قبائل لما ، وهم يقولون انهم لا يحبون غير الملك حسين .

- : هذا الذي اقوله دائماً يا ابني . ستخرج عليه القبائل كلها . وكلها تجيئنا ان شاء الله .

ولم تكن تجارة الغنم تجارة الشريف الوحيدة . فقد كان يتقاضى المطوفين والخبازين والجمالة قسماً من ارباحهم . ان هناك رسوماً للحكومة يدفعها الحجاج . وفوق تلك الرسوم كان الحسين يتقاضى المطوفين نصف ليرة عن كل حاج . جاءه احد اولئك المطوفين ذات يوم يقول : « حجاجي كلهم فقراء لا يبذلون .. . ما في فلوس » وقصد المطوف ان يُعفى من الضريبة الشريفية .

فاجابه الشريف : « اي يا ابني . كلهم اولادنا . والفقراء نساعدهم . لا نأخذ شيئاً منهم . ولا نطالبهم بشيء . كلهم اولادنا ويجب ان نساعدهم » .

عمل المطوف بامر مولاه فعفا حجاجه من الزيادات . ولكنه بعد الحج أُمر بدفع الرسم نصف ليرة عن كل حاج فدفع المال من كيسه .

وهناك باب آخر من ابواب هذه التجارة العجيبة . فقد كان الحجاج الذين يستطيعون الزيارة يدفعون خمس عشرة ليرة اجرة الجمل من مكة الى المدينة المنورة ، يدفعونها لجمال الملك ، فيدفع جلالته للجمال خمس ليرات فقط وما تبقى يحفظه للابد ويسيره للاحتفال .

كثيرة هي القصص التي تروى في الحجاز ، دليل حب الحسين للمال وحرصه الشديد عليه . سألت مرة احد عبيد القصر عن الاجرة التي يتناولها فقال : قلما نقبض شيئاً من المال . ونخشى ان نطلب لان جلالة الملك لا يحب الطلب ، ويوبخنا . قد ردني مرة بلطف ونصحني الا احمل المال هو يقول : المال يفسد الرجال ...

... الحسين ؟ هذا الحسين !! .

وافصح العبد عن فكره بقبضة يده . ثم قال : « ولكنه صاحب عقل والله . عقل كبير . هو كتب في الجريدة اشياء عجيبة .. وكلها من رأسه والله . هو من الدواهي وصاحب فراسة . لا يمكنك ان تخفي شيئاً عنه يلقي عليك نظرة ، فتعطيه سرك حالاً . واذا ما اخذت شيئاً من مالك ، يستطيع اخذه عنك والله ! ولكنه -

اعاد العبد تلك الاشارة وهو يهز قبضة يده » ومع ذلك هو يقول: «المال يفسد الرجال».

واني خاتم هذا الفصل بقصة اخرى قصها علي احد عماله. مما هو معروف ان الحكومة البريطانية كانت في الحرب العظمى تمد الحسين بالمال، ويرجح العالمون بشؤون الحجاز والثورة العربية ان مجمل ما ارسلته اليه هو مليون ومئتا الف ليرة. ولكن الدفعات الاولى التي كانت الواحدة منها تبلغ مئة وخمسة وعشرين الف ليرة، لم تكن حسب ادعائه كافية للتجنيد. فاوفد احد وزرائه الى مصر ليقابل العميد البريطاني هناك يومئذ السر رجنيلد ونغيت، فيعلمه بالامر ويطلب ضعف القيمة.

جاء الوزير، وكان في طلبه لبقاً. فابرقه العميد الى الحكومة بلندن فسمعت للحكومة، واجابت بعض الطلب فاضافت خمسة وسبعين الف ليرة الى القيمة التي كانت ترسل الى جدة.

ابرق الوزير الى صاحب الجلالة الهاشمية، وهو مسرور بهذا "الفوز" لانه كان يرجو منه زيادة راتبه القليل. وبعد ايام عاد الى جدة على ظهر مدرعة انكليزية. يا لها من ابهة، ابهة الحرب!

وعندما وصل الى جدة استقبلته الحكومة استقبالاً فخماً، وسار في موكب عظيم الى مكة. على انه لم يصلها قبل غروب الشمس، فامره صاحب الجلالة ان يبقى خارج البلد لتستقبله الحكومة في صباح اليوم التالي استقبالاً يليق بمقامه.

وكان صاحب الاقبال الوزير المحترم يفكر دائماً بما ستكون قسمته من الخمسة والسبعين الف ليرة. واحد بالمئة فقط؟ انه لراض بذلك.

دخل مكة دخول الفاتحين. وبعد ان قابل مولاه واستراح من اتعاب السفر، جاء الى زميله وزير المالية يسأله اذا كان جلالة الملك امر بشيء. فاجابه

الوزير: «قد امر بان تخصم من حسابك راتب شهر بمدة غيابك».

تاريخ نجد الحديث

الفصل الثاني والأربعون -
الفصل السابع والأربعون

١٥٥ - ١٨٢

الفصل ~~الثالث~~ الثاني والاربعون

الآباء يأكلون الحصرم

في الحديث الذي دار على الهاتف بين مكة وجدة يوم الانقلاب رفض الملك حسين بتاتاً ان يتنازل لابنه علي. ويذكر القارئ قوله: اذا كنت انا لا انفع فعلي لا ينفع. وقوله: خيرابي وشره عائدان لي.

~~[illegible]~~

~~وقد صرح مراراً بان السياسة التي اتبعها في الماضي هي [illegible]~~ والاصح ان تعكس هذه الكلمة

~~هي [illegible]~~ فان خير الحسين وشره عائدان لابنائه، وخصوصاً في هذا الموقف لعلي. الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون.

اما اذا كان قد شفع الوالد على ولده من هذا الارث المهلك الذي بدعم الملك الهاشمي فكلمة ثمرة عرفان يجار يكون وحياً، واشفاق ثمرة احسان طيبة. ~~[illegible]~~ انها في هذه الحال الغريزة الابوية التي قلما تخطأ في حسها.

اقام الملك علي اسبوعاً في مكة، فادرك ان قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد ناهيك بغلبته. بل اي جنوده مشتتين شاردين، ولم يبق منهم غير مئتين كانوا في الدفاع مترددين.

وكان الاخوان قد وصلوا في ١٥ ربيع الاول (٤ اكتوبر) الى القرية الزيمة التي تبعد ست ساعات عن مكة، وهم مصممون على الحصار.(١) فانسحب الملك علي ليلة ذاك اليوم ~~ومعه~~ بنحو مئتين من الجنود ومئتين من الشرطة، ووصلوا في صباح اليوم التالي، الاربعاء الى ساحل جدة، يوم كان الشريف حسين يتأهب للرحيل. ولكن علياً ظل خارج المدينة فلم يجتمع بوالده، ولا كان من المودعين.

١٣٤٢ هـ
١٩٢٤ - ٢٥ م

وفي ليلة اليوم الذي دخل فيه الى جدة، اي في ١٧ ربيع الاول وصلت شرذمة من الجيش النجدي الى مكة. ثم ~~جاءها~~ مشى في صباح اليوم التالي الشريف خالد يقود بقية الجنود، فدخلوها محرمين، وطافوا، وسعوا، واستولوا بعد فك الاحرام على البلد المقدس، وهم ينادون اهله أنْ: الامان الامان!

واستمرت القيادة في الزحف يومئذ غرباً لدخلت جدة بسرية واحدة صغيرة دون ان تلقى من الحكومة – التي كانت المجهولة طبعاً في جدة – فيها او من الاهالي اقل مقاومة. ولكنها وقفت في مكة عملاً بالاوامر العالية لذلك استحوذ على الناس وعلى الحكومة الذعر والخوف، وكان الكثيرون حتى من الجنود ينتظرون الباخرة الاولى للفرار.

وكانت الباخرة الاولى التي وصلت في ١٩ ربيع الاول من العقبة تحمل الى الملك علي نجدة من شرقي الاردن. جاءت

~~ومن اخبار الاستاذ [illegible] الغنيم وتوسل اهل المدينة عن ايام زيارة الشريف على قبر [illegible] بالعجب [illegible]~~

(١) قد استفتت القيادة علماء الرياض في ان يحرم الجنود ويدخلوا مكة فاتحين البنادق. فان لاقوا احداً صدهم عن البيت قاتلوه، وان لم يلقوا احداً دخلوا. ولكن العلماء منعوهم عن ذلك قائلين ان دخول الحرم بقصد القتال فيه لا يجوز.

«حوى»، تقل كتيبة من الجنود عددهم ثلاثمئة، ومئة من عرب شمر النازحين الى الشرق العربي، بقيادة الامير اللواء تحسين باشا الفقير. وقد جندهم الامير عبدالله بمساعدة بعض الانصار في فلسطين. انتشت هذه النجدة آمال الملك علي، وشدت ازر جنوده المهزومين. ولكنها لم تفد في نفسية المدينة ولا اضرمت في الاهالي شيئاً من الحماس.

- الاخوان جاءون، والجنود منهزمون، وعلى قاب من الرحيل. فما لنا اذن غير التسليم وخير البر عاجله.

تألف وفد ليذهب الى مكة فيفاوض الفاتحين سلطاناً وخالداً في شروط الصلح، وكان الملك علي عالماً بذلك. فسافر في بين الثاني الوفد المؤلف من عشرة من وجهاء جدة وبعضهم من المنادين ليبت الحسين بايعوا ابن سعود «دينوا». ثم عاد الوفد يحمل شروط الصلح وهي:

خلع الملك علي واخراجه من البلاد، او اجباره على الخروج من المدينة للحرب. [لم يكن شيء من ذلك.]

ولكن القيادة النجدية انتفضت ولا ريب بمجيء هذا الوفد، فعلمت اشياء كانت تجهلها.

ومما لا ريب فيه ان جلالة الملك كان شديد الرغبة في مصالحة ابن سعود وموالاته. فقد ارسل بعيد ان بويع على الملك برقية عن طريق البحرين الى السلطان عبدالعزيز جاء فيها:

«ان اقصى رغبتي ان يسود السلام في الجزيرة، وان تعود السكينة ما بين نجد والحجاز. واني باسط لك رأيي في السلم، ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجوع الى اتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ولازالة بواعث الخلاف».

وقد اشترط في عقد المؤتمر جلاء الجنود النجدية عن الحجاز، فاجابه السلطان بالايجاز:

«ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام ابناء ابيكم يتوارثون الملك في الحجاز. وانتم تعلمون ان الحجاز للعالم الاسلامي، فلا ميزة فيه لطائفة من المسلمين على طائفة اخرى».

وكان الحزب الوطني الحجازي برئاسة الشيخ محمد الطويل، ناظر المالية والجمارك يومئذ، قد صدر بلاغاً عاماً ينبئ بخلع الحسين، وبيعة الملك علي على ان يكون ملك الحجاز فقط، وابرق الى جمعية الخلافة في الهند يقول:

«قد ارسل الحجازيون كتاباً رسمياً الى الامام ابن سعود وطلبوا منه ان يرسل مندوباً لعقد الصلح. ان الحجازيين بعد نشرهم هذا الاعلان العام يلقون تبعة ما يحدث على عاتق العالم الاسلامي، اذا كان لا يسعى لتخليص الارض المقدسة واهلها، ويمنع جند نجد من التقدم».

اما العالم الاسلامي الذي كانت تمثله يومئذ لجنة الخلافة، حسب ادعائها، فقد ابرق باسم تلك الجمعية بل باسم رئيسها شوكت علي، الى السلطان بنجد يخبره ببرقية اهل الحجاز وبلاغهم ثم يقول:

«ان مسلمي الهند لا يوافقون على بقاء الشريف حسين ولا ابنائه في الحجاز. وان حكومة الحجاز يجب ان تكون

١٥٧

– حكومة ديمقراطية حرة، خاضعة للرأي الاسلامي العام، وان جمعية الخلافة لا تعترف بامارة الشريف علي".

ولكن المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ~~لم يكن من رأي العالم الاسلامي الهندي فقد ابرق الى~~ الذي كان قد ابرق الى السلطان عبد العزيز متوسطاً بالسلم بينه وبين الملك ~~علي~~ حسين، ~~فجاءه الجواب الآتي:~~ لم يكن من رأي العالم الاسلامي". وقد ارسل السلطان الى سماحة المفتي رئيسه الجواب الآتي:

امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس.

يحزنني ان تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر. فإنا منذ سبع سنين نتوسل بجميع الوسائل لاحلال الصلح والوفاق محل الجفاء والشقاق، فلم تثمر مساعينا. وكنا كلما لِنّا للحسين تجافى. فتعدياته المتكررة في شرق الاردن التي برهن عن نواياه الاكيدة في بلادنا، ومنعه رعايانا ست سنين من اداء فريضة الحج، وحركاته المستمرة فتنها في بلادنا من عسير وغيرها، وضعائقه كافة حجاج بيت الله، وعجزه في تقرير الامن في الحجاز، مما اجبرنا ان نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة في بلاد الحرمين ولنأمن مستقبل بلادنا. وإنا نرغب في وجود ادارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة، وتؤمن راحة الحجاج وتزيل عنهم المظالم كلها".

~~بعد هذه~~ ما أبرقه ~~ابرق~~ أي الملك علي ان يفيد اللاهة في ~~..~~ الى ~~ابن سعود~~ فكتب اليه هذه بعد هذه البلاغات، والتوسطات، والجوابات، ~~حاربة الى~~ ابن سعود، خصوصاً ان نجدات اخرى صغيرة تلت النجدة الاولى من الشرق العربي، وكان ~~طريق التجربة~~ المرة يقول انه مستعد للحرب، ويمكن اخراج جنود نجد من مكة اذا رفضت حكومة نجد الصلح.

جواب السلطان واحداً وما تقدم:

"الحسين مسؤول عن الحالة. ويجب خلاء الحجاز من اولاد الحسين، وانتظار حكم العالم الاسلامي الذي له الحق في الفصل في امر الاماكن المقدسة وطريقة ادارتها".

الذي ارسله ؟ الى ابن سعود هو برقية عن طريق البحرين يطلب فيها الصلح كتابة عن طريق البرقية وغير ذلك لم يرد خا...

~~الذي اذكر ان رئيس المجلس ورد قبل سقوط الحسين قليلاً مع مفتي القدس~~

اذن فهذه الوثائق تثبت ما يلي:

~~اولاً~~ ثانياً – ان الملك علياً عرض الصلح على السلطان عبد العزيز.

~~ثانياً~~ اولاً – ان المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين سعى ~~ايضاً~~ في سبيل السلم.

ثالثاً – ان ابن سعود رفض السلم ما دام احد اولاد الحسين في الحجاز.

رابعاً – ان جمعية الخلافة في الهند كانت تتكلم باسم العالم الاسلامي.

~~خامساً~~ – وانها كانت معادية للحسين واولاده.

~~سادساً~~ خامساً – ان ابن سعود، وقد استنصر تلك الجمعية، شرع يتكلم كذلك باسم العالم الاسلامي الذي يطلب اخراج الحسين واولاده من الحجاز.

سادساً – ان الحزب الوطني الحجازي استصرخ العالم

~~رابعاً~~

سابعاً - ان الحزب الوطني الحجازي استصرخ العالم الاسلامي ووضع تبعة الحالة في الحجاز على عاتقه .
فالعالم الاسلامي ، والحال هذه ، كان ضائعاً بين الهند ونجد والحجاز . ومع ذلك
فقد وضع السلطان عبد العزيز الثقة التامة به ، وركن الى احكامه ، بدليل البرقية التالية:

البحرين في ١٦ نوفمبر ١٩٢٤ .

الشريف علي بن الشريف حسين

اني احترم شخصكم احتراماً عظيماً . ولكن معاملة والدكم لاهل نجد وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف . فاذا كنتم تحبون السلام ، وحقن الدماء ، اخلوا الحجاز ، وانتظروا حكم العالم الاسلامي . فان اختاركم ، او اختار غيركم ، فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح . اما اذا بقيتم في ارض الحجاز فان مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا . سلطان نجد : عبد العزيز

الآباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

الفصل ~~الرابع~~ الثالث والاربعون

رسل السلام

قد اسلفت القول ان جلالة الحسين، قبل سقوط الطائف، عين وزير خارجية الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً لدى حكومة ايران. فبادر السفير الجديد الى التأهب للسفر، وهو مسرور بوظيفته هذه، مغبوط من زملائه عليها، وركب البحر من جدة، مصحوباً بطائب سره، وترجمانه وياوره، ومرافقه وعبيده. وآخر هو القدر قد تخلى به فادركه في الشرق العربي. اذ ما كاد يصل الى عمان، في طريقه الى بغداد فطهران، حتى جيئته دفعة واحدة اخبار الحجاز كلها، من سقوط الطائف الى تنازل الحسين!

ثم جاءته امر من الحكومة الجديدة، حكومة الملك علي، بالرجوع الى وظيفته السابقة، فقبل الشيخ فؤاد قسمة الجبار وهو يقول في نفسه: ساكون هذه المرة وزير الخارجية لا ترجمانها. وقد اوحي اليه انه بصفته هذه العالية يستطيع، اذا استعان بصديقه مؤلف هذا التاريخ، ان يسعى في سبيل السلم بين البلادين نجد والحجاز سعياً موفقاً. لذلك ارسل الي يقول انه يبغي مقابلتي، وانه غير مأذون بالدخول الى سورية. فهل يمكنني ان اوافيه الى عمان.

تكررت البرقيات بيننا، فاتفقنا على الاجتماع في حيفا. وبعد المفاوضة هناك زرنا سمو الامير عبدالله في مقره بعمان، فرغب الي عقب المذاكرة بالتوسط بين جلالة اخيه وعظمة السلطان. وقد اطلعني الشيخ فؤاد في اليوم الثاني على برقية جاءته من الملك علي يرحب فيها برسول السلام.

قبلت المهمة لاسباب ثلاثة: اولاً - لاني على اتصال بعظمة السلطان وعالم ببعض ما يرمي اليه في سياسته العربية. ثانياً: لاني منذ البدء في رحلتي العربية رسول السلم والتفاهم بين ملوك العرب. ثالثاً: لاني كنت قد اقترحت على عظمته اقتراحاً لحل مشكل الحجاز سلماً، فجاءني منه جواب يستحسن الاقتراح، ويشجع على السعي في سبيل تحقيقه. اضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من وجهاء المسلمين في بيروت اجمعوا على التوسط بين العاهلين العربيين وقرروا ان اكون رسولهم اليهما. سافرت والشيخ فؤاد الخطيب الى السويس، ومنها الى جده، فوصلناها في

٧ ربيع الثاني (٥ نوفمبر)، وكان قد سبقنا اليها رسول آخر من رسل السلام، هو المستعرب الانكليزي المستر سان جان فلبي[1] الذي كان سابقاً وكيل دولته السياسي في شرقي الاردن.

قد كانت الاشاعات بخصوصه عديدة، واظهرها انه قادم بصفة رسمية او شبه رسمية من قبل الحكومة البريطانية للتوسط بين علي وابن سعود. ولكن المعتمد الانكليزي بجده المستر بولارد[2] كذب هذه الاشاعة

(1) H. St. John Philby

(2) R. W. Bullard

١٦٠

رسميًا. وقد اكد لي ان المستر فلبي، وان كان رغم اقالته من وظيفته لا يزال في سلك الموظفين، هو متطوع للخدمة التي جاء من اجلها. وانه لا يمثل غير نفسه. وقد ثبت ذلك الملك علي اذ قال: "هو صديق لابن سعود وصديق لنا. وقد عرض خدمته بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن فقبلناها".

اجتمعت بزميلي بعيد وصولي، ثم تكررت الاجتماعات والمباحثات، فكنا في الموضوع متفقين، متفقين في وجوب التوسط بالسلم. بل في وجوب السلم خير العرب بين نجد والحجاز.

ولكن الرجل الذي جئنا نفاوضه لم يكن قد وصل الى مكة، ولا كان مقره يومئذ معروفا. هل هو باق في الرياض ام هو في الطريق الى الحجاز؟ واذا كان لا يزال في الرياض فهل هو قادم الى مكة ام لا؟ واذا كان ينوي القدوم فمتى يا ترى يتحرك من عاصمة نجد؟

هذه سؤالات كنا نتسائلها. ولم يكن في جدة، لا في الحكومة، ولا في دور القناصل، ولا بين التجار من يستطيع ان يجيب عليها. لم يكن في جدة شخص واحد يعرف شيئا عن ابن سعود.

وكان المستر فلبي قد كتب الى احد قائدي الجيش النجدي بمكة مستخبرا، فلم يحظ بجواب. وقد كتبت انا الى القائدين كليهما، الى السلطان بن بجاد الذي يعرف اني صديق عظمة السلطان والى الشريف خالد، فلا جاء الجواب من احدهما، ولا عاد الرسول. ثم خطر لي ان ابرق الى عظمته بواسطة وكيله في البحرين. وقد كنا تباحثنا انا والمستر فلبي في السفر برا عن طريق الطائف الى الرياض فنجتمع بعظمته في العاصمة او في الطريق، وعقدنا النية على ذلك. فابرقت الى القصيبي في البحرين اولا وثانيا فجاءني منه جوابان الواحد بالعربية: "ايسافر رفيقك الى الامام". والآخر بالانكليزية: "قد سافر الامام الى الحجاز". وهذه البرقية الانكليزية اول نبأ وصل الى جدة ينبئ بسفر السلطان، فسر به الملك، وسرت الحكومة والقناصل، بل سرت المدينة باسرها.

كيف لا ولسان حالها وحالنا واحد - لا بد في قدوم السلطان ان تتغير الحال فيضع عظمته حدا لتلك الفظائع التي كانت تروى اخبارها في جده. والسلطان رجل عاقل حكيم يمكننا ان نتفاهم واياه.

بتنا والحال هذه ننتظر وصول عبد العزيز. وفي ذاك الحين علمنا ان رسولا آخر من رسل السلم قادم الى جدة وانه من كبار المسلمين. بشرونا الخير لانه من المسلمين، فيجي موازنا لمسيحية زميلي الانكليزية ومسيحيتي العربية والظاهر ان الفكرة هذه خطرت لجلالة الملك، فقبل بتوسط السيد طالب النقيب الذي كان يومئذ في الاسكندرية. والسيد طالب الذي جاء ذكره غير مرة في هذا التاريخ هو صديق للسلطان عبد العزيز. وهو كذلك صديق المستر فلبي الذي عرفه في العراق يوم كان من المستشارين هناك وكان السيد وزيرا طالبا للعرش. فاذا كان السلطان لا يقبل بتوسط المستر فلبي ولا بتوسطي، وهو في البلد المقدس وفي ظل الكعبة، فلا بد ان يأذن بالزيارة في الاقل لمن اجتمع به مرارا في الكويت وفي البصرة، وكان ضيفه في القصيم

~~١٥٧~~
١٦١

بل من توسط مرة بينه وبين الترك ، لصديقه الحميم السيد طالب النقيب .

[عندما وصل السيد طالب كان خط الدفاع حول جدة ، بما فيه الاستحكامات ، والمتاريس ، والخنادق ، والاسلاك الشائكة ، والالغام ، قد تم كله . وهو في شكل هلال طوله من البحر الى البحر بخوشة اميال .

وكان الملك علي قد استعاد شيئاً من الامل والاطمئنان ، بل كانت ثقته بالفوز ، سلماً او حرباً ، تزداد يوماً فيوماً ، مع ازدياد عدد الجيش النظامي وقوته ، لان الشريف والده كان يبذل المال والامير اخاه يبذل الهمة في سبيل التطوع في الشرق العربي ، للدفاع عن بيت الله الحرام » ...

وهذا خط الدفاع يا عبد العزيز ، وهؤلاء اصدقاؤك واصدقاؤنا رسل السلام !

الفصل ~~الخامس~~ الرابع والاربعون

الى مكة

في العشر الاولى من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣، ~~يوم~~ يوم كانت جدة ودوائر السياسة فيها تجهل مقر السلطان عبد العزيز، وتجهل مقاصده الحربية او السلمية، كان هو في الرياض يتأهب للسفر الى الحجاز. وقد أم العاصمة في ذلك الحين رؤساء القبائل والاعيان ليودعوه فخطب فيهم قائلاً:

"اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التي ارهقت كاهل العباد. اني مسافر الى مهبط الوحي لبسط احكام الشريعة وتأييدها... ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي، فنتبادل واياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية... وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الافراد والجماعات".

وقد ارسل قبل السفر الى الامام يحيى وغيره من امراء الاسلام المستقلين الكتاب الآتي:

"اما بعد ~~فقد~~ فقد استقبلت اليوم الطريق الى مكة غير باغ ولا آثم. فليتفضل اخي العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حباً بنشر السلام بين امم الاسلام". سلطان نجد: عبد العزيز.

~~سلطان نجد~~
~~عبد العزيز~~

هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية. اما شؤونها الداخلية فقد جعل والده الامام عبد الرحمن مرجعها الاعلى، واناب عنه في العارض ابنه سعوداً على ان يعمل بمشورة جده. ثم كتب الى اهل بريدة وعنيزة والى بعض الهجر من الاخوان ان يوافوه بألويتهم وجموعهم الى اماكن عينها.

وفي ١٢ ربيع الثاني (١١ نوفمبر) خرج من العارض بكوكبة من الفرسان، وبحاشية مؤلفة من كتاب السر وبعض العلماء، ومنهم من آل الشيخ الشيخ عبد الله بن حسن قاضي جيشه، والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف امامه. وقد رافقه في هذه الرحلة اخواه محمد وعبد الله، وابناؤه ~~[illegible]~~ محمد وخالد، وغيرهم من آل بيته، ونفر من آل السبهان وآل الرشيد، وغيرهم من وجهاء نجد. ثم انضم الى الموكب الشاعر عبد الرحمن النفيسة وراوية نجد المشهور عبد الله العجيري. وكان مع عظمته من المستشارين السوريين الدكتور محمود حمدي ومحمد النحاس ويوسف ياسين وجمال الغزي.

~~الامير فيصل ولده لم يكن معه بل تقدم الى مكة بمدة طويلة على رأس حملة جديدة~~

اما الالوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددها خمسة عشر لواء، خمسة الوية من اهل القصيم - من بريدة

وعنيزة

وعنيزة والبكرية والمذنب والخبراء - وهؤلاء من الحضر، وعشرة الوية من هجر الدهنة ودخنة ونفي والشبكية وغيرها.

ان الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة، اقصرها من الرياض، بعد الخروج من وادي حنيفة، هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من ضرمة فتمر بالركبة. ومسافتها الى مكة نحو خمسمئة ميل. ولكن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم واطراف وادي الرمة، ثم بالشعراء، وهي تزيد نحو مئة ميل على الاولى، وتستغرق قطعها عشرين يوماً للقوافل، ومن خمسة وعشرين الى الثلاثين للجند. اما النجاب حامل البريد فيمكنه ان يقطع المسافة بين مكة والرياض بعشرة ايام.

سار الموكب سيراً معتدلاً، لا كالقوافل ولا كالجيش. وكان يقف يوماً او يومين على بعض المياه القريبة من العمران، فتجيء الوفود تسلم على الامام، وتجيء معهم في بعض الاحايين الشكاوي التي كان يسمعها ويمهد سبيل العدالة لاصحابها.

اربعة وعشرين يوماً ظل الموكب في الطريق. وكان يمشي سيراً واسراءً من الثماني ساعات الى الخمس عشرة ساعة كل يوم، ويمشي في البادية بنظام عسكري.

قد دون الاديب يوسف ياسين[1] بعض اخبار هذه الرحلة السلطانية، ونشرها تباعاً في جريدة ام القرى، فذكر اسماء الاماكن التي مروا بها، والهضاب والمياه والشعاب والاودية، وردها الى ما جاء من ذكرها في دواوين الشعر وكتب الاقدمين. وقد وصف الموكب من ساعة الادلاج الى ساعة الاناخة الاخيرة كل يوم، فاخبرنا كيف كان السلطان ورجاله يقضون ساعات النهار او الليل في السير والسرى.

قلت ان للموكب نظاماً عسكرياً في السير. وما كان ذلك فلا دليل على الحرب فيما كان يحمل، ولا اثر للحرب في ما كان يشيع في صفوفه. انما هو رهط من الناس خرجوا للسياحة، وفي سياحتهم رياضة مزدوجة بل مثلثة: رياضة روحية، وجسدية، وادبية.

يسوح الادبيون فيحملون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر. وها نحن في البادية - عرب في فيافي العرب - ومعنا من الكتب الدينية والادبية والتاريخية للمطالعة في النهار وفي الليل. اجل ترانا نسمر ونحن في السرى. فاذا ما ادلج الليل وملّ الحادي، سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري وقد يكون راوية نجد معتزلاً الركب كما هي عادته، فيكرر احد الرجال كلمة السلطان: العجيري! - يا عجيري تقدم. فيحث الراوية راحلته، وبعد ان يدنو من عبد العزيز يسلم ويشرع يقرأ؟ اجل، انك اذا كنت لا تراه لتظنه يقرأ في كتاب من كتب الادب والشعر. ولكن العجيري لا يحمل كتاباً. العجيري يحمل في رأسه «الاغاني» و«الكامل» و«البيان» و«التبيين» و«الكشكول» وبضعة دواوين من الشعر. له ذاكرة يقيلها اذا كبت

(١) يوسف ياسين عربي صميم من اللاذقية، أمّ لشبه الجزيرة متطوعاً في خدمة القضية العربية وابن سعود، فوصل الرياض قبيل خروج السلطان منها، وكان من الرفاق المقربين في الرحلة، ثم تولى تحرير جريدة "ام القرى" ... وعين رئيساً ... مع الوصل ... فعمل في ... ديوان ... الملك

كتبت

خالص

سريع. وله ادب لا يؤذيه بحرف مما يروي ولا يبعده عن معناه. وله صوت ونطق وطريقة في الالقاء تدهش اكبر الممثلين.

- ماذا يبغي الامام؟ فصلاً في مكارم الاخلاق؟ - فصلاً في الشجاعة والاقدام؟ - فصلاً في البدو والتقوى؟ - فصلاً في نوادر الملوك؟

واذا ما بدأ في الرواية كان كالساحر يتمشى في حدائق الادب والشعر والتاريخ، فينتقيها بازهارها، ويطيب شذاها الى البادية، فتطرب الركب وتنعشهم وتطرد النعاس من الاجفان.

قال يوسف ياسين: "قد قام لنا الدليل على ان ما روي عن اخبار الرواة الاولين، وما كانوا يحفظون من الشعر والنثر، امثال حماد والاصمعي، لم يكن خيالاً شعرياً. وان امالي ابي علي القالي واضرابه لم تكن الا من قبيل ما كان يرويه لنا الشيخ العجيري في الطريق".

وفي ساعة الادلاج، لما بدأت تمشي الجملة وامامها العلم والى جانبه راكب يحمل قنديلاً منيراً، نسمع الصوت ينادي: العجيري. فيدنو الراوي من عظمة السلطان ويطفق يرتل طائفة من الذكر ترتيلاً جميلاً انيقاً، تكاد تعد منه حروفه".

ثم يؤذن المؤذن صلاة الفجر.

وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الموكب السير فينادي السلطان: ابن الشيخ، فيلبيه احد العلماء ويشرع يتلو شيئاً من القرآن. ثم بعد الضحى يدعوه ثانية، او يدعو آخر من العلماء، قارئ الرحلة، فيسلم هذا قياد راحلته الى الخادم يقودها ويتناول من حقيبته السيرة النبوية، او صحيح مسلم، او تاريخ ابن الاثير، او كتاب الترغيب والترهيب، فيطفق يقرأ ساعة او ساعتين بصوت عالٍ يسمعه المتقدمون في الموكب والمتأخرون. ويظل الموكب سائراً بنظام لا يخرج في صورته الاجمالية عن تقدم كوكبة الفرسان، وتكاد احياناً تختفي عن الانظار واحرى بها ان تدعى كوكبة الكشافة. ثم علم السلطان ووراءه الجملة اي حملة اللون والاشقة والمواعين وهي تمشي قبل الموكب السلطاني بساعة او ساعتين، فتختفي في بعض الاحايين مثل كوكبة الفرسان.

اما الموكب فيتقدمه الاعلام، اعلام الجيوش المنضمة اليه، وكلها تمشي في صف واحد، وبعدها الموكب، والسلطان حيناً على رأسه وحيناً في الوسط، فيسير امامه او وراءه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون نظام. [وهنا

هو ذا قد اناخ في مرات بلدة امرئ القيس، فجاءته الوفود من الوشم وسدير مسلمة عليه. وها هو ذا جالس في فسطاطه يسمع احد الشعراء يتلو قصيدة في مدح الامام وانتصار جيوش التوحيد في الحجاز. وها هو ذا في صراحة المقادة يقول للشاعر: "احب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما، الهجو والغلو في المديح".

ولا وقت لدينا لنقف نبكي من ذكرى الاحباء والمنازل، ولكننا نمر بسقط اللوى، والعجيري يتلو علينا شيئاً

شيئاً من اخبارك واشعارك يا ابن حجر الكندي .

توكلنا على الله ! اركب يا ابن مطرف - اركب يا عبد الرحمن . وعبد الرحمن ابن مطرف هو اول من يعلو راحلة في الموكب ، هو راعي الراية ، راية السلطان .

وها نحن بعد خروجنا من دبرة امرئ القيس نشرف على اماكن نشاطرها ولو في الكتب جلال القدم ٨ والذكرى . هذه الجبال والشعاب والمياه - وضحم الحمى والنيد والخفاف - قد طالما زانت في غابر الزمان قوافي الشعراء ، واقترنت عشيرة سادات العرب . ها هنا كانت تتطاحن القبائل ، وها هنا كانت تنذب الشعراء المنازل والاحباب . وهو ذا ربع الريان ، ذاك الشعب الخصيب الذي تخرج اليه من الشعر ٥ محط رحل التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارضين . وما دونه الشعب الجبل الذي قال فيه جرير :

يا حبذا جبل الريان من جبل

وحبذا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حن اليه كذلك الشريف الرضي :

ايا جبل الريان وان تعر منهم

فاني سأكسوك الدموع الجواريا

ولا نزال مُسندين - مصعّدين - من الريان الى وادي الرُشا ، بين جبال ثهلان والخوار ، فنبدو على نجد في ابهى الحلل من الاخضرار ، تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعرارها ، وبطيب هوائها ، وبفسيح ارجائها .

حنيناً الى ارض كأن ترابها

اذا امطرت عود ومسك وعنبر

بلاد كأن الاقحوان بروضه

ونور الاقاحي وشي برد محبر

احن الى ارض الحجاز وحاجتي

خيام بنجد دونها الطرف يقصر

(بالهاد)

في وادي الرشا نعلو نحو الف واربعمئة قدم عن البحر ونستمر مسندين ، فنصل الى ماء يدعى المصلصل (بالرطل) وهناك يلتقي الركب بنجاب من مكة يحمل البريد الى السلطان ، وفي البريد كتاب من قناصل الدول بجدة الى قواد الجيش النجدي بمكة يعلمونهم بموقف دولهم الحيادي في النزاع بين نجد والحجاز ، فارسل اليهم السلطان الجواب الآتي :

١٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها
~~وملحقاتها~~

في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٢٢ نوفمبر ١٩٢٤) عدد ١١٤ .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرات الكرام قناصل الدول العظام في جده معتمد الدولة البهية البريطانية، وقنصل جنرال الدولة الايطالية، ووكيل قنصل جنرال الجمهورية الفرنسية، ونائب قنصل مملكة هولندة ووكيل قنصل شاه ايران المحترمين .

بعد اهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام، نحيط علمكم باننا احطنا علماً بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل الى امراء جيشنا خالد بن منصور وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز. اني كنت اود من صميم قلبي ان تحقن الدماء، وتنفذ رغائب العالم الاسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثمانية الاخيرة. ولكن الشريف علي بن حسين بموقفه في جده لم يجعل لنا مجالاً للوصول الى اغراضنا الشريفة. ولذلك فاني حباً بسلامة رعاياكم، ومحافظة على ارواحهم واملاكهم وما قد يحدث لهم من الاضرار، احببنا ان نعرض عليكم ما يأتي :

أ - ان تخصصوا مكاناً ملائماً لرعاياكم في داخل جده او خارجها وتخبرونا بذلك المكان لنرسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم

٢ - اذا احببتم ان ترسلوهم الى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن غوائل الحرب واخطارها فاننا نقبلهم على الرحب وننزلهم المنزلة اللائقة بهم . واننا نرجوكم ان ترسلوا الكتاب طيه الى اهل جده حتى يكونوا على بينة من امرهم . واننا لا نعد انفسنا مسؤولين عن شيء بعد بياننا هذا وتقبلوا في الختام تحية خالصة منا

الختم

وهذا نص الكتاب الى اهل جده :

من عبد العزيز آل فيصل آل سعود الى كافة اهالي جده .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلا بد انه بلغكم ان اغلب العالم الاسلامي قد ابدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين واولاده . واننا حباً لسيادة الاسلام وحقن الدماء نعرض عليكم انكم في عهد الله وامانه من اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة . وبالنظر الى وجود الامير علي بين اظهركم

وخروجه على الرأي الاسلامي. فانا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة في مكان معين، او القدوم الى مكة سلامة لارواحكم واموالكم، او الضغط على الشريف علي واخراجه من بلادكم. فان فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور او بولائه فنحن معذورون امام العالم الاسلامي وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من السبب والسلام ، الختم

كان الذين يسافرون في البادية، فيتقلون بيوتهم كل يوم، ينسون ان بيوت اهل الحضر من حجر وطين، وان لمصالحهم وتجارتهم جذوعاً متأصلة من تلك الاحجار وتحت تلك البيوت. ومع ذلك فقد ارسل السلطان الكنانيين الى القصيل والى اهل جيده بواسطتهم، وامر ثلاثة من حاشيته بان يتقدموه الى مكة فيطمئنون الناس، فراحوا يبشرون بقدومه.

سار الموكب، بعد ان اجتاز جبل النير، جنوباً بغرب الى الدفينة، وهي في رأس الحرة التي تعلو نحو اربعة الاف قدم عن البحر، وفيها بقية طريق معبدة غير السكة السلطانية اي سكة زبيدة القديمة. وفي هذه الحرة اعلام منصوبة تدل على الارض الوعرة التي لا تسلك، بل تحذر القوافل من اخطارها. وهناك بعد ان يجتاز الحرة سالميت بيوتاً متهدمة في وسط بساتين من الاثل ونخيل الدوم. هي مران التي وصفها ياقوت بقوله انها قرية غناء كبيرة، كثيرة العيون، والآبار، والنخيل، وقد كانت لبني هلال. ولكنها اليوم للاضمحلال:

مررنا على مران ليلاً فلم نعج :
على اهل آجام بها ونخيل

وفي اليوم الثالث والعشرين وصل الموكب عشيرة التي تتاخم اليها طرق نجد كلها، والتي تعلو اربعة آلاف قدم عن البحر. فاقام السلطان فيها يوماً يستقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام.

ثم اوغل الركب من عشيرة مصعدين الى قرية السيل (٤٥٠٠ قدم) اعلى نقطة في هذه الرحلة، فيحرمون هناك وينحدرون في وادي السيل، بين جبال جرداء ملساء سمراء، فيمرون بقرية الزيمه، وينيخون في مكان يبعد ساعتين عن الاميال. ثم يتقدمون بعد الظهر مكبرين ملبين.

لبيك اللهم لبيك !
لا شريك لك لبيك !

ملأت هذه الجموع ابضاء الشعاب، وتزاحمت بين الهضاب، وتصاعدت اصوات الملبين فتصادمت في

الفضاء

الفضاءُ فرددت صداها الجبال والوهاد .

لبيك اللهم لبيك !

لاشريك لك لبيك !

مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري

الفصل الخامس ~~السادس~~ والاربعون

اشاعات وحقائق

مرضنا ونحن في جدة ننتظر وصول السلطان عبد العزيز الى مكة. مرضنا حقيقة ومعنى - مرضنا كلنا، الملك علي، والسيد طالب، والمستر فلبي، والمؤلف - بالملاريا وغيرها من الامراض السارية. وكنا في اثناء ذلك نسمع من الاخبار - اخبار الاخوان - ما لا يزيل الكربة بل يزيد بها.

يا للهول الاخوان! ويا للفظاعة ويا للعار!

قد عاهدوا الجداعين وأمنوهم على حياتهم وأموالهم ثم ذبحوهم عن بكرة ابيهم.

قد عاهدوا بني جابر وبعض الاشراف الذين "دينوا" وأمنوهم ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم ~~حتى الاولاد~~ الرجال منهم والنساء والاطفال.

الاخوان يضربون اهل جاوه بمكة ويمنعونهم عن الصلاة، وعن التدريس في الحرم.

الويل لمن يرى الاخوان سيكارة بيده فانهم يشبعونه شتماً وضرباً.

الاخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها.

الاخوان يهدمون بيت مولد النبي، وبيت السيدة فاطمة الزهراء، وضريح السيدة خديجة.

الاخوان هدموا كل قبور الصحابة والاولياء وآل البيت في المعلاة.

وهدموا مسجد حمزة ومسجد ابي قبيس.

وهدموا.

مرحباً بالاشاعات. فانها مثل المصائب ينسي انساك بعضها ~~بعضاً~~ البعض الآخر. وقد انسانا الاخوان - الى حين - الخبر بسقوط حائل. قالوا انها سقطت بيد قبائل شمر، وقالوا ان قد استولى سلطان الدويش بمساعدة شمر على حائل.

ومرحباً بالمكذبين. لا صحة للاشاعة بان مشايخ ابغ "دينوا" وان ابغ اصبحت في حوزة الاخوان. كذلك كانت الاخبار تترامى الينا، ونحن على فراش الحمى نتململ ونقول: عجّل الله قدومك يا عبد العزيز. ولكننا في تجوالنا ايام النقه سمعنا من مصادر شتى، وتحققنا بعدئذ، ما يقرب من الحقيقة في ما تقدم من الاشاعات. سنعود اذن اليها فنمحصها للتاريخ.

عندما

عندما دخل الاخوان مكة جاء عربان الجدعان وبني جابر وبعض الاشراف الى الامير خالد بن لؤي موحدين طائعين. ودخلوا في دين التوحيد - وتدينوا - فاعطاهم خالد الامان على ارواحهم واموالهم واذن لهم بالرجوع الى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة الى الشرق الجنوبي.

ولكنهم بعد ان عادوا من مكة جاءوا يقدمون الطاعة للملك علي، وشرع بعضهم بقطع الطريق بين جدة ومكة. فارسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب وجمع السلاح. ابى الجدعان ان يسلموا سلاحهم، فنشبت بينهم وبين الاخوان معركة دامية انتهت بهزيمة الجدعان وفرارهم في السنابيك الى جدة.

اما بنو جابر فمنهم من سلموا سلاحهم، ومنهم من فروا هاربين، فركبوا البحر مثل الجدعان، وجاءوا جدة بحريمهم وعيالهم ~~[illegible]~~ الملك علي فانزلهم خارج السور، وبذل في سبيلهم المستطاع.

اجتمعنا في قنصلية هولندة ببعض الجاويين العائدين من مكة، فسألناهم ان يصدقونا الخبر، فقال احدهم: "اقمنا حفلة لتلاوة المولد النبوي، كما هي عادتنا كل سنة، فنصبنا قبة للاجتماع. وعندما حضرنا لمنا لتلاوة سيرة المصطفى، جاء الاخوان فطردونا، وهدموا القبة. - لا لم يضربوا احدا". ولكنهم كانوا يشتموننا ويدعوننا مشركين - نعم، ممنوع التدخين في الاسواق. ولكني ما رأيتهم يضربون احدا بدخن. هم يشتمون من يدخن، ويدفعونه جزاء ربع مجيدي".

التقينا ذات يوم عند السور باثنين عائدين من مكة، الواحد ضابط تركي كان في خدمة الحسين، والثاني عربي من البدو. فسألناهما عن فظائع الاخوان فقال الضابط: "حجزوا البيوت، ونهبوها، وباعوها والله. وهدموا المقامات كلها، حتى مقام سيدنا ابرهيم عليه السلام". فقاطعه الاعرابي قائلاً: "لا والله الذنب ذنبنا نحن العرب والخيانة منا. يجيء الواحد الى خالد يقول: هذا بيت الشريف، وهذا بيت عم الشريف، وهذا بيت احد عبيد الشريف فيجيء الاخوان هذه البيوت، ويبيعونها بعد ان يخرجوا منها الاثاث. فاقسموا (عفوا) والله غير املاك الشريف ودور الحكومة".

اما هدمهم القبور والمقامات فما انجلت الحقيقة فيها الا بعد ان زار وفد جمعية الخلافة مكة، فرأوا باعينهم ما هُدم منها، وما لم يُهدم. وقد قال السيد سليمان الندوي رئيس الوفد في تقريره: "ان القباب والبنيان التي كانت على القبور هدمت وكسرت. ولكن القبور موجودة بحيطها كما شاهدنا. والقبة التي كانت على قبر حمزة هُدمت والمسجد سالم".

اما مسجد الجيشي فقد هُدم قسم منه، فاستغل السلطان عبد العزيز لذلك، وامر بترميمه.

لا أثار

للاثار للاخوان على المساجد . ولكن في الغطغط مصيبة الدين الكبرى . قال محمد بن عبد الوهاب : "المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته" .

وذكر الحديث : خير القبور الدوارس .

ولكن السخافة في الناس لا تتغير الا في شكلها . وان هادمي القبور ومقدسيها لمن مادة واحدة ، وان غضبة للحجارة مثل غضبة عليها لا تصلح الامم . كيف لا تنشأ اذن بالاشاعة التي تنبئنا اشاعات القبور ؟

كل من في جدة صدق الخبر بسقوط حائل الا المستر فلبي والمؤلف . واظن ان بعض الناس شاركونا الريب واستمروا مع ذلك في نشر الاشاعة . فقد سمعنا جلالة الملك في مجلسه ذات ليلة يقول لقائد فرقة [illegible] تحسين باشا الفقير : "الخبر بسقوط حائل صحيح ، فقد جاءنا الاثبات اليوم من عمان" . أي من المصدر الاعلى في ما كان يُروى عن نكبات نجد وابن سعود . ولكن عصياً من الناس الذين لا يحسنون التمويه ، فقد خانته اللهجة التي ظهر فيها انه مشكك بما يقول .

وقد كان يشك حتى بمن يقسمون اليمين المغلظة من البدو — والله بالله نحن رجالك باعلي ونفديك بدمانا ! فهل يقال بعد هذا ان ابن جبيرين صاحب رانية ومشايخه كلهم "دينوا" ؟ وان رانية اصبحت في حوزة الاخوان ؟

كم هم في القصر يقدمون الطاعة للملك !

وكم هم في مكة يبايعون ابن سعود !

اشاعات وحقائقه ، تتلو الواحدة الاخرى كادوا ان تدوار من الحمى . وقد كنا ، بين الحمى وبينها ، نسترحم الله للعرب اجمعين .

السادس

الفصل السابع والاربعون

الكتاب والسنة - والسيف

من المناسب ذكر سبب منع سعود الحج اذ كان ذلك
باشارة من الشريف غالب الذي كان يضمر العداوة
في قلبه لآل سعود
قاطعه في موسم الحاج

عندما فتح سعود الكبير الحجاز ودخل مكة، منذ نحو قرن ونيف وقرن، كان من اعماله التي سجلت عليه انه منع الحج،
أوضحت في ما تقدم خطة السلطان عبد العزيز السياسية والدينية النجدية والحجازية. فقد
وكان من نتائجها ان الاجانب حرموا من جدة. ولكن خلفه عبد العزيز آل فيصل أرسل من البادية، وهو في الطريق الى

مكة، يؤمن الاجانب في جدة، ويعرض الامان على اهلها اذا هم أخلدوا الى السكينة. وكتب قبل ان غادر الرياض

الى امراء الاسلام الحاكمين يدعوهم لعقد مؤتمر في ام القرى، ثم من سبل الحج وابدل طرقه الى الحرمين.

إلا ان هذا
ويستغرب هذا التطور في الحكم السعودي اذا قابلنا بين فاتحنا وذاك الزمان. ولكنه خلق لعبد العزيز مشاكل
خلق لصاحبه مشاكل الحكم

جديدة فعالج بعضها علاجاً عصرياً، وحل بعضها حلاً مرضياً. وهو لا يزال في منتصف الطريق، ووراءه ماضٍ مجيد

وامامه مستقبل نصفه محجوب وان بدا غامضاً، والنصف الآخر صفحة بيضاء.

ولكن على المؤرخ ان يتبع التاريخ، وليس من شأنه النظر في المستقبل قبل ان يدون في الاقل المهم من حوادث الماضي. فنعود

اذن الى حيث تركنا الموكب السلطاني. فعندما وصل الى الابطح مساء اليوم السابع من جمادى الاولى ١٣٤٣ (٤ دكمبر ١٩٢٤)

اناخ السلطان عبد العزيز ذلوله وركب حصاناً، فركب وراءه بعض حاشيته، ثم نزلوا الى قلب المدينة، فترجلوا عندما

قربوا من المسعى، ومشوا الى الحرم، فدخلوه من باب السلام وطافوا، وصلوا، وسعوا تلك الليلة، ثم عادوا الى المخيم

في المعابدة.

وفي صباح اليوم التالي - الجمعة - استعرض السلطان الجيش من خيالة ومشاة. ثم جلس في السرادق الكبير الذي نصبته

البلدية، وفرشته بالطنافس، وحرقت فيه البخور، فاستقبل اولئك الاخوان، وكان بينهم كثيرون لا يعرفونه لأنهم ما رأوه قبل تلك

المشاهدة الاولى، وقد تهافتوا عليه يصافحونه، ويقبلونه في خشمه وفي جبينه، وهم يبكون من شدة السرور. ثم

جاء من اهل مكة بعض اعيانها وتجارها يسلمون، فبادروا الى يده يريدون تقبيلها فمنعهم قائلاً: المصافحة من

عادات العرب. اما عادة التقبيل فقد جاءتنا من الاجانب، ونحن لا نقبلها. وقد خطب فيهم خطبة صغيرة فاعاد ما قاله

في خطبة الوداع لرؤساء نجد قبل سفره من الرياض.

بعد ذلك طلب اليه امين مفتاح الكعبة الشيخ عبد القادر الشيبي ان يعين وقتاً للاجتماع بعلماء مكة، فضرب لهم

موعداً في اليوم التالي، وكان الاجتماع في بيت الحميدية، حضره علماء البلد الحرام من اهله ومن المجاورين، فخطب فيهم السلطان

عبد العزيز:

عبدالعزيز خطبة دينية، اجتماعية، سياسية، خطبة طويلة ولكنها بليغة مؤثرة نقتطف منها مايلي :

"ان افضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله، وافضل الناس من اتبع امر الله.

وان لهذا البيت شرفة وبقاماً منذ رفع سمكه سيدنا ابراهيم عليه السلام. وقد عظم العرب امره في جاهليتهم فتعالوا نتعاقد ونتعهد

الفضول تعاقدوا وتعاهدوا: ان لايقر ببطن مكة ظالم.

والله وبالله وتالله ورب هذا البيت! لقد كان من احب الامور عندي ان يقوم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك

ولايعمل لاباتنا من الوجود، فاجيئه مع الوفد بين احب (واقبل) على يده واساعده في جميع الامور.

لايشفعنا غير الاخلاص في كل شيء. الاخلاص في العبادة لله وحده، والاخلاص في الاعمال كلها. والذي نبغيه في هذه

الديار ان نعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الامور الاصلية. اما في الامور الفرعية فاختلاف الائمة فيها رحمة"!

الى ان قال وفيه لب الاخلاص :

"والان انا بذمتكم وانتم بذمتي. ان الدين النصيحة. وانا منكم وانتم مني. وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين ايديكم

فان كان فيها مايخالف كتاب الله، فردونا عنه، وسلونا عما يشكل عليكم فيها. والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما

جاء في كتب الحديث والسنة.

انا لم نطع ابن عبدالوهاب وغيره الا فيما ايدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله. اما احكامنا فهي طبق اجتهاد الامام

احمد بن حنبل.

اذا كان هذا مقبول عندكم فتعالوا نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده".

بعض الحضور : كلنا نبايع.

السلطان : قولوا لنا بصريح القول ماعندكم.

بعض الحضور : ماعندنا غير هذا.

السلطان : اعيذكم بالله من التقية، فلاتكتموا علينا شيئاً.

احد العلماء : اجمعنا بعلماء نجد ياحضرة الامام فنباحثهم في الاصول والفروع ونقرر ماننفق عليه ان شاء الله.

السلطان : زين. قريباً تجتمعون.

وبعد يومين، في ١١ جمادى الاولى، اجتمع خمسة عشر من علماء مكة بسبعة من علماء نجد، فبحثوا في الاصول والفروع

ثم اصدر علماء مكة بياناً جاء فيه :

"قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل اصولية. منها : من جعل بينه وبين الله وسائط

مرة

من جعل

من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه، يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع او دفع ضر، فهذا كافر يستتاب ثلاثاً فان تاب والا قتل.

ومنها: تحريم البناء على القبور واسراجها وتحري الصلاة عندها لان في ذلك بدعة محرمة في الشريعة.

ومنها: من سأل الله بجاه احد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما.

في هذه المسائل تباحثنا واتفقنا فانعقدت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين اخواننا اهل نجد."

اي انهم اقروا المسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي الوهابي وقبلوها.

وفي يوم اجتماع العلماء صدر البلاغ الاول مطبوعاً في مطبعة جريدة القبلة (1)

"لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو:

لم نقدم من ديارنا اليكم الا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه، ودفعاً لشرور كان يكيدها لنا ولبلادنا من استبد بالامر فيكم.

كل من كان من العلماء في هذه الديار، او من موظفي الحرم الشريف او المطوفين، ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ان لم نزده. الا رجلاً اقام الناس عليه الحجة انه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما كان له من قبل.

وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين اعطيناه حقه.

لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له. ولا صغير عندي الا الظالم حتى آخذ الحق منه. وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ولا اقبل فيها شفاعة."

في هذا البلاغ، وفي بيان العلماء، حل للمشكل الذي صيغ على القاعدة ان الجزاء من نفس العمل. ولا فرق فيه من الاثنين، البيان او البلاغ، صدر قبل الآخر. كأن (احد النفر بتعبير قاله) لا مس حقوقهم السلفية. فقال النابغ: نقبل ان كان مذهبكم ونعمل بها. وعلماء مكة امهر من المحامين في تخريج المسائل وتأويل الكلام

بعد هذه الاجتماعات الخاصة بين السلطان والعلماء، عقد اجتماع عام حضره العلماء والاعيان والتجار، فخطبهم السلطان، فقال:

"اريد رجالاً يعملون بصدق وعلم واخلاص حتى اذا اشكل علي امر من الامور رجعت اليهم في حله وعملت بمشورتهم، فتكون ذمتي سالمة، وتكون المسؤولية عليهم.

واريد الصراحة في القول. ثلاثة اكرههم ولا اقبلهم، رجل كذاب يكذب علي متعمداً، ورجل ذو هوى، ورجل متملق. هؤلاء ابغض الناس عندي."

بهذه الخطبة الوجيزة الصريحة افتتح عظمته الاجتماع لتأسيس مجلس اهلي شوري. فاجتمع الناس ثانية في دار البلدية وانتخبوا من الاعيان والعلماء والتجار مجلساً مؤلفاً من اربعة عشر عضواً ترأسه عبد القادر ~~الشيبة~~ الشيبي

على ان هناك مشاكل لا تحل بتأسيس مجلس الشورى ولا بانتقاد العلماء، كالمشكل الاقتصادي مثلاً، وقد حال

حال

---

(1) قد كانت هذه المطبعة للاتراك يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية، فاستولى عليها الحسين في بداية الثورة وشرع يطبع فيها جريدة القبلة، ثم استولى عليها ابن سعود واصدر جريدة ام القرى.

خط الدفاع في جدة دون تموين مكة من ثغرها الاول والاقرب . ولم يقطع الملك علي الاقوات عن "جيران بيت الله الحرام" الا عندما تم ذاك الخط ، لان بدو حرب ، من الذين كانوا يجيئون صباحاً كل يوم الى القصر بجيدة ، ومن اولئك الذين "دينوا" ، كانوا يقطعون الطريق الى مكة وينهبون القوافل .

وهذا بعض السبب في حمل الاخوان عليهم . وقد كان السلطان عبد العزيز اصدر الاوامر ، حتى قبل ان سافر من الرياض ، الى عماله وقواده بفتح طريق بل طريقين الى البحر . وكانت القنفذة اول الثغور التي احتلتها جيوشه من عسير . ولكن القنفذة تبعد اكثر من مئتي ميل عن مكة ، والليث اقرب منها [1] . لذلك بادرت القيادة في الحجاز الى احتلالها ، على ان السرية التي مشت الى ذاك الثغر لقيت من اشراف "ذوي حسن" بعض المقاومة ، فاشتبكت واياهم في معركة دامت ساعات عديدة ، وكانت الغلبة فيها على "ذوي حسن" ، ففر منهم كثيرون ، وسلم الآخرون ، واصبحت الليث في حوزة ابن سعود .

اما عرب رابغ [2] فقد اشرنا في الفصل السابق الى ما كان من سلوكهم سلوك الثعالب . والحقيقة انهم عصوا حكومة جدة فارسلت عليهم خمسين جندياً بقيادة حمدي بك . ركبوا باخرة الطويل التي كانت قد سلحت بثلاثة مدافع صغيرة ، وابحروا الى رابغ ، فنزلوا الى البر ولم يلقوا من عربانها او مشايخها شيئاً من المقاومة . بل سلم المشايخ ومنهم ابن عم عامل رابغ ابن مبيريك وجاؤوا مع الجنود الى جدة ، فاقسموا يمين الطاعة للملك علي فعفا عنهم ، واذن لهم بالرجوع الى بلدهم [redacted]

وفي ذلك الاثناء تصادم الاخوان ~~بفريق~~ ومرتين آخر من العربان في الطريق بين مكة ورابغ ، تصادماً ~~خطيراً~~ يستوجب البيان . في تهامة الحجاز قبيلة من بطون من حرب ، وتمتد ديارهم الى المدينة المنورة . وقد كانت هذه القبائل في مواسم الحج تتعدى على الحجاج وتنهب القوافل وتتقاضى الحكومة ، فوق ذلك ، رواتب معلومة . فعندما دخل الجند النجدي مكة جاء بعضهم الى الشريف خالد يطالبون بما هو حسب زعمهم حق شرعي ، فقال لهم خالد : اذا دينتم كنتم وكافة المسلمين سواء . والا فعندنا الكتاب والسنة وعندنا السيف .

استمر هؤلاء العربان عاصين ، فارسل خالد عليهم سرية من الاخوان فالتقوا بجماعة منهم في عسفان [3] بين مكة ورابغ على طريق المدينة ، فضربوهم ضربة شديدة وازالوهم من ذاك الطريق . وفي حملتهم هذه ~~على~~ قرب الاخوان من ~~رابغ~~ ، ففكر ابن مبيريك في امره ، وجاء مكة اولاً وثانياً يفاوض الشريف خالداً ~~ويوعد له بطاعته~~ ~~الشريف لامان ووعين له ولمشايخه رواتب على شرط ان يمنعوا التعدي على الحجاج~~ تلبيث ينتظر قدوم السلطان الذي ~~تأتيه~~ العامل واسمعيل وحموا الطريق من البحر الى مكة . هذه هي قصة رابغ ~~وصاحبها ابن مبيريك الذي جاء جدة~~ وعربانها حووا وراح الى مكة ، واقسم اليمين ، وفاوضوا وساوموا الفريقين ، ثم تبعوا الاقوى والاكرم .

وما كان ابن مبيريك فريداً في سلوكه . فقد تبع الاقوى والاكرم كثيرون من العرب غيره . ومنهم من الاشراف الحثاث والقعور الذين تهافتوا على السلطان عبد العزيز عند وصوله الى مكة . ولكنهم بالرغم عن زلفهم لم يحوزوا من الالتفات اكثر من سواهم . فالسلطان ملك الجميع في احالة الامور للشورى ، وفي معاملة الجميع على السواء ، على انهم جاؤوه شاكين قلة الاقوات وغلاءها ، وما يعانيه الاهالي بسبب ذلك من الشدة والضيق . فقال لهم انه قد اتخذ التدابير لمنع الاحتكار اولاً ،

لم يعين خالد رواتب لأحد واما جاء ابن مبيريك تفرض طاعته وانتظر قدوم جلالة الملك

---

(١) الليث هي على مسافة تسعين ميلاً من مكة غرباً بجنوب .
(٢) رابغ يبعد تسعين ميلاً عن جدة الى الشمال ومئة وعشرة اميال عن مكة الى الغرب الشمالي
(٣) ثنية عسفان وهي من امنع الاماكن

وجليد

وجلب الاقوات عن طريق الليث . وان ورجاله وجيوشه لا يكلفونهم من هذا القبيل شيئاً ، لأن الاقوات تجبيهم من نجد ”الحي قبيلة ولكننا اهل نجد نكتفي بالقليل . . عليكم بالصبر وقريباً ترد الارزاق من الثغور التي بيدنا ان شاء الله“

ثم استأذنوه بارسال كتاب الى الملك علي عله يسمع شكواهم فلا يمنع عنهم الارزاق . فقال السلطان : ”هذا لا يفيد علي لا يسمع شكواكم وقد يظنها شكوانا ملبسة . ومع ذلك هاتوا كتابكم ارسله“ .

وفي هذا الكتاب المذيل بامضاءات ستين من اهل مكة لوم ، وتعنيف ، ورجاء بان لا يمنع الارزاق عنهم وهم جيران بيت الله الحرام الذين قال فيهم تعالى (اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) .

” وما السبب في تشفيه فينا ؟ فان كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فلسنا المسؤولين في دخولهم مكة ولا قوة لنا على اخراجهم . . . اننا نسألكم واحداً من امرين ، اما ان تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تفتح لمكة طريق رزقها ، او ترتأوا شيئاً من الاسباب التي تمكننا من جلب معاشنا “ .

فاجابهم الملك علي : ” انما لم نمنع الارزاق عنكم الا مكرهين . فالقواعد الحربية تقتضي ذلك ، ولا قصد لنا غير اخراج مركز العدو وعدم تموين جيوشه “ .

الاحاايين

وقد شكا الاهالي الى السلطان عبد العزيز امر الاخوان ، وتضييقهم على الناس ، وشتمهم الناس وضربهم في بعض الاحايين فطيب السلطان بالهم ، ولكنه سمع من الاخوان ايضاً كلمة لا ترد : ”هم يدخنون ، يا عبد العزيز ، ولا يصلون . لا يصلون !“ فامر السلطان بان يغرم كل من يدخن غرامة مالية - الشتم ممنوع والضرب ممنوع . ويُنبه وينادي الامر الى وجوب المواظبة على الصلاة . فاخرجت البلدية منادياً ينادي بوجوب اجابة داعي الله ، فاذا سمع الناس المؤذن يبادرون الى الصلاة في الحرم الشريف ، ومن كان بعيداً عن الحرم فليصل في اقرب مسجد منه . وقد جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر عن الصلاة لتقرير الجزاء الشرعي عليه “ .

يُنبّه

وقد ولى عظمته السلطان الشريف خالداً ، الذي كان يقيم في قصر الحسين ، شؤون الاخوان ، وامر الشريف هزاع من العبادلة على بدو الحجاز ، واقام بينه وبين اهالي مكة احد مستشاريه يعاونه بعض السوريين ، ومترجم في سراي الحميدية .

بهذا نظم عظمته بعض الشؤون الداخلية وحل بعض المشاكل الدينية والسياسية في مكة .

اما شؤونه الخارجية فاهمها يومئذ كان يتعلق بقناصل الدول بجدة . وقد جاءه منهم بعيد وصوله جواب الكتاب الذي ارسله اليهم من البادية . وهاكه بنصه :

من ممثلي الدول الموقعين ادناه الى حضرة صاحب العظمة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الاكرم بعد تقديم واجبات الاحترام . قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤ وما ذكرتموه صار معلوم لدينا . اما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب نرى انه من اللازم ان نذكر عظمتكم بان احترام رعايانا

ريحاني

مبني على حقوق دولية متبعة في ايام الحرب . فبناءً عليه ندعوكم باسم حكوماتنا جميعها الى احترام اشخاص رعايانا مع اموالهم . والا تكونون مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في اي وقت وفي اي مكان كان . اما بخصوص الكتاب المرسل باسم اهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظراً للقاعدة الحيادية التي نتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في اي وجه كان . فعليه نعيده اليكم . وفي الختام تقبلوا فائق الاحترام .

القائم بشؤون القنصلية الافرنسية — وكيل قنصل جلالة شاه ايران — معتمد وقنصل بريطانيا العظمى — قنصل جنرال ملك ايطاليا — وكيل قنصل هولانده

اما فحوى الكتاب الى اهل جدة فقد كان حديث السوق يوم وصوله . وقد نُشر بعد ذلك رسمياً في جريدة ام القرى [illegible] السلطان ان القناصل أرجعوه .

ولكنه قطّب وتضجّر عندما فضّ الكتب التي جاءته مع كتاب القناصل . — وهذا كتاب من المستر فلبي . وهذا كتاب من السيد طالب النقيب . وهذا كتاب من امين الريحاني . وما الذي جاء بهم الى جدة في هذه الايام ؟ وما الذي يبغونه غير السلام ؟ ! .

الفصل ~~الثامن~~ السابع والاربعون

المفاوضات

الحارس على الباب الشرقي لخط الدفاع يكلم بالهاتف القيادة في القشلة : عاد النجاب من مكة ومعه كتب الى القنصل والى السيد طالب والريحاني وفلبي . القيادة بالهاتف الى القصر : عاد النجاب من مكة . رئيس الديوان الملكي بالهاتف الى رئيس السلام :

عاد النجاب . . . .

بادرنا الى القصر ، فادخلنا الحاجب غرفة الملك على الخاصة ، فاستقبلنا فيها وزير الخارجية . ثم دخل جلالته معتماً بعمامة البيضاء ذات الذؤابة ، لابساً جبة سوداء فوقه ابنا زمن الحرير ، وبيده كتب ثلاثة اعطانا اياها مختومة ، فقال احدنا : الملك اليوم موزع بريد . فضحك جلالته وامر بالقهوة .

قرأ كل منا كتابه ، وقدمه للملك فقرأه واعاده دون ان يفوه بكلمة . ثم تبادلنا الكتب ، وكذلك ساكتين ، فاطلع كل منا على ما كتبه السلطان عبد العزيز الى الآخر .

قال في كتابه الى « الصديق العزيز مستر فلبي » :

« اذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا فعلى الرحب والسعة . وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم . اما اذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا ارى في البحث فائدة . . . . وانه ليس من مصلحتي الخاصة ومصلحتك يا صديقنا جعلكم وسيطاً في هذه المسئلة الاسلامية المحضة » .

وجاء في كتابه الى « حضرة الاخ المحترم السيد طالب النقيب »

« لقد ذكرتم انكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم ولكن نحب ان نعرف هل المقابلة شخصية ودية ام هي للوساطة في مسئلة الحجاز . فاذا كان الغرض من الزيارة التوسط في هذه المسئلة فاني لا ارى فائدة من ذلك . . . . واذا كان الشريف على يود حقيقة حقن الدماء فعليه ان يتخلى عن جده . واذا كان العالم الاسلامي يقبله او ينتخبه حاكماً للحجاز فمحله غير مجهول » .

وقال في جوابه على كتاب المؤلف :

« ذكرتم انكم موفدون من قبل جماعة في سورية وانكم تحملون كتاباً منهم الينا . اني ارحب في كل حال بصديقنا العزيز امين الريحاني ولكنه احب ان الفت نظركم الى امر هام . وهو اذا كان البحث يتناول المسئلة الحجازية فلا ارى فيه فائدة ، لان مشكل الحجاز ... وفي كل حال اني اجب ان يحله المسلمون . وترك الامر لهوى انفسنا ليس مما تقتضيه المصلحة الاسلامية ولا العربية .

[illegible]

توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة».

لا سبيل اذن للتوسط. ولكن طريقة السلطان في رد كل منا اختلفت باختلاف الصفات والاحوال. فالمستر فلبي تأكد ان عظمته لا يمانع اذا غادر جدة في اول باخرة — «ان المسئلة اسلامية محضة وليس من مصلحة ولا من مصلحة ابن سعود ان يتدخل بها». ومكان للسيد طالب بصفته مسلم بقية الامل — «وكيف لا يسمح ابن سعود بزيارة في الاقل بمكة؟ وحتى نواجهها باحسنا، والمواجهة نصف الحجة في الاقناع». اما المؤلف فالسلطان ترك له بابا مفتوحاً اذ قال: «اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة».

اعدنا الكرة على العظمة السعودية، فكتب المستر فلبي مودعاً، وكتب السيد طالب مستأذناً بزيارة «شخصية ودية» وملحاً بالاسراع لانه مضطر ان يعود الى مصر قريباً. وكتب المؤلف كتاباً يستوجب بعض البيان.

قد أسر الي احد الاصحاب في القصر شيئاً عن السيد طالب مستغرباً مضحكاً، واكد لي انه جاد في ما قال. أليس السيد خصم الملك فيصل اخي الملك علي؟ أوليس السيد صديق ابن سعود؟ فلا يستغرب اذا اتفق الاثنان على خصميهما مليكي العراق والحجاز. قلت لصديقي ان تصوره، وان كان سياسياً، تصور الشعراء. ومع ذلك فقد وضعت ارتيابه موضع الجد. وبما اني ظننت انه اسهل على السلطان ان يقابل طالباً بمكة من ان يخرج في تلك الاحوال الى جدة مثلاً ليقابل صديقه العربي المسيحي، عزمت على ارسال رسول مسلم لا صرافه برسالتي قبل السيد. وفي كل حال لم يكن في الامكان ان أؤدي كتابة الرسالة كلها. لذلك كتبت الى عظمته اقول:

«ان لصديقي حسين العويني التاجر السوري في جدة(١) علاقات تجارية في مكة المكرمة وهو مجهز للتجارة وللزيارة فيسرني مقابلتكم اذا اذنتم وحمل الى عظمتكم بعض خبري. اني اثق بحسين افندي كل الثقة. وفي اليسير الذي سيفوه به ما يغني عن البيان. فاذا اذنتم بقدومه امروا بملاقيه الى منتصف الطريق وبصحبة محافظاً الى مقامكم العالي».

ارسلنا الكتب هذه في ١٧ جمادى الاولى وبتنا ننتظر الاجوبة. مر الاسبوع ولم يعد النجاب. عندئذ ارسل الملك علي يدعونا للمفاوضة فحضرنا نحن الثلاثة، ولم يميزنا في المجلس، ففتح جلالته الحديث قائلاً: «دعوتكم لابسط ما جد في الحالة واستشيركم. قد جئتم ايها الافاضل الى جدة لخير الفريقين، بل لخير العرب، ويسوؤني والله ان تمس كرامتكم من اجل احدنا. انا والله لمخجول، فها قد مر الاسبوع ولم يجئكم الجواب من ابن سعود. والرجل متحرك فهو الان يعقد القبائل علينا. ورجاله منعوا عربانا من ارسال الفحم كالعادة الى جدة، ونحن هنا ما سكون نفسنا خط الدفاع يزداد منعة كل يوم، وجنودنا مستعدون للحرب، والطيارات كلها اصبحت صالحة للعمل. لذلك قد قررنا ان نرسل غداً بلاغاً الى اهل مكة بالطيارة، ثم نرسل سرب الطيارات لرمي القنابل في الابطح — على ذلك يوصلنا الى نتيجة فاصلة. وقد دعوتكم لاستشيركم في المسئلة».

(١) الأهلي

نقلم

صادق

(١) حسين العويني اديب سوري ووطني عربي ثابت العقيدة، صريح الكلمة، شديد اللهجة،
حلب العود. وقد أدّت به وطنيته العربية، في اول عهد الفرنسيين في سورية،
الى المنفى بالكورة، فقضى وبعضه وجهاء يدرس في الأسر هناك لغة الشهر، ثم
جاء الحجاز تتجاذبه السياسة والتجارة، فتعاطى الثانية ولم يهجر كل الهجر الاولى.
كان اول من اجتمعت بهم من السوريين عند وصولي الى جدة، فدعاني
للطعام في اليوم التالي، فلقيت بيته رحبًا، وكل ما فيه من فرش وذوق لامعًا،
فحللت ضيفًا عليه. وكنت كل يوم لما تبدى لي منه اخلاصه ووطنيته ازداد حبا له،
واعجابا به، فتآخينا وتعاونا في سبيل السلم والعرب.

صدق

٥

"تكلم السيد طالب اولاً فقال : "هل قنابلكم صالحة ؟ هل انتم متأكدون انها تنفجر . فاذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم ، فلا يخشى العدو بعد ذلك الطيارات . يجب ان تجربوها قبل ان تقدموا على العمل ، فاذا كانت صالحة فلا بأس ".

ثم تكلم المستر فلبي : " من رأيي يا جلالة الملك ان تنتظروا الآن يجيء الجواب . ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الاقل لا يأتي بفائدة ".

اما المؤلف فلم ير من الحكمة ان ترسل الطيارات الى مكة بصفة حربية . " انكم وان امرتم برمي القنابل في الابطح فقط تضرون بمصلحتكم ، حتى وان تقيد الطيارون بأمر القيادة العليا . نحن نعرف ان الابطح ساحة خارج مكة الى الشمال الشرقي منها ، ولكن العالم لا يعرف ذلك . واول قنبلة تقع هناك يطير البرق خبرها فتنشره الجرائد خصوصاً المعادية لكم بالقلم العريض . – الملك علي يمطر مكة ناراً من الطيارات – طيارات الملك علي تطير فوق الكعبة وترمي قنابلها في قلب المدينة ! وهذا مضر باسم جلالتكم ومضر بالمصلحة العربية ".

قد وافق المستر فلبي على رأيي وبدأت من الملك اشارة الاقناع . ولكنه ظل متمسكاً بنظرية ان الطيارات تخرج ابن سعود من مكة ، وتحمله على الفصل في الامر . فطلبنا تأجيل العمل ثلاثة ايام ، فاجاب جلالته الطلب . ثم قال السيد طالب : "واثناء ذلك جربوا القنابل ".

ولكن التجربة لم تتم . فخرج الدفاع بك في الطريق الى مكة ، فوقعت بجرة ، وقبل ان تنتهي مدة الانتظار فقضت المستر فلبي غضبة انكليزية وقفنا على الصلح السلام . ~~ولكنه~~ في صباح اليوم التالي ، على ان النجاب عاد ~~[illegible]~~ يحمل الاجوبة من السلطان وفيها الصديق المستر فلبي الدعاء بالسفر الميمون – بأمان الله . وفيها للأخ المحترم السيد طالب ان مكة في حال من الاضطراب لا يجوز معها المخاطرة براحته في الزيارة . وستصلكم وانتم في مصر اخبارنا الطيبة ان شاء الله . وفيها جواب على كتابي :

"لقد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم الينا ، فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والافكار والآراء .... وانا نرجو ان يحسن نقل افكار صديقنا امين الريحاني .. واني اشكرك على تجشمك المشاقة الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم ".

فذكر هذا الجواب جو القصر فبشر الملك واستبشر الوزراء ، كما انه لطف بروح الجبنة خارج السور . والجبنة طبعاً وصيفة عدوة السلم .

بادرنا الى الجواب والعمل ، فكتبت الى عظمة السلطان اقول : "اني مرسل مع العويني كتاباً من وجهاء المسلمين في بيروت ومذكرة ضمنتها آرائي في الحالة الحاضرة وما فيها مما يتعلق بالقضية العربية . فاذا كنت مصيباً في رأيي وصديقي

عبدالعزيز

عبدالعزيز لا ابتغي غير الصواب . وان كنت مخطئاً فنجي وخلافي يشفعان بما قد يعد نقصاً في عملي . اما

اذا كان في ما قدمت مزيج من الخطاء والصواب فانا اول من يرغب في التمحيص . واني اقبل الحقيقة من السوقة فكيف

لا اقبلها من الملوك . عاملوني يا طويل العمر اذا كنت مخطئاً ، واسمعوا لي اذا كنت مصيباً ».

لم يشأ ~~قضاء~~ العويني ان يسافر من جدة الى مكة محرماً ، فاشفقنا عليه من برد كبير ، خصوصاً في الليل . ولكنه أصر

على الاحرام وهو يقول : « لوجه الله وللقضية العربية » .

ثم احتضنني ساعة الوداع فلاقينا مختوماً وقال : « اذا لم ارجع يا امين فهذا الغلاف لأمي في بيروت » . عندئذٍ

ادركت حقيقة الخطر ، خطر الطريق في الاقل ، واحسست بشيء ثقيل حل في قلبي .

ولكني موهت ما بي وانا اسر اليه الكلمة الاخيرة . « وهذا غلاف صغير يا حبيب بدل غلافك الكبير ، وهو كذلك

مختوم بالشمع الاحمر . فبعد ان يطلع السلطان على الكتب والمذكرة التي بيدك اعطه هذا الغلاف ، وجوابه على

ما فيه كلمة يقولها لك يوم يأذن برجوعك عند الوداع » .

ودعناه امام القصر ، بعد ان ودع جلالة الملك ، فركب الدملة التي كانت تحمل حقائبه ، وركب النجاب وخادمه — وسار بعد الغروب بأمان الله ، يصحبه خادمه والنجاب

ورفيق آخر . فساروا بأمان الله بعد الغروب في ٢٢ دكمبر (٥ جمادى الاولى) فوصلوا في ظهر اليوم الثاني الى — ولكن الطريق لم تكن آمنة .

المخيم السلطاني بالشهداء (١) . وكان العويني رسولاً مكرماً ، ورسولاً مقنعاً ، فلم يبطئ السلطان هذه المرة بالجواب . غاب

لم يبطئ عظمته بالجواب هذه المرة . فقد غاب العويني ثلاثة ايام فقط ، وعاد في الخامس والعشرين من شهر دكمبر ، وفي ذات اليوم — فعاد

وصل الى جدة مساء ، فوقف في باب الردهة التي كنا ننتظره فيها ، وهو يحمل حقيبته ويتبسم ابتسامة خفقت لها القلوب

سروراً . وقد كان ساعتئذٍ مع الملك رئيس الحكومة الشيخ عبدالله سراج ، ووزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب ، ورئيس

الديوان الهاشمي السيد احمد السقاف . سلم العويني وجلس على السجادة ، فاخرج من حقيبته جواب السلطان ودفعه الى

قرائه وقدمته لجلالة الملك ، فطالعه ونور الجذل يتلألأ في عينيه ويضيء وجهه .

« قضي الامر . وما بقي غير الجزئيات . بارك الله فيك يا حسين . بارك الله فيك يا امين ! »

قال هذا وقبلنا نحن الاثنين ، ثم نزع عن رأسه العقال والكوفية ونادى : « هاتوا شاي . . .

يشهد الله اني لا احب ان تهرق نقطة واحدة من دم العرب » .

وقد كان جلالته تلك الليلة في بهجة قلما شاهدناه في مثلها . ولا غرو فمن سجاياه الشريفة انه رجل مسالم محب للسلم .

فقد لقي صديقي ورفاقه في حجرة تلك الليلة، في القهوة المهجورة المظلمة

دخلوا بعد نصف الليل

التي أووا اليها، ما يروع حتى البدو.

ليناموا، او يستريحوا قليلاً. فأحس العوني عندما التي بيده الى الراحة

ان هناك شيئاً مائعاً لزجاً، فأشعل عوداً من الكبريت فاذا به دم

واذا بالدم ~~[illegible]~~ لا يزال طرياً ~~كما~~. فأشعل عوداً آخر

فاذا بالجثة - جثة اعرابي قريبة منه! ~~[illegible]~~ ولكنه

ورفاقه، بعد استراحة قصيرة في العراء، ادلجوا من ذلك المكان

سالمين، فوصلوا في ظهر (التتمة)

ولعود السلم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب المكرم صديقنا العزيز الاستاذ امين الريحاني المحترم : تحية وسلاما .

وبعد (١)

لهذه الكتب خصوصية وسرية لا فائدة من نشرها في الوقت الحاضر لا هي ولا ما يتعلق بها بدل . علي

---

(١) كان قد نقل المخيم من المعابدة بالابطح الى الشهداء خارج مكة في طريق جدة . والشهداء سهل يبعد عن جرول طرف مكة الغربي نصف ساعة .

وبعد فقد اخذت بمزيد السرور كتابك المرسل مع حسين العويني . وكذلك وقفت من الرسول على كل ما حملته اياه من الافكار والآمال . اني اشكرك كل الشكر على حميتك وعروبتك الصادقة كما اشكرك على حسن ثقتك بنا . انتما يا امين كما تعهد وكما خبرت . ولا نحول عن طريقنا وعن خطتنا التي وقفت عليها في الرياض . وهي خطة المسالمة والاتفاق مع من يسالمنا ويحب الاتفاق معنا . اما من يريد بنا وببلادنا الشر فنحن عليه حرب لا تنطفئ . ليس في الدنيا مستحيل يا امين . بل كل شيء ممكن الوقوع . انا وضعنا ارشاداتك في محلها الائق بها . ولكن نحب ان تعلمنا برأيك الخاص في المسائل الآتية :

١) ما هو مركز الامير علي في الحجاز . ٢) ما هو مركز حكومة نجد في الحجاز وما هي الحقوق التي سيكون لها فيه (٣) ما هي علاقات الامير علي بأبيه واخويه .

هذه المسائل احب ان اقف على افكارك فيها واني يا امين لولا ثقتي بك ومحبتي لك وتقديري لاخلاصك ما وضعت افكارك ذلك الموضع من الاهمية . هذا وتقبلوا فائق احترام المخلص

(الختم)

وهي ذي خلاصة الجواب الذي حمله النجاب في اليوم التالي الى المخيم السلطاني بالشهداء :

" الجواب على السؤال الاول - ما هو مركز الامير علي في الحجاز ؟

هو ملك الحجاز بالبيعة الشرعية ، ملك الحجاز فقط ، ولا مطامع له بالخلافة ، ولا يبغي شيئاً مما كان يبغيه والده من السيادة خارج الحجاز . وهو يود ان يكون على وفاق تام مع امراء الجزيرة كلهم خصوصاً مع سلطان نجد .

الجواب على السؤال الثاني : اننا نسعى ونؤمل ان يكون الحجاز حليفاً لنجد والحليف يعاهد الحليف على امور سياسية وحربية ، واقتصادية وتجارية ، يكون الحقوق فيها متساوية والمصالح مشتركة . ومن وجهة خصوصية سيكون لنجد حق بقيمة من دخل جمرك جدة بالنسبة الى ما يصدر الى نجد من الامتعة والارزاق (١) .

الجواب على السؤال الثالث : اما من جهة الوالد فلا اظنه يرجع الى الحجاز . وقد علمت ان المفاوضة جارية في نقله من العقبة . اما علاقة الملك مع اخويه فاني اؤكد لكم انها لا تتجاوز الاخوة . وقد سمعته يقول انه لا يتدخل قط في شؤون احد منهما ويأبى ان يتدخل احدهما في شؤونه .

هذا ما اجيب به الآن على سؤالات عظمتكم . وقد ظهر لي من حديث صديقي العويني انكم في ريب من امر المعاهدة الانكليزية الحجازية . والحقيقة ان الملك علي لم يوقعها . وقد اخبرني انه ارسل برقية الى ناجي الاصيل يمنعه عن المفاوضة والحكومة البريطانية بشأنها ."

وكنت ارسلت هذا الكتاب وانا متيقن ان السلطان سيبعث في جوابه الاول مكاناً للاجتماع وفدي نجد والحجاز للصلح . وكنت في يقيني مستنداً ليس فقط على الكتاب الذي حمله الي العويني . فقد سألته عندما خرجنا من القصر عن جواب السلطان على ما

تضمنه

(١) وكنا قد اتفقنا على ان تدفع عند عقد المعاهدة قيمة مقطوعة مقدارها ستون الف ليرة ، وقد اشار اليها العويني في حادثه مع السلطان .

تضمنه الغلاف الصغير المختوم فقال :

عندما ودعته قبلني وقال لي قبل الامين وقوله : مكة .

مكة ! وهي كلمة السر الذي نشره الان الى التاريخ . من المعلوم ان رسائلي الى السلطان كان يطلع عليها الملك علي

ومن المعلوم ان في الحروب تحتفظ القيادة العليا باسرار لا تتجاوز الاثنين من اولي الامر او الثلاثة . اما في بلاد

مثل نجد فلا تتجاوز السلطان .

فقد يرغب السلطان بالسلم مثلا ، ولا يريد ان يفصح عن رغبته خصوصا في كتاب سيطلع عليه خصمه . فقد يرغب في السلم

ويرى من المصلحة ان يتظاهر بعكس ذلك ، فاحببت ان اعرف ما في قلبه - واعرف وحدي - لا سلك بموجبه لوندن

كتبت اليه ما يلي :

" اذا كنتم ترغبون في السلم فارجوكم ان تقولوا للرسول ساعة الوداع : مكة .

واذا كنتم ترون متابعة الحرب بالرغم معارضتنا فارجوكم ان تقولوا له : الطائف " .

ولولا هذه الكلمة : مكة، لما قبلت ان تقام في النجف " الرحمتين " ليلة رأس السنة " سنة ١٩٢٥ " حفلة اكرامية

لرسول السلام ، حضرها كبار رجال الحكومة وعدد من القناصل .

وقد جئنا في تلك الحفلة على ذكر السلطان عبد العزيز ، رجل العرب ، ورجل الحرب والسلم في البلاد العربية ، فشدد له

الحاضرون مرارا . وقال الشيخ محمد الطويل : " سنحتفل بعد ما يجيء جده احتفالنا بجميلك ظافر محبوب ، وسنضع تحت

امره السفن وسنزجنوده بواخر الحكومة كلها " .

[illegible]

كتب اليّ يوسف يعقوب : لا لزوم لنشر الكتاب ولا يشتمّ رائحة

دولة هذا الحاكم [illegible] حضوري وان هذا ما يستحق [illegible]

[illegible] عند [illegible]

[illegible]

تاريخ نجد الحديث

الفصل الثامن والأربعون -

الفصل الثاني والخمسون

الملحق: فتوى علماء نجد

الأمر السلطاني

٢١٠ - ١٨٣

١٥ - ١

١٨٢

الفصل التاسع والاربعون

الطيارات

وقد كان هناك اناس لا يرضون بالسلم ، منهم في مكة الاخوان والاشراف ، ومنهم في جدة الجندية وجماعة من وجهاء الاهالي المناوئين للبيت الهاشمي . وقد كان لكل فريق من هؤلاء ، في مكة وفي جدة ، غرض خاص في مقاومة المتوسطين وافساد مساعيهم . على ان غرض الاخوان اطهرهم لانه ناشئ عن عقيدة راسخة في النفس ومجرد عن المنافع الشخصية . اما الآخرون ، اي الاشراف والجندية والمناوئون للبيت الهاشمي في جدة ، فقد كانوا ينشدون اما الشهرة ، واما الانتقام ، واما المنفعة . وشر الحوادث برهانا وبيانا .

عندما جاء الاذن من السلطان عبد العزيز بارسال ريحاني العربي اليه ، كرر الملك علي اوامره الى القيادة العالية في ان تؤجل ارسال المنشور الحربي الى اهالي مكة الى ان يصدر امر آخر بخصوصه ، وان تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر نسخة واحدة منه ، وان تشدد على الطيارين بان لا يتجاوزوا في استكشافهم بحرة .

ولكن في ١ جمادى الثانية (٧ دكنبر) اي بعد يوم من سفر النجاب ، وهو يحمل الى عظمة السلطان جوابي وفيه التمس ان يعين مكاناً للاجتماع وفود السلم ، بعد ظهر ذلك اليوم طارت طيارة الى مكة ، ورمت في الابطح وفي المخيم السلطاني بالشهداء نسخاً من منشور الملك علي ، المنشور الحربي الى الاهالي (١) .

ساءتني الى القصر اوجه الملك ، فاذ هشى منه انه يجهل الامر . وما كان الوزراء ولا رئيس الحكومة حاليين ، فقرع جلالته الجرس الصغير على المائدة الصغيرة امامه ، فجاء احد كتبة الديوان فقال له : "نادي تحسين باشا ليحضر حالاً" . جاء حالاً تحسين ، واقر ان الطيارة تجاوزت بحرة ولكنه انكر انها رمت نسخاً من المنشور .

اما السبب في تجاوز الاوامر — كلام الباشا — هو ان خللاً "صغيراً" في المحرك حمل السائق على الاسراع في السير ليقي الطيارة من السقوط الى الارض ، فطارت بحكم الاسراع في خط مستقيم طيرة طويلة فلم يمكنه اثناء ذلك من ضبطها وردها . لم يفه جلالته بكلمة . [illegible] فقلت وفي صدري غضب مكتوم : "لا ادري يا باشا ان هذا السبب كافياً لتبرير التجاوز . وانت ادرى بنتيجة مخالفة الاوامر العالية في ايام الحرب" .

فقال تحسين : "ما هو امر مهم" .

فقلت : "كل امر سلكي مهم يا باشا" .

فتكلم اذ ذاك جلالته مخاطباً القائد بالتركية ، فنهض مسلّماً وانصرف .

وفي اليوم التالي جاءتني تفاصيل الحادث ، فاثبتت ظني ان تحسيناً لم يصدق الملك الخبر ، فبادرت الى القصر وكلمت جلالته قائلاً :

"ماذا يقول السلطان بعد ان يقرأ كتابي ثم يشاهد طياراتكم ويقرأ منشوركم الحربي ؟ لا شك انه يقول اني اما مخدوع

(١) وقد جاء في هذا المنشور : "لقد جمعنا شعثنا واقبل اخواننا الينا من كل حدب وصوب حتى اصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نحره . ولقد جهزنا جندنا بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية ، وها نحن على اهبة الرحيل اليكم وتطهير بلادنا من المغتصب لها " . "اقلب"

طيارتنا بالتحليق في جوكم لتمطر العدو وابلاً من القذائف النارية. كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة .. ولا تجعلوا للعدو سبيلاً الى الفرار .... واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما اوتيتم، فالوطن اعلى من كل شيء لديكم ".

وفي جواب الملك علي على كتاب اهل مكة الذي يطلبون فيه الارزاق . المؤرخ في ٢٥ جمادى الاولى ما يلي :
"فان كان هو [ابن سعود] واذنابه يحترمون حرم الله وجيرانه ويعملون مثل عملي ويخرجون الى خارج الحرم فهنالك تظهر حقائقهم ان شاء الله . ويرون كيف يكون الذود عن الحياض والدفاع عن الحوزة . وان لم يخرجوا ولبثوا مطائنهم جامدين فإننا سنوافيهم من بين ايديهم ومن خلفهم . ومن فوقهم [الطيارات] حتى تكون كلمة الله هي العليا ".

وقد كان في القصر كما كان في القشلة اناس لا يعينون الملك على قيامهم .

وكانت تحد طارت منذ يومئذ، اي قبل انقضاء مدة التأجيل التي امر بها الملك، فشاهدها الصويني بعد خروجه ذلك اليوم من المخيم السلطاني [illegible] وعند وصوله الى الشميسة ..

سارعت الى (القلب)

واما مخادع . ان هناك مؤامرة يا مولاي لافساد مساعينا السلمية ، ونقطة الدائرة لتلك المؤامرة هي القشلة . نعم ان هناك زمرة من الضباط وغيرهم لا يريدون السلم . وانا اسعى بكل ما عندي من القوة ، ومن الحب والاخلاص لكم ولابن سعود في سبيل السلم . فاذا كنتم حقاً تبغون السلم فعليكم بالشدة في تنفيذ اوامركم . القيادة العليا لجلالتكم لا للتحسين المغفير وارکان حربه . ويجب ان توقفوهم عند حدودهم . يجب ان تتخذوا خطة العزم والشدة في تنفيذ اوامركم . وحقي ان اطلب ذلك ما زلت ساعياً في سبيل السلم وما زلتم انتم راضين بسعيي"

عند ذلك اخذ جلالته يدي بيده وقال : "اني اميل الى حسن الظن بالناس ، ولا اسئ الظن الا بعد التثبت والتحقيق وقد تحققت اشياء - تحققتها يا امين - وسيافر فلان و فلان و فلان في الباخرة القادمة - وساودع تحسين باشا ، ولكني افضل ان يكون ذلك في مجلس خاص له"

خرجت والشيخ فؤاد اذ ذاك من المجلس وعرجنا على مكتب رئيس الديوان . ثم جاء تحسين . وبعد المقابلة الخاصة خرج من القصر دون ان يزور الرئيس كالعادة . وقد صدر يومئذ امر ملكي بنقل اعداد المنشور كلها من القشلة الى القصر ، وحبس ضابط المراقبة ~~بالطيارة~~ عشرة ايام .

اجتمعت بعدئذ بهذا الضابط ، وهو عبد الفتاح اللاذقي ، فسألته ان يصدقني الخبر فقال : "عملت والله باوامري . نعم طرنا فوق الابطح والشهداء ورمينا المناشير"

اعود الى مذكراتي في تلك الايام :

٢ جمادى الثانية (٩ دسمبر) خشي ان يكون المنشور قد اثار غضب السلطان فيعدل عن خطته السلمية . اخشى ان يكون السبب الطيارات . لم يعد النجاب .

~~ولكني عجلة~~ ولكني احس بما هو جار في مكة [احسست واناني جدة بما]. فقد عقد في ٤ جمادى الثانية بالشهداء مجلس حربي ترأسه السلطان وحضره جمع من القواد والاخوان ، فتكلم فيه ابو حميد ابن بجاد مخاطباً الامام عبد العزيز .

"انا نعلم ان لا اصلاح في امر دين ودنيا للمسلمين عموماً ولهذا البيت واهله خصوصاً بوجود الحسين واولاده في الحجاز فاذا كان هذا ثابت عندنا ونعتقده ديناً فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فان كنت تخاف على احد من رعايا الاجانب او احد من اهل جدة فلك منا العهد والميثاق اننا لا نمسهم بشر - الا من برز منهم لقتالنا او بلا نفسه ونحن كما تعلم نتجنب ما أمرنا بتجنبه . والان فلا بد لنا من احد امرين . الاول ان تعلمنا الطريق الذي يجب ان نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الامر . الثاني اذا كنت لا توافقه في الزحف لما تراه من الامور التي انت اعلم بها منا ، فلا يجوز ان تظل بعيدين عن اعداء الله هذا البعد . بل يجب ان نقترب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم . اما الامر الاول فهو مرامنا واما

الثاني

الثاني فليس الا مرضاة لخاطرك يا الامام لان الله اوجب علينا طاعتك».

ثم تكلم خالد بن لؤي فقال :

«يا عبد العزيز اني اقول كلمة وان كانت تغيظك. كنا نتحدث فيما بيننا ونقول: قد بدل عبد العزيز الشجاعة بالجبانة وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه. اما اليوم فصرنا نقول: ليته ظل في بلده بعيداً عنا. فان كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن الهجوم فبينه لنا حتى نتبعه. وما نحن الا خدام الشرع. واذا كان لا قصد لك غير الشح بانفسنا عن الموت فما من احد يموت قبل يومه. وما نتمنى والله ان نموت الا شهداء. فاي قتال تراه افضل من قتال الحسين واولاده؟ واي عمل جاء فيه الضرر للاسلام والمسلمين اكثر من عمل الحسين واولاده؟»

هذا من اخبار مكة الرسمية. اعود الان الى مذكراتي.

٧ جمادى الثانية. ( ) يناير ١٩٢٥)

غيمة سوداء في سماء السلم. كنت في مجلس الملك صباح اليوم عندما وصل رسول من مكة يحمل الى جلالته كتاباً سرياً من احد انصاره هناك، فاخبر الرسول ان جنود خالد نقلت من الابطح «ولا يدري في اي جهة توجهت وان خالداً هو عند السلطان بالشهداء، وان السلطان يتأهب لنقل المخيم الى بحره.

كان الملك قد قرأ الكتاب ووضعه، وهو عابس مضطرب في جيبه. ثم خرج واعاد قراءة شيئاً منه على مسمع رئيس الحكومة ووزير الخارجية ومسمعي.

- اجتمع ابن سعود بالاشراف - اشراف الحرث والفعور والعبادلة - وتباحثوا في انتخاب ملك للحجاز. وكان الاجتماع في بيت ~~عدهم~~ حفيد الملك حضره من المعروفين الشريف شرف عدنان والشريف علي بن الحسين والشريف باشا العبدلي والشريف هزاع بن فتن بن منصور.

الاجتماع كان ؟ في قصر جلالته [illegible] الملك والاشراف ويكي علي بن الحسين حفيد

هؤلاء اعداء السلم في الجهة الاخرى بمكة، فذاهم وفد ناصروا ابن سعود، يخافون على انفسهم اذا عاد علي. وقد قالوا للسلطان عبد العزيز: «أنصالح من عاديناه من اجلك؟ اتتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الان من رجالك؟؟»

٧ جمادى الثانية مساء الجمعة.

وصل جماعة من اهل جاده من مكة فاخبروا ان ابن سعود ومعه نحو الف من جنوده وصل الى حداء.

في مجلس الملك: دخل تحسين باشا الفقير وعارف باشا الادلبي وزير الحربية والبحرية وعلى وجهيهما سيماء الغضب والاضطراب.

احد الوزيرين: «علمنا ان الاخوان مشوا من بحرة، وقريباً يصلون الى الرَغامة».

الوزير الاخر: «يجب ان نرسل عليهم الطيارات لعنهم الله ولعن اجدادهم».

الوزيران: «غداً صباحاً نرسل الطيارات كلها عليهم فنمطرهم النار والرصاص ونفنيهم ان شاء الله».

ثم احتدم الجدال. فقال وزير الحربية: «هذه المساعي السلمية تحول دون تنفيذ خطتنا العسكرية».

دزر

وزير البحرية : "بل افسدت علينا خطتنا واضرت بمصلحة جلالتكم ومصالح البلاد ".

فقلت : "ومن افسد المساعي السلمية ياباشا ؟ والله لو كنتم مخلصين لمصلحة جلالة الملك ومصالح البلاد لتقيدتم

باوامره العالية " :

الملك : "قد تغيرت الوضعية يا استاذ - ويجب ان نحتاط للامر . يجب ان نباشر الات الدفاع ".

الوزيران : "غدا صباحاً تطير الطيارات ".

- "قبل ان يعود النجاب ؟"

- "النجاب لا يعود ".

قلتم هذا القول في المرة السابقة - ثم عاد النجاب وبكم الجواب .

ثم طلبت ان تؤجل الحركات العسكرية يومين آخرين الى الاحد - فاجيب طلبي على شرط ان اكتب في تلك الساعة الى ابن سعود

استعجل جوابه . فكتبت اقول :

"علمت هذا المساء ان رجال عظمتكم وصلوا الى الحداء في صورة حربية ، فاخذني من ذلك العجب . وارجو ان يكون

الخبر مكذوباً . في كل حال التمس الجواب العاجل ".

ثم كتبت الحاشية الآتية :

~~"الحكومة والجند في قلق وارتياب مما شاع هذا المساء . وهم يأبون التربص والامتناع عن الحركات الحربية .~~

~~ولكني تمكنت من توقيفهم يومين آخرين - الى مساء الاحد - فيكون رجائي ان شاء الله الجواب الشافي من عظمتكم"~~

~~ثم اضفت هذه الكلمة~~ :

"الطيارة التي اشرفت على مكة تجاوزت الاوامر فعوقب الطيار بالحبس ".

السبت في ٨ جمادى الثانية .

طار الطيار الروسي صباح اليوم الى وادي فاطمة فحلق فوق بحرة وحداء والشميسة ، وعاد يقول انه لم يرَ ابن سعود ولا جنوده

ولا احداً من البشر او الحيوان في الطريق .

اين الاخوان الزاحفون من بحرة !

الاحد في ٩ جمادى الثانية - صباحاً .

نائب قنصل هولانده على الهاتف : "وصل جماعة من مكة في هذه الساعة فهل ان تستخبرهم اذا شئت "

بادرت الى القنصلية فعلمت انهم غادروا من مكة يوم الجمعة بعد الصلاة في الحرم ، ولم يكن هناك كثيرون من المصلين ،

وانهم عند خروجهم من جرول رأوا قافلة من الجمال وفيها بين الاحمال ثلاثة مدافع ، وانهم عند وصولهم الى حداء رأوا

فيها خياماً عديدة ، نحو مئتي خيمة . هناك وقفت القافلة وهناك باتت الجاويون . وفي صباح اليوم التالي السبت ، رأوا

طيارة تطير فوق حداء وقد اطلق عليها الاخوان بنادقهم (هي الطيارة التي طارت الى الشميسة كما ادعى الطيار - والمراقب

وقالا انهما لم يريا احداً في الطريق) .

جنة

جئت من تفصيله الى القصر فقال الملك بعد ان اخبرته عن الطيارة التي اطلق الاخوان عليها الرصاص: قد تكون النجوم حالت دون رؤيتهم. - وكيف انها لم تحل دون الطيارة ونظر الاخوان ؟ .

ودخل اذ ذاك الحاجب يقول: الوكيل الانكليزي. وكان الوكيل قد جاء يهنئ الملك بصحته. وبعد قليل دخل نجيب باشا فدق مهمازي جزمته دقة سريعة شديدة، وسلم، ثم استأذن بكلمة خاصة: فقال الملك: مهمة؟ فاجابه: مهمة جداً". ومشى وراء جلالته الى الغرفة المحاذية للمجلس، وما هي الا دقيقة فعاد الاثنان يبتسمان والملك يقول: "جاؤوا - نحو مئتين خيال منهم. رأتهم القيادة خارجين من بين الجبال" وقال نجيب يخاطب الوكيل الانكليزي: "انا رأيتهم بعيني. صاروا في السهل".

صدر الامر بإطلاق المدافع عليهم. وبادر كل من في القصر من الشريف محسن الى اصغر العبيد، الى البندقية وزنّار الخرطوش. ~~[اي حزام الرصاص]~~ ووقف جلالته وبعض حاشيته في شرفة القصر يرقبون السهل بالنظارات.

ودعاني الوكيل الى دار الوكالة لان لها منظرة تشرف على السهل كله، فخرجنا من القصر ونحن نلاحظ، رغم الاستعداد، الخوف والذعر. وقد ظن الناس ان الاخوان سيهاجمون خط الدفاع في ذاك اليوم ويخترقونه فيدخلون المدينة. لذلك اقفلت المخازن ولجأ الاكثرون الى بيوتهم.

وكانت المدافع تطلق الطلقة تلو الاخرى على الاخوان. واين الاخوان؟ كنا نرى من منظرة دار الوكالة البريطانية غباراً هنا وهناك، في اطراف السهل، غباراً تثيره القنابل المتفجرة، ولا احد في جوارها.

ثم خرجت الخيالة من بين الجبال فعدت تجاه الخط الى الجنوب. وظهرت فرقة اخرى في الشمال الشرقي من السهل خيالة التوحيد! نحو ثلاثمئة منهم. جالوا في ذاك السهل في رابعة النهار جولات عدة، وقنابل المدافع تثير الغبار بينهم حيناً واحياناً وراءهم. وقد كان هناك قطيعاً من الغنم فساقوه امامهم وهم يتراجعون. وكان قد خرج اليهم ثلاثون من خيالة الدرك فجالوا مثلهم بضع جولات، ووصلوا الى تلة في مالك ~~التي كان~~ ظنوها مكمناً ~~ظنوا البعض الاخوان فيها~~، فلم يجدوا احداً هناك.

حوش لما تقدم من الاسباب

وفي ذاك اليوم، ساعة الظهر، وصل النجاب عائداً من معتمد السلطان يحمل اليّ جواباً ~~جاء فيه~~:

عكس جوابه الاول

~~"قد كدرني يا صديقي اكثاركم من ذكر الجنود ونحسهم. فاذا كنتم تريدون في ذلك تخويفنا فتلك مصيبة. واذا كان القوم كباراً في اعينكم ونحن دون ذلك فالمصيبة اعظم ... وقد ارسل علينا منشوراً الى اهل مكة بالطيارة وفيه يحض لقتالنا ويطلب المناجزة فاجبناه حالاً. والكريم اذا وعد وفاء. ونرجو الله ان يحمينا من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا وان ينصر دينه ويعلي كلمته، اياه نعبد واياه نستعين".~~

التاسع والاربعون

الفصل ~~الخمسون~~

لنا ولرسل الرحمة

عاد السيد طالب النقيب من جدة حانقاً على ابن سعود . وعاد المستر فلبي مريضاً فمات حنقه على جدة وكل من فيها . وسافرت انا منها حاملاً في حقيبتي قنبلة من قنابل المدفعية النجدية .

ولكني قبل ان ظفرت بها عرضت نفسي لقنابل الغضب السلطاني . ذلك لاني لم اقطع الامل وان قرب الرحيل قبل ان استنفدت كل ما في الكنانة ، واغتنمت كل فرصة سنحت ، في سبيل ما جئت جدة من اجله .

نعم كنت اعتقد واتيقن ان الخير كل الخير في الصلح بين نجد والحجاز ، وما همني ان تجرح كرامتي في ذا السبيل . لا والله . فما كرامة المرء اذا قيست بكرامة الامة ؟ وما ضر امرئ اذا صُدَّ في سبيلٍ وطني شريف . بل ما ضره اذا استطاع ولو في تعريضه نفسه للاهانة ، ان يحقن دماء المتحاربين من اهل وطنه ؟ ان اصابة الرأي في مثل هذه الحال لتغني التضحية الشخصية ، ~~وان~~ والذي ما يحزن المجاهد المخلص هو الفشل لا امتهان الحرمة .

قد كتبت الى عظمة السلطان عبد العزيز مظهراً خشيتي من الانقلاب السريع في خطته ، [illegible] كتبت اليه متكلماً ، وكتبت اليه ملوماً . فاجابني بلهجة فيها اثر للغيظ ولكنها لا تخلو من العطف ولا تخلو حتى من امل كنت اقرأه بين السطور . فلم يقفل عظمته الباب على الثالث من رسل السلام الا في كتابه الاخير [illegible] وقد كان يكرر قوله : "ان الشريف على دعانا للمناجزة فلبيناه[1] . . . . لم نشأ ان نحمل الشريف على مؤونة القدوم الى الحرم فرحضنا اليه وامرنا ان يكون قسم من جندنا على كثب منه . فليبرز اذا كان من الصادقين ".

ومع ذلك ظللت مقيماً على ظني ان الصلح ممكن حتى بعد المناوشات الاولى ، خصوصاً لان في العشرة الايام التي تلت الهجوم الاول لم تبد من الاخوان حركة ما ، ولا ظهر شيء من طلائعهم في سهل جدة . وعندما حضر طبيب التكية المصرية بمكة وهو عائد بالاجازة الى مصر ، اجتمعت به في مخيم الهلال الاحمر فظهر لي من حديثه انه عالم بشيء مما كتبته الى عظمة السلطان . ونقل الي بعض كلمات دلت على انه من الذين يحضرون مجلس عظمته الخاص . ومما قاله لي : "السلطان يحترمكم ويود دائماً بذكركم ، فاكتبوا اليه مرة اخرى ولكن الطفوا اللهجة " ثم تطرق الى ذكر الهلال الاحمر وسألني بل الح علي ان اسعى لدى الحكومة لتأذن بارسال قسم من البعثة الى مكة .

الهلال الاحمر المصري يستوجب كلمة في هذا التاريخ . فقد ارسلت الجمعية المركزية في القاهرة بعثة الى الحجاز مؤلفة من ستة اطباء وصيدلي وثمانية ممرضين واربع ممرضات وحكيمة واحدة ، وكانت البعثة مزودة بكمية وافرة من الادوية والعقاقير ، ومستشفى متنقل مؤلف من ستين سريراً بمعداتها اللازمة .

نقحت

---

(١) إشارة الى المنشور الحربي الذي رمته الطيارات في الابطح بمكة وفي المخيم السلطاني .

نصبت هذه البعثة خيامها في الطرف الجنوبي من جده عند وصولها، ثم نقلت الى الطرف الشمالي، الى مكان أنظف وأفسح من الاول، على شاطئ البحر، وراء القنصلية الافرنسية، وامام البيت الذي كنت مقيماً فيه. فكنت ورئيسها الدكتور حسن حلمي كراره نتزاور من حين الى حين.

وعندما ظهرت طلائع الجيش النجدي في ٤ يناير، وقطع الناس الامل بنجاح مفاوضات الصلح طلب الدكتور كراره من الحكومة ان تأذن بارسال قسم من البعثة الى الجهة الاخرى لتتم وظيفتها، فرفضت الحكومة قائلة ان الطريق غير آمن وانها لا تستطيع تأمينه. فجاء رئيس البعثة يسألني ان اعرض المسئلة على الملك فوعدته بذلك. وفي ذلك الصباح بعد خروج الدكتور، زارني رئيس الحكومة فكلمته في الموضوع وبينت له الخطأ في رفضه الطلب لان المشروع خيري ولا دخل فيه للسياسة، الى ان قلت: «هؤلاء رسل الرحمة فلا يجب ان يقال فيكم انكم صددتموهم عن العمل الذي انتدبوا له».

ووعدني عطوفة الرئيس خيراً، ولكنه بعد يومين، عندما راجعته في الموضوع، قال معتذراً: «لا جمال عندنا لنقل البعثة واحمالها». ففهمت من لهجته ان هناك غير هذا العذر مما لا يجوز التصريح به.

ثم جاء طبيب القنصلية بمكة يجدد الطلب، فسألته: «وهل يرسل السلطان الى منتصف الطريق جمالاً تنقل احمال البعثة؟» فاجاب: «نعم هو يرسل خمسين جملاً». فذهبت اذ ذاك الى القصر وعرضت الامر على الملك علي، سائلاً باسم الانسانية ان يأذن بارسال جزء من البعثة الى ما دون الخط، وقلت انها فرصة اغتنمها لاكتب الى السلطان مرة اخرى في موضوع السلم، بل هي فرصة يجب ان يغتنمها جلالته ليظهر ان لا حقد في قلبه على المصريين. واذا لم تأت بفائدة سياسية فلا اظن جلالته يحول دون فائدتها الانسانية الشريفة. الهلال الاحمر خيري محض لا سياسة له ورجاله رسل الرحمة.

فضحك الملك، وقد وضع يده بلطف على يدي: «قل هو محض خيري يا استاذ؟» ثم أسر الي السبب الحقيقي في رفضه الطلب. - «قد جاءني كتب من مصر يحذرني اصحابها من هذه البعثة الخيرية. اكد يا استاذ انها ليست محض خيرية. ان لها صبغة سياسية. وان لم تظهر للعيان. وانت تعلم موقف مصر السياسي تجاه الحجاز في السنين الاخيرة. فهل أُلام، والبلاد في حرب، اذا تحذرت؟ وهل كنت انت تتساهل في الامر لو كنت من المسئولين في الحكومة؟»

سمعت كلام الملك ولكني لم اقتنع. وحزنت لاني لم استطع ان اقنع جلالته بما كنت اعتقده في تجرد البعثة عن السياسة. وهب ان ما جاء الملك علي من المعلومات هو صحيح كله اما كان في وسعه وهو المعروف بكرم الاخلاق المتصف بالشهامة ان يحسن معاملة اعضاء البعثة فيستميلهم اليه؟ لم ار مرة في مجلسه احداً من الاطباء المصريين. وما علمت انه مرة دعا رئيسها للطعام مثلاً في القصر.

نعم

نعم قد كان في امكانه ان يكتسب ثقة رجالها ويستخدمهم اذا فرضنا ان ذلك ممكناً لغرض . فقد كان
في امكانه ان يصلح من هذا القبيل ما افسده والده ، فيغتنم الفرصة التي سنحت البعثة بها ليعقد حبل الولاء
بينه وبين مصر ، وليفتح باباً جديداً للسلم بينه وبين ابن سعود .

عدت من القصر يائساً . ولكني مع ذلك كتبت الى السلطان عبد العزيز كتاباً آخر اقول فيه اني لا ازال في جده
وعلى في بقائي ، نظراً لتطور الامور ، فائدة لعظمته فجاءني من الجواب ~~الآتي وهو الاخير في هذه المفاوضات~~
الذي فيه فصل الخطاب :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى حضرة المكرم صديقنا الاستاذ امين الريحاني دام بقاه .
تحية وسلاماً . وبعد فقد اخذت كتابك المؤرخ في ٢٧ جمادى الثانية واحطت علماً بما قصدت
واشرت اليه . لا سيما تكدرك مما اخبرك به الدكتور عبد الهادي (طبيب الشركة المصرية لا بمكة) اني لا ازال
اضع حسن ظنك وغيرتك القومية موضعهما اللائق بهما . ولكن ما كنت احب لك التمادي في هذا
السبيل بعد ما بينت لك رأيي مراراً . فما دمت تحرص على صداقتنا كما نحب لك ولغيرك من اصدقائنا
فالاوفق ان تغادر المكان الذي انت فيه وتتفرغ لاعمالك العلمية . فان الخطة التي اختططناها
لانفسنا سنسير بموجبها معتمدين على معونة الحي القيوم الذي بيده ملكوت السموات والارض والله
ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير . ١ رجب ١٣٤٢ (ختم)

[illegible] وحذف الملاحظات

ثم ختمه

وصلني هذا الكتاب بعد الظهر ، وفي صباح اليوم التالي ختمه بقنبلة الهجرة في الشارع امام البيت الذي كنت مقيماً فيه ،
وتركتها قنبلة الهجرة ~~داخل~~ خارج السور ، ~~او بالحرى خارجه~~ ، في مخيم الهلال الاحمر !
ان الحرب قائمة ، وهي ذي قنابلها تنذر رسل السلام ورسل الرحمة معاً .

الفصل الحادي والخمسون

المناجزات والمطالبات

قبل ان نسرد المهم من حوادث هذه السنة، سنة الحصار، اي بعد ظهور الاخوان للمرة الاولى في سهل جدة الى يوم التسليم، يجب ان نحيط القارئ علماً بقوات الفريقين وبخططها الحربية.

عندما بويع الامير علي بالملك، بعد تنازل الملك الحسين، ارسلت الحكومة الهاشمية الى الامير عبدالله في عمان اربعين الف ليرة ليبذلها في التجنيد، وفي شراء العدد الحربية من اوروبا، خصوصاً الطيارات والسيارات المصفحة.

باشر الامير التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين، فجاءت فرقة المتطوعين الاولى في ربيع الاول من هذا العام، كما اسلفنا القول، وتبعتها فرقات اخرى حتى بلغ الجند النظامي نحو الف جندي يوم كنت هناك. ثم جاء في شهر رجب فرقة عددها مئتان وثلاثون، وفي رمضان فرقة اخرى عددها خمسمئة. ولكن هذا

١٣٤٤ هـ
١٩٢٤-٢٥ م

الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في تنقيص عدده، وهما الملاريا والدوزنتاريا، ثم الوفيات والاصابات في المناجزات. والذي يقال في النظام يصح في البدو، وعددهم في اعلى درجة لم يتجاوز الالف وخمسمئة مقاتل. [redacted]

اما المال فلم يكن للحكومة، بعد ان نفدت خزينتها، غير مصدر واحد هو الحسين في العقبة. [redacted] فقد جاءت "الرقمتين" في شهر رجب تحمل صندوقين فيهما خمسة عشر الف ليرة، وجاءت في رمضان خمسة آلاف اخرى، ثم في شوال أبحرت "رضوى" من العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش عشرين الف من الذهب. وفي هذه الاثناء فرضت الحكومة على التجار قرضاً قيمته اثنا عشر الف ليرة. ثم نقل الحسين من العقبة - بعد عن جدة والبعد جفاء - فلم يرسل بعد ذلك غير دفعة واحدة صغيرة اي خمسة آلاف ليرة. واخذ العسر المالي منذ ذاك الحين يشتد يوماً فيوماً حتى اضطر الملك علي في صيف هذا العام ان يرهن الحيازة الخاصة في مصر لقاء قرض قيمته خمسة عشر الف جنيه.

ومع ان مجموع ما صرف في سنة واحدة من الحرب لا يتجاوز المئتي الف ليرة، فلولا الاسراف - والاختلاس - في شراء العدد الحربية والذخيرة لكان العسر المالي اخف على الملك وحكومته. لا اذكر غير مثل واحد من الغش في ارباح الوكلاء والسماسرة. فقد دفعت الحكومة سبعة آلاف ليرة انكليزية ثمن ثلاث طيارات قديمة جاءتها من لندن وهي لا تساوي باكثر من الف وخمس مائة ليرة. قبل ان جاءت هذه الطيارات كان عند الحكومة الهاشمية خمس طيارات لا يصلح منها للعمل غير واحدة. ثم جاءها من المانيا في الصيف ست طيارات جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات، وهي مجهزة بالمدافع الرشاشة، ومعها قنابلها الخاصة بها.

اما الطيارون فقد كانوا في اول الحرب روسيين من الطراز القيصري، وكانوا في آخرها من الالمان. ولكن فترة

تخلل

بطلبه تجيء هؤلاء، وذهاب اولئك فتوقفت فيها حركة الطيران. وهناك اسباب اخرى لما كان في هذا السلاح الحربي من النقص وعدم الكفاءة. فالطيار الاجنبي حريص على حياته فلا يطير واطئاً ليصيب اذا رمى، او ليرى اذا طار مستكشفاً. ولم يكن لدى القيادة العامة في بادئ الامر قنابل خاصة، فاصطنعت من القذائف ما لا تأثير كبير لها، اللهم اذا انفجرت على الحساب. ولكن اكثرها كان ينفجر قبل او بعد الوقت المعين. ناهيك بالبنزين فلم يكن لدى الحكومة دائماً الكمية الكافية منه.

وقصة المصفحات شبيهة بقصة الطيارات من وجهتي اي غلاء الثمن وقلة الفائدة. فالسيارات الخمس الاولى، التي خاضت معارك الحرب العظمى، جاءت وصفائحها مفككة فظل العمال في «الورشة» يشتغلون شهراً في تأليفها وتركيبها. ولا يمكنها السير غير ساعتين فتحتاج اذ ذاك الى الماء. اما الاثنتان الاخريان جاءتا بعدئذٍ فجديدتان هما مجهزتان بالرشاشات. وقد كانت القيادة تبني عليها آمالها العالية.

ولكن السيارات التي افادت اكثر من سواها هي تلك الشغالة من صنع «فرد» فكانت تنقل الذخيرة من المدينة الى القشلة والى الخط، وتنقل الجنود المصابين بالملاريا والدزنتاريا، وبعدئذ الجرحى من الخط الى المستشفى في المدينة.

اما المدفعية فقد كان في الاستحكامات، يوم كنت في جدة، اثنا عشر مدفعاً صغيراً وكبيراً وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل. ثم جاء من ينبع ومن العقبة مدافع اخرى صحراوية وجبلية واثنا عشر رشاشاً، وجاء من لمانيا مع المصفحتين عشرة رشاشات والف وخمسمائة بندقية مع حرابها، فاصبح على الخط نحو عشرين مدفعاً واكثر من ثلاثين رشاشاً.

وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تنير المكان الذي تنفجر فيه، كما انه استخدم الانوار الكشافة لكشف حركات العدو في الليل. اضف الى ذلك كله ما وضع عند ابواب خط الدفاع، امام الاسلاك الشائكة، من الالغام، ثم الاسلاك نفسها.

وقد مدت هذه الاسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد في خط مفرد من البحر شمالاً الى الكندرة شرقاً جنوب، ومنها جنوباً ثم غرباً يحنب الى البحر، فبلغ طوله في هذا الشكل، شكل الهلال، نحو ستة اميال. ثم حفرت وراء الشريط الخنادق، واقيمت الاستحكامات. وبين الخنادق وورائها ربى ومعاقل استخدمت للكشف والدفاع.

وقد قسم هذا الخط الى مراكز ستة، مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة في القشلة. وهذه المراكز هي ابو عنقيلة، والشرفية، والكندرة، والمشالط، والعقم، والطابية اليمانية. فالطابية هي جناح الجيش الايمن وابو عنقيلة جناحه الايسر.

وهناك خارج الخط الثكنة اليمانية، وهي قرية مهجورة على مسافة ميلين من جدة الى الشرق الجنوبي، وفيها حامية من البدو صغيرة، ثم ثكنة لا عنيز. وثكنة بني مالك على مسافة ميلين من جدة الى الشمال الشرقي، وفيها حامية اخرى صغيرة من البدو. ثم

الدويش وهي اقرب القرى الى جدة من الشمال .

هذه هي قوات الجيش الهاشمي وعدده في الدفاع . اما عدة الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات ان في القصر بالرياض مدافع كثيرة من انواع مختلفة، ولكن السلطان عبد العزيز لم يأمر بجلبها ثم غنم الحجاز . اما المدافع التي استخدمها في هذه الحرب فقد غنم جيشه بعضها في الطائف والهدى، ووجد اكثرها في مكة، وكلها صالحة للعمل. وهي من المدافع الصحراوية والجبلية من عيار ٦٪ و ٧٪، وعددها لا يقل عن العشرين مدفعاً، كانت تظهر تدريجاً او بقدر ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد . وكان لدى الجيش النجدي رشاشات كثيرة وكمية وافرة من الذخيرة وجدوا اكثرها في قلعة جياد بمكة .

اما الجنود فقد كانت القوة في المعسكر يوم الزحف الاول اربعة آلاف، والقوة الزاحفة مثلها، وفيها من الاخوان الغطغط واهل ساجر، واهل دخنة، وقحطان، والدهينة، وركبة، وغيرهم. وفيها من حضر القرية من اهل القصيم واهل العارض .

ثم جاء في رمضان فيصل الدويش امير الارطاوية بجيش من مطير، وتلاه لواء اهل سبيع والسهول، وبعد هؤلاء وصل الامير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة، فبلغ عدد الجيش في الجبهة ووراءها نحو عشرة آلاف . اضف الى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين المدينة والسرايا التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلا، فيكون مجموع الجيوش النجدية في الحجاز من الاثني عشر الف مقاتل .

وقد كان توزيع الجيوش في جبهة جدة على الشكل الاتي :
عسكرت فرقة الغطغط في الجناح الايمن (جناح الحجاز الايسر)، واهل دخنة في الجناح الايسر (جناح الحجاز الايمن)، واهل ساجر في جبهة معاونة للجناح الايسر . وعسكر في القلب لواء قحطان من اهل الهياثم، ووراء هؤلاء كلهم سرية من الخيالة . ثم لحقت بهم الجيش الذي كان في اليمن من اهل دهنة وركية، فاصبح في الجبهة نحو اربعة آلاف مقاتل .

رسم خط الدفاع وما دونه من مراكز الجيش النجدي ———

اعتقد ان الخريطة التي رسمتموها عن مواقع الجيش
الهدى مغلوطة فقد كانت المدفعية في الرديس وفي
زلة بني مالك في جبهة النزلة اليمانية وفي
القلب امام مراكز الغطغط

مشى هذا الجيش من مكة ومعه الاوامر بان يحيط بجدة ويهاجم خط الدفاع فيناوش الجنود هناك . اما الهجوم بقصد اختراق الخط والدخول الى المدينة فلم يكن ليقدم عليه بدون اذن من القيادة العليا . مشى بموجب اوامره ، فاحتل في اواخر جمادى الثانية - النزلة اليمانية ، ونزلة بني مالك ، والرويس . ولكن الاخوان الذين احتلوا النزلة اليمانية اخلوها مرتين بعد وقعات مع جنود الحجاز ، ثم عادوا فاستولوا عليها . وبعد ان خربت - خربها تحسين باشا بالمدافع وحرق الاخوان قسماً منها - احتلاها الفريقان .

على ان الاخوان ظلوا مرابطين في الجهة الجنوبية امام الجناح الايمن من خط الدفاع ، وقد اصطدموا مراراً بمفرزات من الجيش الهاشمي كانت تخرج تارة للكشف وطوراً لاحتلال ابار الماء في تلك الناحية .

وبعد ان استولى الاخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع تقدموا في العراء ، وباكروا حفر الخنادق ثم اقاموا عندها استحكامات حصنوها باكياس من الرمل ، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاً . هي اول مرة على ما نعلم حارب الاخوان بطريقة منظمة حرب الخنادق . وكانت قد بدأت في آخر جمادى الثانية حرب المدفعية ايضاً ، فلم يتفرد فريق ~~وهو بادهاشه خصمه~~ من الفريقين بالمفاجآت .

ولكن الحكومة الهاشمية في هذا الشهر خسرت في ما سيّرت للدهشة والارهاب خسارة تعد في البلاد العربية جسيمة . ففي صبيحة اليوم الثالث والعشرين من جمادى الثانية طارت الطيارة التي كان يسوقها الطيار الروسي « انشاريكوف » وفيها المراقب الضابط اللاذقي ، والكابتن عمر شاكر الذي دخل الى المطار خلسة ، كما قالت القيادة العامة ، فحشر نفسه مع الضابط السوري في محله . وقد كانت لشاكر شهوة في ضرب الاخوان من علي ، في رمي قنبلة على رؤوسهم . فبعدما دنوا من المعسكر في الرغامة انفجرت قنبلة في الطيارة وهي تعلو نحو الفي قدم عن الارض فنشطت في الجو . وقد شاهدناها من القشلة تلتهب ونحن فيها بين يدي الموت والفناء . ذهب هؤلاء الثلاثة ضحية الاهمال في تنفيذ الاوامر العسكرية . وكان انشاريكوف الطيار الروسي الثاني الذي مات هذه الميتة الفظيعة في الحجاز . اما الاول فهو الذي طار الى الطائف عندما دخلها الاخوان فسقطت طيارته بينهم ، فكانت خاتمة الوجود له ولها محزنة مرعبة .

لنعد الى حرب الاخوان . فقد كان معظم هجومهم في الليالي المظلمة وذلك لغرضين : ليلقوا في قلوب الاهالي الرعب والذعر فينهضون على الحكومة ، او يهاجرون ، وليحملوا الجنود على الاسراف بالذخيرة . وقد نجحوا في هذه الخطة بعض النجاح . ~~ولكنهم~~ على انهم كانوا يهجمون غالباً هجمات هوجاء مستبسلين متشهدين ، فلم تصرف عبثاً في كل حال ذخيرة الجنود الهاشمية . وقد كانوا يقتربون جداً من الخطوط حتى ان رصاص بنادقهم وقع قرب قصر الملك ، وحتى انهم قطعوا بعض الشريط واخذوه الى المعسكر العام .

اما الاهالي فقد كان الرعب كبيرهم والذعر حبيسهم في تلك الليالي ، اذ لم يكن يعرف القصد الحقيقي من الاغارات . بل كان

الناس يظنون ان الاخوان يحاولون اختراق الخط ، فيسهرون كل ليلة ليلاء على انغام الرشاشات والبنادق وهم يقولون : الليلة يدخلون البلد .

على انهم كانوا يشاهدون لاول مرة اشياء جديدة في هذه الحرب البدوية الفنية معاً ، خصوصاً عندما كانت المدافع تطلق على العدو القنابل الكشافة فتنير في سماء جدة ظلمات تبدو هنيهة كالاقمار المكسرة ، ناهيك بالانوار الكشافة التي كانت ترسل في ذلك السماء اسهماً بيضاء من شعرها فيهتدي بها الاخوان الى طريقهم - الى الابواب في الاسلاك الشائكة ، والى الالغام ! -

والى الواقفين في الخنادق ، فينادونهم قائلين : "يا اخواننا يا اهل الشام ، ويا شمر ، ويا حرب ، ويا عتيبات اخرجوا من الخط وانتم في وجه الله ووجه ابن سعود . لا تخافوا . والله ما نريد لكم غير الخير - تعالوا الينا ونحن اخوانكم والله بالله ! "

~~وكان السلطان عبد العزيز قد عهد بالالغام الى الكوريين خاصة والى جماعة بقوا فيه. " نحن وانتم جماعة واحدة هي ابناء الجامعة القومية . تعالوا نعمل معاً في سبيل الجامعة العربية "~~ ولكن كثيرين من اولئك الجنود كانوا يحاربون عملاً باعتقادهم ان النهضة العربية لا تقوم الا بالبيت الهاشمي . اما الآخرون الذين استجدوا في عمان والعقبة والذين جاءوا جدة مترزقين ، فقد كانوا بين نارين ، ولم يكن لهم يومئذ ان يختاروا اصغر الشرين .

~~وهذه~~ والى القارئ ، اتماماً لصورة الحوادث في تلك الايام والليالي ، امثلة نأخذها من التقارير الرسمية :

"تعرضت قوة من العدو على جناحنا الايسر في الساعة الخامسة (١١ افرنجية) من الليل فاصلتها مدافعنا ورشاشاتنا ناراً شديدة ، فانهزمت من حيث اتت تاركة عدداً من القتلى " .

" بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرمي المعتاد فقابلتها مدافعنا قدر ساعتين واسكتتها " .

" طارت الطيارة الساعة ١ صباحاً لتضرب معسكرات العدو وموضع مدافعه ، فالقت اربع قنابل وعادت " .

~~وهذه~~ وهاك امثلة من تقارير القيادة النجدية :

" في هذه الليلة سرت طائفة من جندنا الى حدود العدو ، فاطلقت عليه النار . فظن ان الاخوان يهاجمون على طول الجبهة ، فاخذ يوالي اطلاق المدافع والرشاشات والبنادق من جميع المراكز . واستمر كذلك ثلاث ساعات دون ان يصيب احداً من المهاجمين " .

" اخرجت القيادة الهاشمية مفرزة لكشف مراكز الاخوان فخرجوا من مكانهم اليها ، واصلوها النار ، فقتل منها سبعة قتلى وفر الباقون " .

كذلك

كذلك في شهري رجب وشعبان كانت تحيا الليالي المظلمة بين المتحاربين، وكانت في النهار تدور بينهما حرب المدفعية التي استغرقت في بادئ امرها اهل جدة، فكانوا يسارعون الى خارج السور ليشاهدوا قنابلها تنفجر عند الاسلاك الشائكة، وفي اطراف السهل بظل الجبال.

هناك شرقي الكندرة، وعلى طريق مكة، نصبت المدافع السعودية في الاشهر الاولى من سنة الحصار(١) فكانت تصل قنابلها في البدء الى ما بين مئة ومئتي متر من الاسلاك، ثم داخل الاسلاك، وهي تنقل الى الامام بعد هذه الخنادق، ثم عند سور المدينة، ثم داخل السور. فخرّم اهل جدة اذ ذاك مشاهدة نارها، ولكنهم لم يجربوا مفعولها. وقد كانت مسافة الرمي تتراوح بين الثلاثة والاربعة اميال.

حلقت القنابل فوق خط الدفاع فتساقطت في قلب البلد، وقد اصيب مرتين بيت الوكالة البريطانية، فاخترقت قنبلة جدار غرفة النوم وقنبلة دخلت مكتب الوكيل. وقد اصيب ايضاً بيت وكالة السوفيت فتكسر العلم فوق السطح واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت الى الطرف الغربي من المدينة اي الى شاطئ البحر، فزارت القنصلية الافرنسية وتفجرت في مخيم الهلال الاحمر!

عندما اصيبت الوكالة البريطانية والوكالة السوفيتية عقد القناصل مجلساً للبحث في المسألة فقرروا ان يظلوا رغم هذه الحال على الحياد. وقد أبرق رئيس الهلال الاحمر الى الجمعية المركزية في القاهرة [illegible] من القنابل يستأذن بالرحيل، فلم تأذن الجمعية بذلك. [illegible]

كان الضرب يبدأ صباحاً فيصلي الفريقان الفجر ويتبادلان بالقنابل السلام ساعتين او ثلاثاً، ثم يستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب الشمس، فيوكلون اذ ذاك كبير المخزن بالوداع. وهذه قبلة من «الادبوس» يا اخوان! وهذه من عيار ١٢/٧ يا ايها الشوام!

عندما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهري رجب وشعبان، مدفع نُصب حتى في الرويس، فصارت القنابل السعودية تقع في الجهة البحرية من المدينة وفي قلبها، فجرح وقتل عدد من الناس، واستولى الرعب على الاهالي فشدّ كثيرون منهم للرحيل. بدأت الهجرة الى سواكن ومصوع وعدن في المراكب التجارية، ثم طفق الناس يرحلون في السنابيك الى الليث ومنها يرجعون الى مكة.

وكانت الحكومة راضية بهذه الهجرة لما فيها من التوفير بالماء والزاد للجنود.

على ان هذه الحرب المدفعية التي كان يتفرج اهل جدة عليها ثم صاروا يفزعون منها، وتلك المناوشات في ظلمات الليالي، لم تكن غير مقدمات للوقعة الكبيرة التي يجب ان تدعى بوقعة المصفحات. وهي المرة الاولى والاخيرة التي برز فيها القسم الاكبر من الجيش الحجازي لمنازلة الاخوان في رابعة النهار.

في ضحى اليوم الثاني عشر من شعبان (١٤ مارس ١٩٢٥) شرع الخط يطلق مدافعه الكبيرة والصغيرة على الرويس، وبعد نصف ساعة من هذا الضرب الشديد المتواصل خرجت خمس مصفحات من بوابة الكندرة، فسارت ثلاثة منها تجاه [illegible]

(١) [illegible] نقلت المدفعية الى الرويس وتركت [illegible]

والثنيان تجاه الرويس . ثم مشى من مركزي الكندرة وابو صُبيلة نحو الف من جنود النظام والبدو مقسومين الى ثلاثة اقسام، تتبعهم سرية من الخيالة .

اما الاخوان فقد كانت فرقة من اهل دخنة في الرويس، وفرقة اخرى في بئر مالك . وكان اهل العارضة والغطغط في ~~بيت الاحتياط~~ الخط الثاني، كما انه كان من الفريقين في الجهة الامامية اي في الخنادق، وعدد الجميع يومذاك لا يتجاوز الالفين . عندما خرجت المصفحات تقدمت القوة الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المرابط، ولكنهم لم يباشروا الرمي لاهم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها الى السهل وكانت المصفحات تصل الى الثنزلة، فدارت عندئذ رحى الحرب في الساحتين، تجاه الرويس وتجاه بئر مالك، ودوت المدافع والرشاشات .

اما المصفحات فقد كان من مهمتها ان تمنع وصول المدد الى الجهة الامامية، فسارت شرقاً بشمال تاركة القلة الى يسارها لتصد اهل الغطغط والعارضة عن الهجوم، فاشتبكت وإياهم في قتال عنيف، ولكنها لم تتمكن من صدهم. وقد رأى من شاهدوا المعركة من جدة كيف كان الاخوان يهاجمون هذه المصفحات مستشهدين، فيدورون حولها وهم يطلقون البنادق عليها وعلى من فيها، وهي ترسل الرصاص من رشاشاتها في كل جانب . حتى ان عبداً من العتاريس دنا من احداها بعد ان جال حولها، كانه فارس من الفرسان، فتمسك بها وصعد الى سطحها وهو يطلع من سدة ~~[illegible]~~ فأصيب وهو عليها برصاصة فهوى الى الارض .

ظل الاخوان يهاجمون هذه المصفحات حتى أبطلت الرشاشات، فصار الجنود داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم وقد أُصيب بعضهم برصاص العدو الذي كان يدخل من الكوى، وجُرح جروحاً بليغة اثنان من سواقين الروس . ترجعت المصفحات، وقد تخرقت وتكسرت جوانب بعضها، وسارع اهل الغطغط والعارضة لنجدة اخوانهم فحموا معركة دامت ساعتين في اشد حالاتها، ثم ساعتين في قتال متقطع، حتى انتهت الساعة الثالثة بعد الظهر في رجوع الجنود الحجازية والمصفحات الى داخل الاسلاك، ورجوع الاخوان الى مراكزهم . اما من بقي في ساحة القتال، وهم القتلى، فلا يقل عددهم عن الثلاثمئة .

جاء في التقرير الحجازي الرسمي :

" خسر العدو من قتيل وجريح اكثر من مائتين وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلاً وأُصيب منه خمسون " .

وجاء في التقرير النجدي الرسمي :

" قد تحقق ان خسارة العدو كانت في الاقل ثلاثمئة وعشرين قتيلاً، بدليل بنادقهم التي غنمها رجال جيشنا واحضروها الى المعسكر العام . اما خسائرنا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط " .

ومما لا ريب فيه انه قد قتل في معركة المصفحات لا اقل من ثلاثمئة من العرب ! ومن المحقق ايضاً ان المصفحات لم تنجح في مهمتها الاولى، وهي قطع الطريق على المدد .

ولا كانت في مهمتها الثانية اشد فعلاً من جيش مهاجم . فقد اشغلها رجال الغطغط والعارض حتى فقد الماء والذخيرة

فيها ، فرجعت اذ ذاك ادراجها .

ومما لا مرية فيه ان القيادة الهاشمية فشلت في هذا الهجوم ، فقد كانت خطتها ان تضرب الاخوان المرابطين امام جناحها الايسر فتقضي عليهم ، ثم تعود شرقاً بجنوب ، وقد أمّنت مؤخرها ، فتزحف الى المعسكر في الرغامة فتستولي عليه . وتستمر في خطة الهجوم فتمشي ظافرة الى مكة .. — سنعيد رمضان بمكة ! هي كلمة الجيش الهاشمي في تلك الايام . وقد كتب احد ضباطه الى المؤلف ، قبيل هذه الوقعة ، يقول : "وغداً نذهب لزيارتنا في الطائف" .

واذا فرضنا ان الاخوان امتنعوا عن اختراق الخط ومهاجمة المدينة لا للعجز موّهوه بالاغارات والمناوشات ، فقد كان العجز اظهر في خطة الجيش الهاشمي بعد وقعة المصفحات .

وبعد هذه الوقعة خمدت في الجانبين نار الحرب . فقد ضرب المدافع ، وقل الهجوم في الليل ، وكان في شهر رمضان شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات في الليالي المظلمة . ومع انه كان قد شاع في جدة ان المعركة الفاصلة ستكون في شوال فقد ولى شوال والتقارير الرسمية تقول : "سكون تام على طول الخط" .

على ان القتال استؤنف في الشمال فالقيادة النجدية ارسلت حملة الى ينبع لتأديب بعض عربان جهينة الذين اعتدوا على قوافل محملة ارزاقاً الى مكة . وكان ابن رفادة الشيخ ابرهيم كبير مشايخ جهينة ، قد خرج على الملك علي وعاهد ابن سعود على الطاعة والتوحيد ، فارسلت حكومة جدة الى قائمقام الوجه الشريف حامد ثلثمائة من الجنود النظامية وبعض الرشاشات لتأديب ابن رفادة وجماعته . وكانت قد ارسلت الامير شاكر الى ينبع ليحمل على الاخوان في بدر ويستردها .

اما في المدينة المنورة فقد كان صالح بن عذل معسكراً في الحناكية وقد التحق بجيشه لواء جاء من جهة حائل . وكان قسم من هذا الجيش ، واكثره من حضر ، بقيادة ابراهيم النشمي وكيل ابن عذل ، مرابطاً حول المدينة ، وهو مأمور بان يحاصرها فقط ، والا يدخلها بدون امر من القيادة العليا .

اما وقد علمت ذلك فسنطلعك على بعض البرقيات التي كانت ترد الحكومة الهاشمية في تلك الايام :

المدينة ٢٧ ذي القعدة :

جلالة الملك المعظم . جهزنا عبدكم ولد نامع عسكره وبعض من عرب على النشمي فكسروه واسروا اربعة انفار من جماعته . ابشركم بذلك سيدي . قائمقام المدينة : شحاته .

العلا ٢٧ ذي القعده :

جلالة الملك المعظم . صباح اليوم الجمعة هجمت على مدينة صالح ثلاثة بيارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو الى العصر والحمد لله انقلب خاسراً تاركاً جرحاه وقتلاه مولاي . قائمقام العلا .

ينبع ٢٩ ذي القعدة :

جلالة الملك المعظم . احتللنا بدراً وغنمنا جميع ما فيها انهزم احمد سالم (صاحب بدر) ومعه اربعون بعيراً محملة .

الامضاء : شاكر

ولكن السلطان عبد العزيز جهز في هذا الشهر حملة الى الشمال بقيادة ابن عمه سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود العرافة والامير خالد بن لؤي . فالتقت هذه الحملة في طريقها من رابغ باحمد بن سالم، فتغلب على القيادة قصةً فخول خالد وامر سالماً بالرجوع . فمشى مع الحملة التي سيرت في طريقها الى بدر ، وبعد ان قربتها واشتبكت في وقعة مع المدافعين رجال الامير شاكر فيها، كتب لها النصر واستولت عليها . ثم عادت احمد بن سالم الى مركزه، ومشت الى ينبع النخل فعسكرت هناك تنتظر الاوامر الجديدة من القيادة العليا . وكانت قد ارسلت تلك القيادة فيصل الدويش ايضاً الى الشمال فاحتل بجيشه العوالي حول المدينة، بدون مقاومة .

اذن قد كانت الحالة في الشمال في آخر هذا العام، عام ١٣٤٤ ، حالة حصار، تخللها شيء من القتال . فكان الاخوان مرابطين حول الوجه وينبع ، وكان جيش من الطرفين محاصراً المدينة ، وكان سعود العرافة وخالد بن لؤي معسكرين في ينبع النخل ، وفيصل الدويش في العوالي ، وصالح بن عذل في الحناكية . والغرض الاكبر من هذه التعبئة هو الضغط على اهل المدينة ليحملوا اولياء الامر فيها على التسليم . ذلك لان القيادة العليا فضلت الحصار على القتال، ولم تكن الجيوش هناك مسلحة بغير البنادق .

اما حكومة الملك علي فقد استبشرت بهذه الحالة في الشمال ، وعزت سكون الجنود النجدية الى العجز . وما انفكت [illegible] املاً بالفوز ، رغم ما كانت فيه من العسر ، هو ان السلطان عبد العزيز امر جنوده بالانسحاب من جهة جدة ليتمكنوا من الحج ولم يبق هناك غير قوة صغيرة من الخيالة والهجانة تشرف على الرغامة .

وما كان اهتمام السلطان في هذه الاشهر بالحج اكثر من اهتمامه بالحرب . بل كان قد بدأ منذ ثلاثة اشهر يمهد للحج السبل ، فارسل في غرة شعبان نداء الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، يخبرهم بان النظام قد ساد في البلدة المطهرة ، واستتب الامن فيها . وانه يرحب بحجاج بيت الله الحرام من كافة المسلمين في موسم هذه السنة ، ويتكفل بتأمين راحتهم، والمحافظة على جميع حقوقهم، وبتسهيل سفرهم الى مكة المكرمة من احد المرافئ الثلاثة اي رابغ والليث والقنفذة وكانت تجيء هذه المرافئ كل خمسة عشر يوماً بواخر هندية، وخديوية، وايطالية تجيئها من عدن ومصوع، والسويس حاملات الارزاق . ولم تتمكن الحكومة الهاشمية التي جربت في اول الحرب نطاقاً بحرياً من القنفذة الى رابغ، وحاولت تنفيذه بواسطة الباخرة المسلحة "الطويل"، ان تصادر الا قليلاً مما كان يصل من هذه الثغور الى مكة، وما كانت دائماً موفقة حتى بذاك القليل .

فقد حجزت مرة خمسة سنابيك ايطالية مشحونة ارزاقاً من مصوع الى الليث وجيء بها الى جدة . ولكن الحكومة الايطالية احتجت بواسطة قنصلها السنيور فاري على هذا العمل، وانذرت الحكومة الهاشمية بانها تسحب قنصلها من جدة وتتخذ الطرق القانونية لحفظ حقوقها، اذا كانت لا تعيد كل ما صادرته من السنابيك الرافعة العلم الايطالي . فعقد الوزراء مجلساً للنظر في الامر، وقرروا بعد البحث ان يجيبوا طلب الحكومة الايطالية .

قوبل

فقد هذا الحادث نصراً سياسياً لابن سعود، كما كان مجيء ثلاثة آلاف من حجاج الهند ورجوعهم بعد الحج سالمين عن طريق رابغ هو نصر سياسي آخر. وهناك حادث ثالث حدث في هذا الصيف لا يقل اهمية من الوجهة السياسية عن الحادثين الاولين، الا وهو نقل الملك حسين من العقبة الى قبرص. وقد يكون أهم الحوادث لما كان فيه من الفائدة لابن سعود. لأنه أقصى عن الملك على ذاك المورد الذي كان يتكل كل الاتكال عليه. أجل قد شددت الازمة المالية في حكومة جدة بعد سفر الحسين الى قبرص. وقد لعب

وهناك خسارة أكبر للحجاز كانت تتعلق بسفر الحسين، وكان الامير عبد الله يسعى فهو الذي اقنع اخاه وحكومة جدة بان يسلموا بضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن. وقد ضرب الامير يومئذ على الوتر الحساس اذ قال في احدى مذكراته الى جلالة اخيه ما معناه: سلموا بضم العقبة ومعان وانا اضمن لكم من الانكليز ما يأتي: اي ثلاثة الف ليرة لتوليه الضم، ومئتا الف ليرة ثمن الاملاك الغير المنقول، وخمسة الاف ليرة قرضاً يُنقد حالاً. ثم ابعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والخرمة، وحمل الخط الحجازي رهن اشارتكم في كل وقت.

اية حكومة في موقف تلك الحكومة الهاشمية لا تقبل بيع قطعة من املاكها بهذا الثمن؟ واي ملك في مركز الملك علي لا تغره تلك الارقام. ولكنها ... الارقام في كتاب الاحلام.

لم تنحصر انتصارات ابن سعود في آخر هذه السنة واوائل سنة ١٣٤٤ بالحوادث الثلاثة التي تقدم ذكرها. فقد فتح ابوابه للوفود، وبدت منه رغبة في المكالمات لغرض من الاغراض الحربية او السياسية التي يجهلها الناس ايام الحرب، ولا يتيمون لها وزناً بعدها. على ان عظمة السلطان كان المجيب لا الطالب. واول من استأذن في رمضان بزيارة الحرم والحج بالعمرة، وهي القصد الديني قصد حسن آخر، هم القناصل المسلمون في جدة، اي عبد الكريم حكيموف معتمد حكومة السوفيت، ودادبه براويرا نائب قنصل هولاندة، واحمد فند لاري وكيل قنصل ايران. فاذن السلطان بذلك ودعاهم لزيارته بعد زيارتهم الحرم في مخيمه بالوزيرية.

وبينما كانوا هناك يتكالمون بالصلح هجم الاخوان في الليل كالعادة على جناح خط الدفاع الايسر من البحر الى الكندرة هجمة هوجاء، واستمرت البنادق والرشاشات تدوي دوياً متقطعاً حتى الفجر. وما معنى زيارة القناصل؟ ان ابن سعود سرّ من اسرار السلم والحرب يعجز عن كشفه الانس والجن!

القناصل: "اننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسألة بصفتنا الشخصية، لا بصفة حكوماتنا. لاننا شرقيون يهمنا الاصلاح والاتفاق بين الشرقيين"!!

السلطان: "كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا. فما زال الشريف علي في جدة، فلا سبيل الى الصلح. اما

اذا اخلاها وترك المسئلة للعالم الاسلامي. فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز "

ثم سُئل عظمته اذا كان يأذن بقدوم وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب للبحث في المسئلة، فاجاب انه يرحب بمن اراد القدوم اليه سواء كان الشيخ فؤاد ام غيره.

وعند رجوع القناصل المسلمين الى جده كتب وزير الخارجية كتاباً الى عظمة السلطان يقول ان قد انباه بعضهم بالايجاب "بما مقوه الامل المعقود" ويطلب منه تعيين يوم للمقابلة. فاجاب عظمته بالايجاب على شرط ان يكون سعادة الوزير مفوضاً ليوافقه على ما يملى عليه من الشروط "ثقلت وطأتها ام خفت". فرد الشيخ يقول ان المأمول من قدومه اولاً شرف التعرف الشخصي بكم الجليل المعظم. ثانياً - التمهيد لايجاد جو صالح تسود فيه الطمأنينة المنشودة ليكون محور الاعمال في ما يحسن التفاهم عليه ". فقال عظمته في كتابه الاخير: "اكون مسروراً بوجودكم"

لكن الشيخ فؤاد لم يشعر بمثل هذا ~~السرور~~ بالرغم عن عقم تلك المكالمة في المخيم السلطاني بالوزيرية، تلك المكالمة التي تحولت الى استنطاق من قبل السلطان ~~فاستنطاق~~ فيبر الحدى للوزير الشاعر وحيل السياسة كلها.

- "ومن هو الضامن لهذه التعهدات؟"
- "انت الضامن".
- وكيف يكون ذلك؟ انت تقبل بالشروط وانا احمل التنفيذ؟"

الشيخ فؤاد: "اطلب الضامن الذي تريده ونحن نقدمه لك".

السلطان: "لا اعلم ضامناً له سلطة واثق به يتكفل بما اطلب. فالدول كلها على الحياد، ولا نقبل من احد منها عاد

في ~~المملكة~~ الاماكن المقدسة كما ترى" ~~ثم تحول الحديث بعد ذلك الى مواضيع اجتماعية وادبية، فكان الشيخ فؤاد فيه~~ باهراً. ~~ثم~~ عاد [illegible] من الوزيرية الى بلده حاملاً مظلته، والقناصل والحكومة والجنود في جدة يتساءلون: ماذا عسى ان يكون تحت تلك المظلة من الاماله؟ لم يكن تحتها غير شاعر ~~اعجب بالمكالمات السياسية~~ ابدى في احاديث الادبية في المخيم السلطاني، وغلب في المكالمات السياسية

عندما سافر القناصل المسلمون للحج بالعمرة قابلهم زملاؤهم المسيحيون، وارسل الوكيل الانكليزي كاتبه الهندي المسلم تشي احسان الله الى مكة لاشغال تختص بالحجاج الهنود، فاقام هناك اسبوعاً، وعرج في رجوعه على المقر العالي بالوزيرية فنزل ضيفاً على السلطان ~~يوم~~ اما المقابلة فقد كانت سرية ولا تزال ~~وظلت كذلك~~.

~~الا~~ ولما كان معلوماً ان الحكومة البريطانية كانت تفكر يومئذ في احتلال العقبة ومعان، وان ابن سعود كان يفكر في ارسال حملة الى تلك الناحية لاخراج الحسين منها.

- نحن ننقل الحسين من العقبة ~~من الحقيقة~~ ولا نكلفكم مؤونة الحملة عليه.
- الحملة ماشية فعليكم ان تعجلوا.

وفي الحقيقة كانت الحملة قد مشت فأمر عظمته قائدها ~~[illegible]~~ مع حائل بأن يتوقف في الزحف ~~[illegible]~~

~~[illegible]~~

دق

وقد تمت المكالمات بالوزيرية مكالمات اخرى في مكة، وكتب في لائحة الموسطين الطويلة اسم كبير من حكام العرب. اجل فقد جاء من صنعاء اليمن من حضرة الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله، بواسطة قنصل ايطاليه بجدة، برقيتان الواحدة الى الملك علي والاخرى الى السلطان عبد العزيز يطلب منهما ايقاف القتال واحترام الاراضي المقدسة وقبوله حكماً بينهما. فجاوب الملك علي بالايجاب وجاوب ارسل السلطان جواباً مآله اننا دعونا المسلمين لمؤتمر ~~انه لا يقبل بالمفاوضة على اساس بقاء الحسين او احد اولاده في الحجاز ولكنه يفاوضه ان شاء في تولية غيرهم شؤون الحجاز~~ يبحث في امر الحجاز فنرجو ان يحضر مندوبكم معهم.

وفي الاشهر الثلاثة الاولى من هذا العام جاء السلطان عبد العزيز ثلاثة وفود من المسلمين والمسيحيين، ماعدا الوفود الذين جاءوا مع الحجاج من الهند. اما الوفد الاول فقد جاء من مصر ~~فالاول~~ من قبل الملك فؤاد للتحقيق في ما كان قد شاع من اخبار المدينة والطائف، وللتوسط في امر الصلح كما قيل. هذا وكان الوفد مؤلفاً من الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي قضاة القطر المصري ومحمد بك عبد الوهاب كاتب سر الملك الخاص، وكان ولا شك ~~ان للوفد~~ له غير ما ذكر من الاغراض. كان امر الخلافة كانت تشغل يومئذٍ بال الملك فؤاد وقلبه، فاحب ان يستطلع في امرها رأي ابن سعود.

١٣٤٤
١٩٢٥ - ٢٦

اما الوفد الايراني الذي كان مؤلفاً من سفير مصر وقنصل سوريا العام فقد كان غرضه ظاهراً وباطناً التحقيق في مسائل الطائف والمدينة. وبعد ان زار الوفد مكة، وكالم السلطان عبد العزيز في ما انتدب له، عاد السفير الى مصر وسافر القنصل حبيب الله خان عبد الملك الى المدينة ليتم مهمته.

وقد جاء ايضاً في هذا الشهر، اي في ربيع الثاني الوفد الانكليزي، او بالحري السر غلبرت كلايتن (١) وكاتب سره وترجمانه وتوفيق بك السويدي مستشار العراق، فاجتمع بهم السلطان في بحرة. وهناك كان المؤتمر الذي استمر خمسة وعشرين يوماً، اي من ٩ اكتوبر الى ٢ نوفمبر، ~~لتعيين الحدود بين سلطنة نجد والبلاد الواقعة تحت الانتداب البريطاني اي العراق وشرق الاردن.~~

فيه عقدت ~~في هذا المؤتمر~~ اتفاقيتان سميت الاولى اتفاقية بحرة وهي بين العراق ونجد، والثانية اتفاقية حداء، وهي بين نجد وشرق الاردن (٢).

وعندما كان السلطان عبد العزيز في بحرة جاءه من المدينة المنورة رسول اسمه مصطفى عبد العال يحمل كتاباً من امير المدينة الشريف شحات وهو يعرض فيه التسليم على شرط ان يؤمن الاهلون والموظفون على ارواحهم واموالهم، ويسأل السلطان ان يرسل احد افراد العائلة السعودية لهذه الغاية.

وعندما عاد عظمته الى مكة جهز نجله الصغير الامير محمداً الذي مشى بفرقة من الجند الى المدينة في ٢٧ ربيع الثاني / وعندما دنا من اسوارها عرض على الحكومة والاهالي ما كان قادماً من اجله، فأبت قيادة الحامية التسليم. ~~ويظهر انها~~ كانت تنتظر

(في الهامش: الجواب الذي كان مآله (انا دعونا) المسلمين لمؤتمر يبحث في امر الحجاز فنرجو ان يحضر مندوبكم معهم)

(في الهامش: الحدود بين العراق ونجد حددت في بروتوكول العقير ولم تحدد في بحرة الا الحدود بين نجد وشرق الاردن. اما الاتفاق الذي وضع بين العراق ونجد فهو البحث في مسألة الغزو وكيفية معالجة القضايا والضرائب)

على الحد

---

(١) Sir Herbert Clayton

(٢) في الملحق نص هاتين الاتفاقيتين.

على ما ظهر: المدونة جدة ~~...~~ أنها ابرقت في ٥ جمادى الاولى الى جلالة الملك تقول :

" الذي يهمنا الارزاق للجند. وعدتمونا بارسال الدراهم المتيسرة بالطيارة. الى الان لم نر اثراً لها. دبروا وارسلوا لنا دراهم ولو ببيع احدى البواخر فترون منا ما يسركم ".

وكان الامير الصغير محمد يشد الحصار على المدينة بدون قتال، عملاً باوامر والده، فابرقت القيادة في ١٢ من هذا الشهر الى جلالة الملك بجدة تقول :

" ~~...~~ انقضى الامر، ولم يبق في اليد حيلة. الجنود ما عندهم ارزاق الا لثلاثة ايام. اذا لم تصل الطيارة غداً الظهر سنفاوض العدو ". الامضاءات : عزت . عبدالله عمير . عبد المجيد احمد .

~~عزت عمير~~
~~عبد المجيد احمد~~

فجاء الجواب انه يستحيل ارسال الطيارة قبل عشرة ايام لعدم وجود بنزين ~~بها. ولم تقل الحكومة انه وان كان البنزين موجوداً فالمال مفقود~~.

مرت الايام الثلاث فنفذت مؤونة الحامية. ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة ايام اخر، ثم في صباح الجمعة بعث القائد عزت ورئيس ديوان الامارة عبدالله عمير ~~عبد المجيد وعبد الخطاط عزت عمير~~ كتاباً الى الامير محمد بن عبد العزيز بن سعود يطلبان ملاقاته، فارسل الامير خيالة لاستقبالهما. وقد فاوضاه بالتسليم على شرط ان يعطي الجنود والضباط والاهالي الامان ويعطيهم العفو العام.

وفي صباح اليوم التالي، اي يوم السبت الواقع في ١٩ جمادى الاولى (٥ دسمبر ١٩٢٥) سلمت المدينة بعد حصار دام عشرة اشهر.

الفصل الحادي والخمسون

الملك علي يرحل

قبل ان سقطت المدينة المنورة بشهرين كانت الحالة في جدة تزداد عسراً من كل الوجوه، فضربت الفوضى اطنابها في الجند، وعمت الحكومة الاختلال، وعم الضنك والبؤس الاهالي. فلا مال، ولا ذخيرة، ولا زاد يكفي لحفظ شبه السيادة والقوة ان في المملكة او في الجندية. ولا مال في السوق، ولا آمال تقوم مقامه فقد كادت تنفد الارزاق لان التجار في الخارج توقفوا عن التوريد، فخيمت المجاعة في اطراف المدينة بين مضارب البدو وعشش النكارة، ومدت يدها الى القلب، فاصبحت اشد ويلاً من الحرب على الاهالي.

وبيان السلطان عبد العزيز كان قد اعلنه في ربيع الاول بالعفو العام - كل من كان في خدمة الحسين او غيره هو في امان الله اذا اراد ان يرجع الى مكة - وبيانه الثاني بين ام القرى وجدة فتحت بعد الحج، اخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث ورابغ الى ام القرى وعدد القادمين منها. فكان هذا الاتصال بين المدينتين خير واسطة لتعجيل العمل الذي فيه الفرج. وانما نقيد لان ما طالما قاله السلطان في مجالسه الحربية التي كانت يحضرها امراء الجيش والعلماء ثلاثة أخرته عن الهجوم، وحملته على تفضيل الحصار على القتال، وهي الحرص على جنوده وسمعتهم، والمحافظة على الاجانب، والفرصة المنتظرة. أضف الى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة في ما اقدم عليه. ثقة بولاء الفرصة المنتظرة.

وها قد دنت تلك الفرصة ودنا يومها. كيف لا وفي منتصف جمادى الثانية بلغت الحالة في جدة اشدها فنفد المال، ونفد الزاد، ونفر الجند، خصوصاً الفرقة اليمانية الى التمرد والعصيان. وكان السلطان عبد العزيز شأنه في مثل هذه الاحوال، متتبعاً حوادث التطور متنبهاً لما فيها مما يمكنه الانتفاع به، فنشر في هذا الوقت بلاغاً عنوانه «لبراءة الذمة» عرض فيه الامان على من في جدة من ضباط وجنود اذا هم اجمعوا الخروج الى معسكره، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من احب منهم السفر الى وطنه. وقد كان لهذا البلاغ التأثير المطلوب السريع، فرحت القيادة الهاشمية عدداً كبيراً من الجنود الفلسطينيين الذين سافروا في الباخرة «الطويل» الى العقبة.

لا مال ولا زاد، و«فرقة النصر» تنقص يوماً فيوماً! وها قد عاد الاخوان الى معسكرهم في الرغامة وفي سفح الجبال، عادوا بامر السلطان عبد العزيز يقودهم اخوه الامير عبد الله وابنه الامير فيصل.

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها. وهل يجيء بالسلم هذا اليوم ام بالهجوم العام؟ لم يكن احد يستطيع ان يجيب

علي

على ذا السؤال غير واحد في القيادة العامة. وهو في مثل هذه الحال القيادة العامة كلها هو السلطان عبد العزيز. ومما بات في قيد اليقين انه كان مصمماً على الهجوم ليخلص جدة من المجاعة ومن الفوضى التي كانت تنذر الحالة بها.

اما الملك علي فقد كانت حواسه في اضطراب دائم، وكانت اعصابه في حيان ع تشمر مما كان يسمعه، ويشاهده [illegible] في قصره، وفي حكومته، وفي جنده، وفي بلده، كل يوم، بل كل ساعة. فلم ير مهرباً، والحال هذه، من ذلك العمل الاخير الذي فيه راحة باله، في الاقل، وصون صحته وشرفه.

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها، لا قد دنت ليلتها. فقد جاء الملك علي مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادى الاولى الى دار الاعتماد البريطانية يعرض على المعتمد، حقناً للدماء ودفعاً للعسر المستحوذ على البلد والاهالي - وذكر جلالته شروط التسليم، فابرقه المعتمد الى حكومته في الحال يستأذنها بالتوسط.

وفي ظهر اليوم التالي الواقع في ٢٠ جمادى الثانية (١٦ دسمبر) ركب السلطان عبد العزيز بسيارة وخرج من مكة تتبعه الحاشية وفصيلة من الجند، يقصد الى الرغامة. وقد بدت، وهو في منتصف الطريق، تجاه الزيارة الملكية، الى دار الاعتماد البريطانية الليلة البارحة، بدت في سيارة قادمة من جدة التقى بها الموكب في بحرة سيارة تنشر العلم البريطاني وفيها رجل يلوح بالعلم الابيض.

وقفت سيارة السلطان، ونزل الرجل من سيارته، فاذا هو المنشي احسان الله، وقد كان في تلك الساعة احسان من الله يحمل من المعتمد بجدة الكتاب الآتي:

جده في ١٦ دسمبر ١٩٢٥.

"حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلطان نجد.

بعد الاحترام: مراعاة للانسانية ولاجل تسهيل عودة السلام والرفاهية بالحجاز اكون مسروراً اذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي في الرغامة غداً يوم الخميس قبل الظهر او بعد ذلك بارخ مايمكن. هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام".

نائب معتمد وقنصل بريطانيه الفخيم وكيل قنصل

جوردن

وقام عظمته عند وصوله الى الرغامة بكتابة الجواب الآتي:

"الرغامة في ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن المفخم.

تحية وسلاماً. قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ دسمبر سنة ١٩٢٥ وفهمت ما تضمنه. وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به المنشي احسان الله. هذا وتقبلوا فائق احترامي".

عاد احسان الله مسرعاً الى جده، وفي الساعة العاشرة من صباح الخميس وصل المعتمد البريطاني الى مقر السلطان، وقال بعد السلام ان الحكومة البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في قضية الحجاز. ولكنه بالنظر الى ما تجسم من حالة جدة، وبالنظر

لما خرج جلالة الملك من مكة الى الرغامة فكانت نيته الهجوم كما ترى ذلك تفصيل ذلك في ام القرى ولم يفضل الهجوم في الايام الاخيرة الا لانه رأى حالة الفوضى في جدة ستنتج نتائج وخيمة قد لا تحمد عقباها على البلاد لان حالة الاغلال التي وصلت اليها حكومة جدة جعلت الانتقام والانفجار [illegible] على منع اي نصيب منافي داخل جده من اي جنس كانوا

تمر دا

لمعرفة ان عظمة السلطان يفضل السلم على الحرب، ويرغب في راحة المسلمين وحقن دمائهم ودماء الاجانب؛ يتقدم الى عظمته بناءً على طلب الملك علي وحكومته في التسليم. وان توسطه في تقديم هذه الشروط انما هو لغاية انسانية صافية. فاجابه السلطان قائلاً: "هذا احب ما عندي على شرط ان تكون الشروط موافقة لنا".

عرضت الشروط فقبلها السلطان مبدئياً بعد شيء من التعديل. واهم ما فيها ان الملك علي يتنازل عن الملك ويبارح الحجاز، ولا يأخذ معه غير امتعته الشخصية ومنها سيارة وسجاجيده وخيوله، وان كل ما في الحجاز من الاسلحة والعدد الحربية والذخائر والطيارات وغيرها تسلم الى السلطان عبد العزيز وان البواخر التي هي ملك الحجاز تعتبر ملكاً له.

ولقاء ذلك يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والعسكريين والاشراف والاهالي عموماً سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم، ويعلن العفو العام، ويتعهد ان يرحّل الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم وان يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة خمسة آلاف جنيه.

وقد امضى السلطان هذه الاتفاقية (١) في عصر ذاك اليوم، وامضاها الملك علي في المساء، فاعتبرت نافذة من تلك الساعة.

وقد تلا ابرام الاتفاقية ثلاثة ايام حافلة رائعة استعدت فيها جدة للتسليم. وفي مساء الاحد هي الفرصة المنتظرة. عاد المعتمد البريطاني الى الرغامة ليخبر السلطان ان الامير علياً قد قام في الباخرة البريطانية "كورن فلاور" وانه قرر السفر الى عدن ومنها الى العراق. ثم جاء صباح اليوم التالي ومعه رئيس الحكومة الموقتة القائمقام عبدالله زينل، ورئيس العسكرية الضابط صادق بك، فخاطب السلطان قائلاً ان مهمته في التوسط قد انتهت، وانه يقدم رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين امام عظمته.

عاد حضرة الوكيل الى جدة مشكوراً مجبوراً. وظل الرئيسان عند السلطان للمذاكرة في شؤون الحكومة وتسليم ممتلكاتها. ثم في صباح اليوم التالي ارسل عظمته طليعة من حاشيته الى جدة لمباشرة العمل في ما يختص بالمهمات العسكرية وامور الجنود والضباط.

وفي ذاك الصباح ايضاً يوم الثلاثاء في ٦ جمادى الثانية ابحرت الباخرة "كورن فلاور" تنقل الامير علياً الى المنفى الذي اختاره لنفسه.

اما السلطان عبد العزيز فلم ينتقل من مخيمه في الرغامة حتى صباح اليوم التالي، فتقدمه فريق من جند المشاة ورهط من الخيالة بقيادة اخيه الامير عبدالله الى الكندرة لاستقباله فيها. وهناك امام ذاك البيت القائم على طرف من خط الدفاع المحاذي للاسلاك الشائكة، امام ذاك البيت الذي كان يجتمع فيه رسل السلام الثلاثة الاولون ليتباحثوا في خير الطرق التي تضمن للعرب السلام والفلاح، حيّت البلاد السلطان عبد العزيز بمئة مدفع ومدفع.

(١) قد اثبتناها كاملة في الملحق.

وفي ذات البيت جلس عظمته للوفود المسلمين المهنئين، فاستقبل معتمدي الدول والقناصل، ثم ضباط الجند، ثم أعيان المدينة. وقد تكلم قنصل ايطاليه السنيور فاريه باللغة العربية مهنئاً السلطان فقال :

"نظراً لكوني كبير القناصل سناً اتقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهانينا لعظمتكم بدخولكم جده في هذه الطريقة السلمية التي حقنت بها الدماء. ونتمنى لعظمتكم التوفيق الدائم والسعادة."

فاجابه السلطان قائلاً انه لم يبطئ في الاعمال الحربية الا انتظاراً لهذه النتائج السلمية. ثم شكر للمعتمد البريطاني في مسعاه، واعرب للقناصل عن سروره بما كان من موقفهم في الانقلاب الاخير فتم سلمياً كما هو مرغوب.

وبعد ان اقام يومين في الكندرة دخل جده في صباح الخميس في ٨ جمادى الثانية (٤ ديسمبر) بعد سنة وحدة من يوم أشرف عليها للمرة الاولى من الرغامة، ونزل في بيت الوجيه العالم الشيخ محمد نصيف، ثم باشر العمل في اعادة اليسر والطمأنينة الى الحجاز.

الفصل ~~الثالث~~ الثاني والخمسون

عبد العزيز ملك الحجاز

قبل ان غادر السلطان عبد العزيز الرياض، في ربيع الثاني سنة ١٣٤٢ دعا العالم الاسلامي لعقد مؤتمر في مكة يقرر مصير الحجاز. وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك، ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٤ بكتاب خاص ارسله الى الحكومات والشعوب الاسلامية، فكانت صرخة في واد، لم يلبها غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك. ولكن اولئك المسلمين يريدون بالحجاز ما لا يريده اهله: هم يرتأون في حكم البلاد المقدسة رأياً لا يوافقهم عليه اهل الحجاز. وقد قاوموه عندما جاء الوفد الاسلامي الهندي الاول الى جدة، واستمروا في مقاومته حتى نهاية الحرب. الشريفيون والسعوديون على السواء: الحجاز للحجازيين، هي كلمة الجميع. ولا تظن احداً في الحجاز يرغب في هيئة تحكمه مؤلفة من ممثلي الشعوب الاسلامية في العالم.

لذلك طلبوا من السلطان عبد العزيز، بعيد دخول جدة، ان يكون لهم الحرية ليقرروا مصير البلاد بلادهم، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي، والحجاز ركن منه، فاجاب السلطان الطلب.

عندئذ تألفت في جدة لجنة من اعيانها عددها عشرون، فسافروا الى مكة واجتمعوا هناك بلجنة من اهلها عددها ثلاثون. وفي ٢٢ جمادى الثانية عقد اعضاء اللجنتين مجلساً قرروا فيه باجماع الاصوات مبايعة السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز، واتفقوا على شروط البيعة ونصها. ثم قدموها الى عظمة السلطان ليرى رأيه فيها، وطلبوا منه، اذا حازت القبول، ان يعين الوقت لعقد البيعة، فاجاب الطلب.

وبعد صلاة الجمعة، في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ (١٠ يناير ١٩٢٦) اجتمع الناس في المطاف لعقد الحفلة وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة الواحدة بعد الظهر ~~[illegible]~~ عند باب الصفا من المسجد الحرام، كان المشهد عربياً صافياً اي بسيطاً ديمقراطياً. فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكرسي للخطيب الذي تقدمه المنادي قائلاً: ~~[illegible]~~ ان الله وملائكته يصلون على النبي. يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. ~~بعد ذلك~~ ثم اعتلى الكرسي الشيخ ~~صعد الخطيب المنبر~~ محمد بن ... المعظم وشكر الله وسبح ~~[illegible]~~ وبعد ذلك قال:

لم تكن هناك سدة للملك بل كانت سجادة بسيطة وقف عليها جلالته وامامه كرسي للخطابة اعتلاه الشيخ فتلى عليه نص البيعة ثم اقبل الناس يبايعون وجلالته واقف يتقبل بيعتهم

«ايها الاخوان: ان الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بالامن بعد الخوف، وبالرخاء بعد الشدة. فقد انقشعت غمة الحروب، وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته. فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا، واني اتلوها على مسامعكم:

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على ان تكون ملكاً على الحجاز ، على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والائمة الاربعة رحمهم الله ، وان يكون الحجاز للحجازيين ، وان اهله هم الذين يقومون بادارة شؤونه ، وان تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم" .

وعندما كان الخطيب يتلو البيعة كانت قلاع مكة تطلق مدافعها ، فاطلقت مئة مدفع ومدفع . وكان الناس اثناء ذلك ~~يتهافتون على السجادة الملكية للمبايعة~~ يتزاحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة . تقدم اولاً الاشراف ، ثم الوجهاء والاعيان ، ثم اعضاء المجلس الاهلي ، فالمحكمة الشرعية ، فالائمة والخطباء ، فالمجلس البلدي ، فاهل المدينة المنورة ، فاهل جدة ، فبقية خدم الحرم ، فالمطوفون والزمازمة ، فمشائخ جاوه ، فاهل الحرف ، فمشائخ الحارات واهل المحلات (١) .

وبعد الحفلة مشى جلالة الملك الى البيت الحرام فطاف به سبعاً ، وصلى في المقام ، ثم جلس ~~[illegible]~~ في سرادق دار الحكومة للمهنئين والخطباء .

- "لابد للبلاد من ملك مستقل يكون قادراً على حماية الحجاز من الداخل والخارج . والذي يستطيع القيام بهذا الامر هو عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود" .

- "وما اعطاك الله هذا العطاء يا عبد العزيز الا لانك سائر في مرضاته" .

وقال آخر بعد اطرائه الامة العربية في زمن السلف الصالح : "علينا ان نتمسك بذلك الحبل المتين ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز" .

ان في هذه الكلمات الثلاث مثالاً من عقلية القوم ونزعتهم السياسية والدينية .

ثم خطب الملك السلطان فقال :

"اسمع خطباءكم يقولون : هذا امام عادل . وهذا كذا وكذا - فاعلموا ان ما من رجل ، مهما بلغ من المنازل العليا ، يستطيع ان يكون له اثر او ان يقوم بعمل حميد ، اذا كان لا يخشى الله . واني احذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا . واحثكم على الصراحة والصدق في القول ، وعلى ترك الرياء والتعمق في الحديث ...

"لم يفسد الممالك الا الملوك واحفادهم ، وخدامهم ، والعلماء المتملقين لعواطفهم . ومتى اتفق الامراء والعلماء ليستر كل منهم على صاحبه ، فيمنح الامير المنح ، والامراء يدوسون ضاعة حقوق الناس ، فقدنا والعياذ بالله الآخرة والاولى" . الى ان قال خاتماً كلامه :

---

(١) وقد جاءت بعدئذ برقيات بالمبايعة من المدينة المنورة ومن ينبع والوجه وضبا والعلاء .
وكانت حكومة السوفيت (الروسية) اول من اعترفت من الدول بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته ، ثم اعترفت به حكومات بريطانية العظمى ، والجمهورية الافرنسية ، وهولندة ، والجمهورية التركية .

ر. ن.

وإني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمّن الأوطان، وإن لكم عليّ عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي".

فقالت إذ ذاك الأصوات: "جزاك الله خيراً، جزاك الله خيراً!"

وفي مساء ذاك اليوم دعا جلالته الى بيته أعضاء المجلس الأهلي، والوفد الذي قدم من جدة، وبعض أهل الوجاهة في أم القرى، فخاطبهم بما معناه: —

"أنتم الآن في وقت العمل وفي ساعة التأسيس. ولا يستقيم الأمر إلا بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة. أنتم أرباب الرأي والفكر في بلادكم. فعليكم أن تقرروا شكل الحكومة، وتضعوا دستوراً لها، وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز، وتبحثوا في ما ينبغي أن يكون موقف الحجاز تجاه الدول."

ثم أمر بأن يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي، ينضم إليه مندوبون من بلدان الحجاز الأخرى، للنظر في ما ذكر من المسائل وتقريرها.

وبعد أن تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع القانون الأساسي، وعرض أسماء أعضائها على جلالة الملك، فأمر بأن يرأس اللجنة الشيخ عبد القادر الشيبي، حامل مفتاح بيت الله الحرام، وأن يضم إليها خمسة آخرون انتخبهم جلالته، من الأشراف والتجار.

كذلك في هذا العهد الجديد ~~مشرقنا~~ يصلح التعيين الاقتراع، ويكمل الحاكم الفرد ما ينقص في حكم الكثرة.

تم في ١١ ديسمبر ١٩٢٦ الموافق ٦ جمادى الثانية ١٣٤٥.

~~٤١١~~ تركناه في الملحق

الملحق

عدد ٤ نجد

فتوى العلماء

~~في بطلان شذوذات الإخوان الدينية~~

وفي تجاوز الحدود الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن عبد الرحمن بن سالم الى الإخوان كافة بلهجة من أهل الهجر وغيرهم ، وفقنا الله واياهم لما يحبه ويرضاه

ورضاه ، وجعلنا وإياهم من حزبه وأوليائه آمين .

وبعد ذلك أنتم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإسلام

تعرفون ما منّ الله به علينا وعليكم من نعمة

شكر

تجديد هذه الدعوة ، والذي علينا وعليكم

ولا يخفى عليكم

الله واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه .

وهي على ثلاثة

ما جرى من الاختلاف وكثرة الشُبَه

وقوع الناس

أمور :

الأول وهو الأكثر طلب الخير أو اجتهاد

ذلك

في أمور تخل في دينهم ودنياهم . لأنهم يأتون

رغبة "

محبة للدين بغير دليل.

الثاني لا بد ان في بعض الاخوان المتقدمين

شدة وتعصباً بغير دليل. فلما تبين له الامر

وسأل طلبة العلم، وتحقق عنده ان تعصبه خطاء

استنكر منه اخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف

بغير سؤال ولا تبيين حقيقة ما عنده

الامر الثالث أتوا به اناس من الذين يدعون

طلب العلم من الحضر وهم جهال يدخلون على بعض

الاخوان اموراً مشتبهة. يريد احدهم

الحق

الحق وهو مخطئة واخر [illegible] يرغب

في معرفة الامور المخالفة.

فلما تحقق ذلك عند ولاة الامر وعند

العلماء احبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم

وولاة الامر منهم. فلما حضروا اسمع الحاضر

بنفسه، والغائب نبلغه بهذا الكتاب.

فقد سألنا الإمام عبد العزيز بحضرتهم عن

امور هي:

الاول

٥

الاول : هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم العاملين ~~[illegible]~~ باوامر الله ونواهيه ام لا .

الثاني : هل من فرق تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحدًا ام لا .

الثالث : هل في الحضر الاولين وفي المهاجرين الاخرين فرق ام لا .

الرابع

الرابع: هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية
المسلمين ودربه دربهم ومعتقده معتقدهم
وفي ذبيحة الحضر الموالين او المهاجرين فرق
حلال او حرام ام لا.

الخامس: هل للمهاجرين اجر او رخصة في
اعتدائهم على الذين لم يهاجروا فيضربونهم او
يؤذبونهم او يتهددونهم او يلزمونهم بالهجرة
ام لا. وهل لاحد ان يهجر احدا بدويا
كان

كان او حضريا بغير امر واضح او كفر صريح او

شيء من الاعمال التي يجب حجره عليها لغير

اذن ولي الامر او الحاكم الشرعي ؟

فاجبناه بحضور الحاضر من المسلمين ان كل

هذه الامور مخالفة للشرع، ومما امرت بها الشريعة.

وان الذي يفعلها ينهى عنها ويزجر، فان تاب

واقر بخطاياه فيعفى عنه. وان استمر على امره

وعاند فيجب عليه تأديبه ظاهر بين المسلمين،

وان لا يعادى ولا يصادق الا على ما

امرت

امرت به الولاية او حكم به حاكم الشرع.
والذي يفعل ما يخالف دينه فطريقته غير
طريقة المسلمين. وهذا الذي ندين
به ونشهد الله عليه ونرجوه ان
يوفقنا واياكم للخير وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم سنة ١٢٢٧

والاختام ،
والامضاءات

الامر السلطاني

فتوى العلماء

المبني على ~~الفتوى المذكورة~~

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى الاخوان كافة وفقنا الله واياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات امين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تعرفون ان الله سبحانه انعم علينا بنعمة الاسلام ومن علينا ان جعلنا من اهله. ولا يخفى عليكم ما جرى على اسلافكم من الامور التي تغضب الله وتخالف الشريعة.

~~حيث انه~~

[illegible] الله اوجبت

وحيث ان الله منّة عليكم بهذا الامر فيجب عليكم ان

تتذكروا ذلك بالشكر، واعظم الشكر واكبره

وان تتقيدوا باتباع اوامر الله واجتناب نواهيه.

ثم لا يخفى عليكم ماجرى من النزاع والاختلاف الذي

نخشى علينا منهما اخفاق الاعمال والفتنة.

ليس ~~والرجاء ان الاسلام~~ قصدنا ~~الا~~ غير تقويم الشريعة.

ونجاة انفسنا من عذاب النار. ولا يتم

هذا الا بالاقتداء واتباع ماجاء في كتاب

الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

سنه وعلماء

وعلماء المسلمين اولهم وآخرهم

وربما يلتبس عليكم الامر في بعض أئمة

المسلمين واعتقاداتهم ؛ ولا اخص احداً منهم

~~الاعتقاد الذي ذكر~~

فاجبت لذلك ان اشرح لكم العقيدة التي ذكرها

المشايخ في فتواهم . وهو ان معتقد المسلمين

واحد حاضرهم وباديهم ، وتعلمون ان اصل المعتقد

كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة

محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف الصالح من بعدهم ، ثم

ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك والامام

الشافعي

الشافعي والامام احمد والامام ابو حنيفة. فاعتقاد
هؤلاء واحد في الاصل، وهو انواع التوحيد الثلاثة،
توحيد الربوبية، وتوحيد الالوهية، وتوحيد الاسماء
والصفات كما هو مقرر في كتب العلماء، الذين
مكتبتكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة. فانهم في
هذا الاصل سواء، فيكون بينهم اختلاف
في الفروع وكلهم ومن حذا حذوهم على حق
ان شاء الله الى يوم القيامة.
ونحن باهل نجد كافة ~~[illegible]~~ على
مذهب الامام ~~[illegible]~~ احمد بن حنبل في الفروع ~~الاصول~~
واما

~~والمذكورون أعلاه~~

وأما في الأصل فنحن والمذكورون أعلاه على ما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، على أنه في آخر
الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن
القيّم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم
الله ونفع بهم الإسلام والمسلمين، عندما اندرست
أعلام الإسلام وكثرت الشبهات والبدع،
وخصوصًا محمد بن عبد الوهاب،
فلما رأى أسلافنا ~~[illegible]~~ موافقة أقوالهم
وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله
قبلوا

قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على ايديهم.

ونحن ان شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم.

نرجو ان يحيينا على ذلك ويميتنا عليه.

وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في

الاعتقاد، والعمدة على ما ذكروه. فمن كان

يؤمن بالله واليوم الآخر، وقصده في هجرته

وانتسابه الى الخير دون ما عند الله، فليعتمد

على ذلك قولاً وفعلاً. ولا يخلط فيه

لبس. وليترك مخالفه. ومن اشكل

عليه

عليه شيء من الامور فليرده الى طالب العلم المنصوب
عندكم بامر الولاية ورضى المشايخ.
ونحن نعتقد ان ليس عندكم ما يخالف ذلك
ان شاء الله. وان قصدكم رضى الله. انما من
الشفقة عليكم احببنا التبيين لكم بذلك
انذارًا للمخالف او المتكلم بالفتنة. وان
من خالف ذلك بالقول او الفعل فذمتنا
وذمة المسلمين بريئة منه، ولا
يأمن البطش بنفسه وبماله. هذا
حقكم علينا. ومن انذر فقد اعذر، نرجو
الله ان يوفقنا واياكم للخير، وينصر دينه، ويعلي
كلمته، ويجعلنا واياكم من انصار دينه وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم
سنة ١٣٢٧
الختم.